عبدالرحمن سيف اسماعيل

موجز تاريخ التعليم في اليمن

TAREEM

عبد الرحمن سيف اسماعيل

موجز تاريخ التعليم في اليمن

(الكتابُ ذاكرةُ الشعوب) وأولُ مبدأ في ثقافتنا الإسلامية هو (إقرأ) ولأنَّ (تريم) كانت على الدوام المنارة الإسلامية التي أهدت أنوار معارفها إلى العالَم، كان لابُدَّ للكتاب أن يكون في صدارة عُرسها الثقافي في عام تتويجها عاصمة للثقافة الإسلامية ٢٠١٠م إيماناً منّا بدور الكلمة في خَلقِ آفاقٍ جديدة للتَّواصل والحوار من أجل أن يكون عالمنا أكثر بهاءً وإشراقاً ولتكون الإصدارات نافذة العالَم على مَهد الحضارات (اليمن) وعِرفاناً بفضل مدينةٍ زيَّنت الثَّقافة الإسلامية بأبهى حُلَلِها.

د. محمد أبو بكر المفلحي

وزير الثقافة

الإهــداء

إلى التربويين الذين حفروا بشموخ الصخر الأصم ، وفتحوا ثغرةً للنور في عقول الأجيال ورسموا ملامح المستقبل .

إلى الذين شكلوا وعي الأجيال بالمعارف والعلوم . وكتبوا بأحرف من نور ، تاريخ هذا البلد الذي عرفه العالم «بالعربية السعيدة» وبما صنعه من مجد تليد وربما بما امتلكه من أساطيل تجارية برية وبحرية ، وعلم مكنهم من تقديم حضارتهم للآخرين.

إلى جميع من شيدوا المدارس والجامعات ، وساهموا في نشر العلم والتعليم رجالاً ونساء .

إلى قادة الازدهار التعليمي والثقافي في دولة بني رسول ، وبني نجاح ، والصليحيين وبني عامر وغيرهم ممن أحدثوا ثورة تعليمية لا تزال قادرة على مواصلة رسالتها التعليمية الخالدة.

إلى من تتلمذت علي أيديهم ، ولا تزال أفكارهم تنير دروب طريقي المعتمة ..

إلى الذين لولاهم ماكنت ، ولما كانت اليمن مرآة هذا التكوين الثقافي والفكري والإشعاعي الممتد إلى عمق الحاضر والمستقبل

إلى زوجتي المربية المتألقة، المرأة التي وجدتها أكثر ارتباطاً بالتربية والتعليم.. تسامر الأولاد وتعلمهم أبجدية الحرف فأحبوها وأحببتهم . وإلى كل العاملات في سلك التدريس.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

يأتي هذا المؤلف التربوي الهام والقيم بمباحثه العشرة وفصوله المختلفة ليشكل رافداً هاما وقيما للمكتبة اليمنية وللمشتغلين في قضايا التربية والتعليم داخل وخارج اليمن ، خصوصاً وأن المؤلف سلسل في رصد وتتبع محتوى الكتاب تسلسلاً تاريخياً وفقاً لحقب ومراحل تاريخية مستعرضا التاريخ التربوي لتلك الحقب والمراحل التاريخية المختلفة .

إن ما يميز هذا الكتاب هو أنه بدأ برصد وتوثيق لتاريخ التربية والتعليم منذ اليونان القدماء «سقراط وأفلاطون وأرسطو» ، مستعرضاً الجانب الفلسفي لتلك المرحلة التاريخية المهمة من تاريخ التربية ليستمر الرصد والتوثيق الدقيق لجوانب من تاريخ التربية منها آراء بعض الفلاسفة المسلمين وما قالوه في التربية، إلى جانب العديد من آراء الفلاسفة المحدثين، وهذا كله كان اجتهاداً موفقاً من قبل المؤلف حول تاريخ وفلسفة التربية منذ اليونانيين القدماء وحتى اليوم . وتواصلاً مع منهج المؤلف ومنهجية المؤلف.

وبخصوص التربية والتعليم في اليمن ، فقد استعرض المؤلف الوضع التربوي والتعليمي في اليمن خلال الدويلات المختلفة التي حكمت اليمن ما بعد الإسلام وأشهرها الدولة الرسولية تلك الدولة التي ازدهر فيها التعليم وتوسع أمراء دولة بني رسول في بناء المدارس ليس داخل اليمن وإنما خارجها حتى وصلت مدارسهم إلى مكة المكرمة .

أما المرأة اليمنية ودورها في نشر العلم والمعرفة فقد أشار إليها الكتاب بإنصاف كبير وذلك عن طريق الإشارة إلى العديد من زوجات وأمهات وأقارب أحرار دولة بني رسول وهن يتبرعن بالمال والذهب لصالح بناء المدارس داخل وخارج اليمن ، وهذا شرف كبير للمرأة اليمنية ولم يتوقف الكتاب عند تلك المراحل من مراحل وتاريخ التربية ولكنه استمر في رصد وتوثيق المعارف والمعلومات والمنشآت التربوية في اليمن الجنوبي سابقاً

أيام الاحتلال البريطاني، وكذلك الحال نفسه أيام حكم الأئمة في اليمن الشمالي سابقاً وحتى العهد العثماني وصولاً إلى التعليم بعد ثورتي سبتمبر وأكتوبر .

وبالرغم من أن المؤلف ليس متخصصاً في الحقل التربوي، وليس من حملة الماجستير والدكتوراة في ذلك التخصص، إلا أن هذا الجهد يكشف وينم عن باحث متطلع ورصين ومتابع ومهتم في المجال الذي يبحث ويخوض فيه ، كيف لا وقد صدرت له مؤلفات سابقة في مجال الوضع الإداري في اليمن، وفي مجال الشعر الشعبي وفي قضايا التنمية المختلفة ونالت استحسان الكثير من القراء ، وهنا نستطيع الإشارة إلى المثل العربي القائل « يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر »

وبالوقت الذي أهنئ فيه الباحث المؤلف لهذا الكتاب عن هذا الجهد المتميز ،بالوقت ذاته فإني أهنئ كافة الباحثين والمهتمين والمشتغلين بقضايا التربية على هذا الإصدار الذي من دون شك سيمثل رافداً جديداً للمكتبة اليمنية والعربية الإسلامية على حد سواء والله الموفق .

بقلم أ.د/

محمد إبراهيم الصانع

عميد كلية التربية - جامعة ذمار

مقدمة
وخلفية نظرية

شهد العالم في الماضي السحيق حضارات إنسانية كبيرة ، برقت معها الحضارة اليمنية القديمة التي وصلت أوج ازدهارها في النموذجين اللذين لا يزالا يستمتعان بتلك الشهرة والعراقة.. قوما (عاد وثمود) اللذان ذكرهما الله سبحانه وتعالى في محكم آياته .. وكذا في الحضارات اللاحقة (معين وسبأ وحمير، وحضرموت ، وأوسان ، وقتبان) وغيرها والتي لا تزال آثارها شاهدة على ذلك الازدهار والتقدم الكبير.

والعملية التربوية ليست منعزلة عن هذا التقدم الحضاري وإنما التقدم كان امتداداً لذلك الواقع المتطور والمزدهر الذي حدث حينها.. فلايمكن أن يكون هناك تقدم حضاري وتطور اقتصادي وإداري وتشريعي، وثقافي وفكري وسياسي دون أن يكون هناك تطوراً تعليميا.

لقد شهدت هذه المرحلة عملية تشريع وتسجيل ، وتدوين ، وتوثيق للحضارة وللأخبار وبناء للمنشآت الاقتصادية . ولهذا لا بد أن يرافق هذه الحركة عملية تعلم ، ونقل معارف ، وبناء القدرات الإدارية والثقافية والفكرية ، وهو ما تؤكده الكثير من الشواهد والمعطيات التاريخية ونظراً للصراعات والانقسامات السياسية والاجتماعية التي أضعفت مؤسسات الدولة . بالإضافة إلى محاولة بعض القبائل الاستئثار بالسلطة وتضييق مساحة المشاركة الاجتماعية في إدارة شئونها ، تصدعت الدولة وانقسمت إلى كيانات صغيرة وأصبحت كل قبيلة تفرض إرادتها على مناطق نفوذها وهذه الحالة حركت الاطماع الاستعمارية ، وأصبحت اليمن في محط الانظار الاستعمارية ، ومع هذا أوجدت معارضة قوية للاستعمار في ظل هذه الظروف المعقدة ، وبالتالي وجد وعي اجتماعي مناهض للاستعمار وتنام للشعور الوطني لدى المجتمعات المحلية . جاء الإسلام ولاقى خطابه الثوري المناهض للظلم والقهر والاضطهاد قبولاً اجتماعياً واسعاً .. اتسعت في ظله رقعة الإمبراطورية العربية الإسلامية ، وامتدت إلى مشارف الصين شرقاً وفرنسا غربا . ومثلت

الكثير من المدن العربية والإسلامية حواضر متقدمة وبعداً ثقافياً وفكرياً وعلمياً في الاستراتيجية البنائية والنهضوية للدولة الحديثة ومنها على سبيل المثال بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة ، وعن طريق الأندلس انتقل العلم والثقافة العربية الإسلامية والإنسانية بصفة عامة ، وقد كانت الثقافة العربية حاضنة ومطورة وناقلة لها إلى أوروبا بل أن الغرب تعرف على ثقافته وتراثه العلمي والفكري عن طريق الثقافة العربية والإسلامية .

وبالمثل تكونت الجامعات والمعاهد العلمية في أوروبا .. وقد كانت العلوم العربية والإسلامية أساساً للنهضة الأوروبية .

ومن جانب آخر انفتحت شهية العرب على الثقافات الإنسانية المختلفة ونهلوا منها كل ما هو طيب ومفيد فقاموا بعملية واسعة لترجمة الثقافات الإغريقية والهندية والفارسية واليونانية وغيرها من الثقافات التي كانت أحد أهم المصادر العلمية الأساسية للثقافة العربية الإسلامية ولهذا أنشئت المدارس والمكتبات ودور العلم . وخضعت الحركة الثقافية والفكرية العربية لحالة من المد والجزر، واختلفت في تناميها من فترة إلى أخرى طبقاً لطبيعة ووعي هذا أو ذاك الخليفة الحاكم . فقد أعطى الخليفة المأمون الحركة الثقافية والعلمية أهمية خاصة نابعة من تقديره الشخصي كعالم ومثقف ملم بكل جوانب الإبداع الثقافي والفكري، وبمختلف الثقافات الإنسانية ، أو هارون الرشيد الذي قدس العلم وأحبه ، وأنزله منزلة خاصة .. فقد كان يقبل الجزية كتباً . وهذا دليل على ارتباط بعض الخلفاء بجدلية الثقافة والمعرفة واندماجهم فيها . فالمأمون كان يدفع وزن ما يترجم ذهباً . وهكذا مثلت المدارس والمكتبات والدعم السخي الذي كان يقدمه هذا أو ذاك الخليفة للعلماء والمثقفين وطلاب العلم، وبهذه الطريقة تميز واقع الابداع الثقافي والعلمي في كل مرحلة من مراحل نمو وتطور الدولة العربية والإسلامية ، وهكذا وجد نوع من التنافس الواعي بين الخلفاء والأمراء والحكام في هذا الاطار .

ولأن اليمن كانت جزءاً لا يتجزأ من هذا الواقع ومن هذا الحراك الثقافي والعلمي تواصل الابداع حتى في ظل الدويلات التي أنشئت على أنقاض الدولة العربية الإسلامية التي تصدعت وأصابها الترهل والخنوع .

ولهذا اتسم الفكر التربوي في ظل الدولة الرسولية بغزارة الانتاج فأنشئت المدارس وبرز العلماء ومريدي العلم ، ونشطت المؤسسات التعليمية بصفة عامة، ولا تزال قائمة تؤكد على واقع تلك الفترة الاستثنائية في مسيرة التطور العلمي،

وفي مختلف مجالات الابداع ، وقد تواصل هذا الابداع في مراحل معقدة حتى في مراحل الانحطاط التي شهدها اليمن أثناء الصراعات القبلية الدامية ، والانقضاض على كل ما هو ايجابي وجيد .. فقد ظلت الحواضر تواصل رسالتها التنويرية كزبيد وشبام وصعدة وحضرموت وتعز وعدن وجبلة وحوث وغيرها من الحواضر . واستمرت بعضها تؤدي رسالتها العلمية إلى ما قبل الثورة .

وبرز كذلك دور المرأة المتدينة والمؤلفة والأديبة والحاكمة ، والمدرسة كانت تعبيراً عن وجودها الفاعل في هذه المسيرة الإبداعية حيث ساهمت بجدية إلى جانب الرجل والمؤسسات الثقافية الشعبية والرسمية الأخرى في إقامة وتشييد المؤسسات التعليمية والانفاق عليها .

في هذا الاطار ظهرت المدرسة كلفظ عام يقصد به الكثير من المدارس والمؤسسات التعليمية والعلمية ، وعلى وجه الخصوص مدارس العلوم الإسلامية، والمدارس الفكرية ، وحلقات الدرس وغيرها .

وجميعها أسهمت في استنهاض وتطوير الحركة الثقافية والفكرية في اليمن وأنتجت علماً وفناً ومشاهيراً في مختلف مجالات العلوم الإنسانية ، ومن هنا نستطيع أن نقول بكل ثقة وتواضع بأن التعليم قديماً ظهر ملازماً للبشرية كحاجة إنسانية لازمة للتطور والتقدم .. والقول بأن التعليم بدأ في اليمن بعد الإسلام ينطوي على الكثير من الشكوك والمغالطات ينفي قانون حتمية التطور .

فالتعليم أحد المرتكزات الأساسية للحضارات البشرية التي بدأت قديماً ، ووصلت ذروة تطورها فيما أنتجته هذه البشرية من حضارات ، وما رافقها من علوم فلسفية وجغرافية ورياضية وغيرها من العلوم الإنسانية التي وصلت أعلى مراتب التقدم والبناء فيها والتشريعات القانونية التي وجدت قديماً لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة المبكرة أو الكتابة التي وجدت على المباني والمنشآت القديمة كمحاولة لتسجيل تاريخ نشوء هذه المؤسسات ، وتاريخ تلك الحقب انما تدل على حقيقة ما وصل إليه الإنسان قديماً من مستوى تعليمي رفيع .

وقبل قيام الحضارة اليمنية القديمة (معين ، وسبأ ، وحمير ، وقتبان ، وأوسان، وحضرموت) وغيرها من الدول التي حققت تطورا كبيرا في مختلف مجالات الحياة سبقتها حضارات لا تقل عنها أهمية وهي الأنماط التاريخية التي بلغت أوج مجدها وتطورها فيما عرف بحضارتي عاد وثمود ، والتي يسجل لهما القرآن الكريم أروع صفحات المجد والرقي .

وفي نفس الإتجاه أسهم فلاسفة الإسلام في العملية التربوية ، وقد فصل الفارابي في مدينته الفاضلة التربية التي ينبغي أن يتحلى بها رئيس المدينة الفاضلة ونائبه ، وأثر التربية الفاسدة على انحراف أهل المدينة الفاضلة .

واعتبر العلم والتعاون أساس البنيان الحضاري .. وبهذا يكون قد سبق الفيلسوف جون ديوى في هذا المفهوم ، وربط ابن سيناء العلم بالتربية الحقيقية. فالتربية عنده جزء من شخصية المسلم وكينونته ، واعتبر تربية الأولاد ضرورية وهامة ..

وهدف التربية عند الغزالي هي الكمال الإنساني في الدنيا والآخرة ، ويتحقق الكمال الإنساني عنده باكتساب الفضيلة عن طريق العلم . وابن الجوزي أعتبر أن أقوم التقويم ما كان في الصغر ، واذا ترك الولد وطبعه نشأ عليه .. ويتفق في هذا الموقف مع جان لوك الذي اعتبر أن العقل الإنساني عندما يحمل الطفل إلى المدرسة يكون كالصفحة البيضاء ، واهتمام ابن الجوزي بالتربية يندرج ضمن اهتمامات المسلمين بصورة عامة بتربية الطفل ، فعن طريق تربية الطفل يتم اكسابه العلوم المختلفة .. القرآن الكريم والحديث والشعر والأدب وغيرها .

والمسلمون بصفة عامة أهملوا في التربية علوم أعطاها الآخرون اهتماماً خاصاً ، كالموسيقي والرسم وفن التصوير والحرف اليدوية ، وقد يعود هذا إلى ظروف دينية واجتماعية إلا أنهم نظروا بقدسية إلى المعلم ورسالته الإنسانية.. فرسالة المعلم التربوية لا تقل أهمية عن رسالة النبي .. وهذا قمة التقديس والاحترام والتبجيل لرسالة المعلم .

و أعطى ابن خلدون للتربية اهتماماً كبيراً حيث دفع بها خطوات إلى الامام وأصبحت حاضرة في فكره ومرتبطة بالواقع القائم ، فحالة التردي والانقسام والصراع الذي ساد تلك المرحلة ينبغي أن يتغير وينبغي أن تعالج التربية هذه الحالة. والنهضة الأوروبية كذلك أحدثت تحولا كبيراً في المجال التربوي، فالأوربيون أخرجوا الفلسفة والفكر من دائرة التأثير الديني المغلق .. وأنزلوا القيم الأخلاقية من السماء إلى الأرض .. وشهد العقل سمواً وتحولاً ، وتقدماً واسعاً على يد فلاسفة التنوير وفلاسفة الفلسفة الحديثة ، فربطوا العقل بالأفعال الإنسانية ، وأعلى البعض من شأن العقل ، والآخرون من شأن التجربة العلمية . فالإنسان البدائي كان وحشاً (ذئباً) لأخيه الإنسان كما هو عند توماس هوبز والإنسان الذي تربى على هذه الأسس لا بد له أن يعيد تربيته على أساس مفاهيم الأمن والاستقرار والعدل ، ولعبت التربية التي كانت سائدة في الواقع

الفرنسي دوراً مهماً في بناء وتشكيل فلسفة روسو التربوية، ومثلت فلسفته التربوية ثورة على الجمود والتحجر وعلى كل ما كان سائدا ، واعتبر أن المجتمع هو أصل كل فساد يلحق بالإنسان ، ولهذا طالب بعزل الطفل عن المجتمع لكي ينموا نمواً طبيعياً مستمتعاً بحياته الخيرة ، وفي هذا السياق ظهرت العديد من المدارس والفلاسفة الذين تفلسفوا في التربية وعملوا على تطويرها ، وكذا تطوير رسالتها العلمية ... وربطت الماركسية التربية بحركة الواقع ، وبالقوانين الطبيعية والاجتماعية وأعطت التربية مفهوماً (ماديا) اكثر ارتباطاً بالإنسانية وبقضايا التحولات الاجتماعية المختلفة ، ولهذا ذهب لينين إلى أن التربية التي لا تتصل بالسياسة أكذوبة ونفاق .. والهوة بين الكتاب والحياة العملية من أعظم الشرور والكوارث التي ورثوها عن المجتمع الرأسمالي القديم .

وكخلاصة لما سبق فقد ظلت التربية مرتبطة بالمجتمع ، وتمارس بطرق وأساليب كثيرة ، وفي اليمن ظلت الأساليب التربوية التقليدية القديمة هي السائدة ، وعملت إلى جانبها الوسائل الحديثة قبل الثورة ، ولكن بحدود ضيقة ولا تزال التربية القديمة تجد لها مكاناً في المجتمع ، وعلى وجه الخصوص في المناطق الريفية النائية والتي لا تزال المؤسسات التعليمية فيها تعمل بطاقة محدودة ، وبالمثل لا تزال الكثير من المساجد تؤدي رسالتها التعليمية المساعدة للمدارس .. وينظر الكثير إلى أن التعليم التقليدي أكثر فائدة للأطفال وتأثيراً .. ولا بد للطفل أيضاً أن يتعلم القرآن الكريم وأصوله على أيدي فقهاء يجيدون أصول القراءة الدينية ، أكثر من المعلمين الحديثين .

لا شك وأن التربية القديمة قد تركت لنا علماء ومثقفين كبار تجاوزت شهرتهم الحدود الوطنية .

١

المبحث الأول

الفصل الأول

المبحث الأول
الفصل الأول
التربية والتعليم في العصور القديمة

لا يستطيع أي مؤرخ مهما كانت ثقافته العامة أن يؤرخ لتاريخ التربية والتعليم وبداياتها الأولى . فالبشرية منذ أن وجدت على المعمورة وهي في حالة تعلم مستمر .. والإنسان ينقل خبراته وتجاربه إلى الآخرين .. والذي يُرجع التعليم إلى مرحلة الإسلام واهم ، ولا يستند إلى أي مؤشرات علمية .. فطالما وأن هناك لغة مكتوبة فمن الطبيعي أن يكون هناك حركة تدوين تاريخي لمختلف الأنشطة الاجتماعية الواعية . ولا بد وأن يرافق هذا عمليات تعليمية واسعة، لكي تتمكن من استيعاب مختلف مظاهر الحراك الاجتماعي والسياسي والتنموي، فقد عثر قديماً على العديد من الوثائق التاريخية ، ومنها تلك التي دونت الأحداث الدامية المعروفة بمذبحة نجران أي (أصحاب الأخدود) .. ويقول المؤرخ اليمني سلطان ناجي « إن تلك الوثائق تشير إلى قضايا هامة تاريخية ولغوية خاصة فيما يتعلق بقضية اللغة العربية ودور اليمن فيها ، فمن تلك النتائج الهامة التي وصل إليها المؤلف انه استطاع ان يبرهن على أن هذه الرسائل التي قام بنشرها وتحليلها مؤخراً الأستاذ عرفان شهيد ، قد كتبت أصلاً باللغة العربية عام ٥٢٠ للميلاد ، وذلك لأن كاتبها « سيمون» يشير في آخرها بأنه قد تلقى تقارير هذه الحوادث -مذبحة نجران ، وهو في المعسكر الغساني في الجامعة مكتوبة باللغة العربية ، وقد برهن المؤلف على أن هذه اللغة النجرانية ما هي إلا اللغة العربية، وفي هذا الصدد يقول عرفان شهيد في صفحة (٤٠) من كتابه (شهداء نجران) ، إن هذا يثبت أن اللغة العربية التي سبق أن برزت كلغة شعرية أدبية منذ القرن الخامس الميلادي قد برزت منذ مائة عام قبل الهجرة كلغة مكتوبة بالمعنى الواسع وليس بالمعنى المحدود للغة تستخدم لكتابة النقوش ، إن هذه الحقيقة ذات أهمية قصوى لحل القضايا الكبرى كقضية وجود نسخة عربية للإنجيل قبل الإسلام ، ومسألة تدوين الشعر العربي في الجاهلية»[1].

ومن هذا يتضح بأنه كان هناك حركة ثقافية وأدبية وتاريخية نشطة وواسعة قبل الإسلام .

---

(١) جرادة / محمد سعيد – الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور – دار الفارابي – بيروت – كانون الأول ١٩٧٧م – صـ١٢-١٣

وإلى جانب هذا كان هناك حركة تدوين وتعليم واسعتين وهذا لن يأتي إلا من خلال حركة تعلم تكون في مستوى هذا الحراك الثقافي والفكري والأدبي . ومن الحركة التعليمية هذه ما قام به البعض من عملية دراسة للغات السامية بهدف الاطلاع على مفرداتها ومضامينها الثقافية .

وإذا « ألقينا نظرة على ما كتبه العلماء المختصون بدراسة اللغات السامية . فسنجد أنهم يكادون يجمعون على أن القرن السادس لم يكد يبتدئ حتى كانت لهجات اليمن قد ذابت كلها في لغة شمال الجزيرة التي اكتسحتها اكتساحاً بحيث لم تدع لها مكاناً في غير جدران المعابد وحجارة الآثار المدونة بالخط المسند ، وفي هذا الصدد يقول ولغنستون أستاذ اللغات السامية في كتابة تاريخ اللغات السامية .. اخذت اللهجات السامية في القرون القريبة من الإسلام تتمتع بقوة وعزة واستقلال . فكانت تتدفق في نواحي الجزيرة بقوة وفتوة وروح يملؤه النشاط حتى كونت لنفسها أدباً جديداً أو شعراً فتياً »[1].

و التعليم كما أسلفنا كان موجوداً وقائماً في العصور القديمة .. وكانت المؤسسات التعليمية النظامية تقوم بدور أساسي إلى جانب المؤسسات التقليدية .. وإلى جانب الأسرة والمجتمع في نقل الخبرات والمعارف إلى الأطفال والشباب.

والكتاتيب التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا وتؤدي وظائفها التعليمية جنباً إلى جنب المدرسة النظامية الحديثة .. كانت موجودة أيضاً قبل الإسلام فقد «عرف المجتمع العربي قبل الإسلام الكتاتيب ، وقد لمعت أسماء من تولى مسئولية تعليم الصبيان أمثال : يوسف الثقفي « والد الحجاج المشهور ، وبشر بن عبدالملك العبادي ، وعمرو بن زرارة ، وغيلان بن سلمة بن معتب ، وجفينة النصراني [2].

ويفند الدكتور بدر سعيد الأغبري الصعوبات الناشئة عن دراسة موضوع التربية تاريخياً بقوله : « والحقيقة أن الكتابة في موضوع حول تاريخ التربية والتعليم في اليمن في العصور القديمة وحضارات اليمن القديمة والعصور الوسطى يواجه الكثير من الصعوبات ولم يتجه الدارسون والباحثون إلى الدراسة والبحث والاستقصاء والخوض فيه وذلك لعاملين : -

العامل الأول : ندرة المراجع خلال هذه الفترة وصعوبة الحصول عليها .

(١) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور - صـ١٤

(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن - الجزء الأول١٩٣٠- ١٩٧٠مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء - الطبعة الأولى ١٩٤٤ صد ٤٩

العامل الآخر : تركيز كثير من المراجع والكتب والمخطوطات على النواحي السياسية وما يتعلق بها من حروب ومعارك وصراعات وكذلك في الجانب الاجتماعي والاقتصادي . أما في الجانب التربوي فيكاد يكون مهملاً «[1] .

التربية في اليمن لم تحضَ بالدراسة والبحث كغيرها من المجالات الأخرى على الأقل . على الرغم من أهمية هذا المجال سيما لليمن التي عاشت ماضي حضاري وصل أوجه في دول سبأ ، ومعين ، وحمير ، وقتبان ، وأوسان ، ويضيف الدكتور الأغبري بأن الفكر التربوي المعاصر يؤكد « أن أي نمو حضاري لا بد وأن تكون التربية هي مفتاحه ومدخله الرئيسي وبغير التربية لا يمكن أن تبني حضارة أو يوجد بناء اجتماعي منظم»[2] .

وعلى هذا تقاس الأهمية التاريخية التي تكتسبها التربية والتعليم .. ولهذا كانت التربية والتعليم من وظائف الأسرة والمجتمع بصورة عامة ، ظلت تتوارث اجتماعياً .. ويكشف أحد المراجع « أن التعليم في اليمن في العصور القديمة ارتبط بالأسرة التي كانت تتولى هذه المهمة حيث تعلم الطفل وتدربه على مهنة أبيه ، والطفلة على مهنة أمها ولهذا كانت المدرسة في ظروف الحياة الاجتماعية المختلفة بسيطة وبدائية في شكلها ومضمونها كما هو الحال عند الكتاتيب في العهد القبلي الذي عاشه مجتمعنا اليمني «[3].

والتربية قديماً كانت تكتسب عبر سلسلة من الخبرات والمعارف التي يكتسبها الأفراد من المجتمع . والعشيرة هي أول مؤسسة تربوية في العالم القديم . ويشير كرامة مبارك إلى هذا بقوله « إن في المرحلة الأولى من تطور المجتمعات البشرية تشكل العشيرة تجمعاً بشرياً مشاعياً ، ويصنف الأفراد فيها حسب سنهم إلى ثلاث فئات هي:-

١. فئة الصغار القصر .
٢. فئة البالغين العامين .
٣. فئة الشيوخ العجز .

ويتولى الشيخ – وقد أكسبتهم الحياة الطويلة خبرات جيدة - نقل خبراتهم للصغار بهدف اعدادهم لحياة الكبار ، وهي خبرات بسيطة للحياة البدائية التي يعيشونها من صيد وزراعة ورعي ومعتقدات دينية ساذجة .

---

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – مايو ٢٠٠٧م – صـ٩٧-٩٨
(٢) المصدر نفسه – صـ١٠١
(٣) المصدر نفسه – صـ١٠٢

وبظهور الأسرة ككيان اقتصادي واجتماعي متميز ، استقلت كل أسرة بتربية أطفالها وانحصر دور العشيرة التربوي في الاعداد العملي للصغار من أجل الحياة ، حيث توكل هذه المهمة للشيوخ ذوي الخبرة في مواقع تسمى (بيوت الشباب) ، وبتطور المجتمع إلى سادة يحكمون ويملكون وعبيد يعملون ولا يملكون، انقسمت التربية إلى : تربية عقلية خاصة بأبناء الفئات العليا في المجتمع ، وتربية عملية يدوية لأبناء الفئات الدنيا في المجتمع .·

وتأسست للتربية العقلية مدارس خاصة خارج اطار الأسرة ، بينما ظلت أسر الفئات الدنيا تعلم صغارها مهنها وحرفها "[1].

هكذا التربية في مراحلها الأولى كانت عبارة عن تعلم ، ونقل الخبرات والمعارف إلى الأجيال الجديدة ، وكذا نقل الأنشطة الاقتصادية للأسرة إلى أبنائها ، والتربية العقلية تحولت إلى مؤسسات تربوية تعمل على تدريس الأفراد وتنمي مهاراتهم العقلية والثقافية والفكرية .. بهدف أن يظل الموروث الثقافي والفكري للأسياد قائماً في الأبناء ومتوارثاً فيهم .

« إن قيام المدرسة كمؤسسة تربوية خارج نطاق الأسرة يعتبر الانعطافة الأولى في تاريخ تطور التربية ، حيث بدأت كامتياز للفئات الاجتماعية العليا ، وكشكل من اضطهاد الفئات الاجتماعية الدنيا . وتولى التعليم فيها الحكماء ورجال الدين »[2].

تحولت فيما بعد هذه المؤسسات إلى مؤسسات نظامية تشرف على انشائها وتمويلها وادارتها من قبل الأنظمة السياسية القائمة .. وتحولت إلى مؤسسات اجتماعية قوية ومؤثرة في ظل الدولة المستقرة ، والتي شهدت حركة واسعة من التسجيل التاريخي للعملية البنائية والتنموية التي شهدت تحولات واسعة وجوهرية . أنشئت في ظلها عدد واسع من المؤسسات والمباني والمنشآت المختلفة من سدود وأنظمة ري، ومعابد وقصور وغيرها .

بالاضافة إلى حركة تسجيل أخبار الملوك وانتصاراتهم ، وأفعالهم المختلفة .

وقد رافق ازدهار الحياة الاقتصادية والتاريخية في اليمن القديم حركة تشريعية هامة رافقت هذه العملية في وضع القوانين واصدار المراسيم وغيرها .

وهذه العملية تدل على مدى التطور الفعلي الذي حدث في الواقع وعكس نفسه على العملية التربوية . فالعملية التربوية هنا كانت عملية مدروسة ومخططة ، ومستوعبة لحركة المجتمع ، ولواقع الحركة البنائية التي تحققت .

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ج٢ – صـ١١-١٢
(٢) المصدر نفسه – صـ١٢

كما أني لست مع من يقول بأن التربية قديماً كانت عبارة عن تقليد ساذج لماهو موجود وفعلي في المجتمع .. فالعملية أبعد من ذلك فهي في ظروف الحضارة اليمنية المتقدمة توحي إلى أن التعليم لم يكن مجرد نقل ميكانيكي لما هو قائم في المجتمع أو الأسرة إلى أفرادها .

ففي الحضارة اليمنية القديمة حركة تشريعية قانونية ، وحركة فكرية وثقافية متقدمة ، رافقتها حركة تسجيل وتدوين متطورة لتاريخ اليمن القديم ..

وهذا يوحي إلى أن التعليم كان ممنهجاً ومتطوراً ، وليس مجرد نقل حرفي أو ميكانيكي لما هو قائم وسائد .

ويقول الدكتور الأغبري بأن العديد من المصادر تجمع « على أن المجتمعات البدائية القديمة ليس فيها تصور لنظام التعليم أو وجود شكل منظم من المعارف أو المواد الدراسية ، وانما السائد فيها طرق التربية السائدة وهي لم تتعدَ مرحلة التقليد الساذج اللاشعوري تحددها خصائص اجتماعية معينة . فمطالب الفرد في المجتمعات البدائية تقتصر غالباً على اشباع حاجات الجسم من طعام وغذاء ومسكن وحماية نفسه من الحيوانات . ولذا كانت مظاهر التربية تتركز في عمليتين رئيسيتين هما :

الأولى : الاعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة العملية بصورة آلية مباشرة ليس فيها تفكير أو تطوير لما هو موجود .

الثانية : تدريب الفرد على الطرق والقيم المقبولة في الجماعة»(١).

ونحن ندرس هذه العملية لا بد من أن نفرق بين العملية التربوية ، وهي عملية ممنهجة ومدروسة ، وتنقل عبر مؤسسات تعليمية مهمة ، وبين العملية التعليمية التي تنقل من وإلى بطرق مختلفة ، وليس بالضرورة عن طريق المؤسسات .. فالعملية التربوية والتي نحن بصددها هنا عملية معقدة لا بد وأن تنقل عن طريق المؤسسات التربوية الرسمية ، وهي في تقديري كانت في العالم القديم مرتبطة بالمعبد . فالمعبد كان عبارة عن مؤسسة تعليمية وتربوية على حد سواء .. ولهذا أشرنا في مكان آخر إلى أن هناك كانت كتاتيب مختلفة قائمة قبل الإسلام ، ونظام هذه الكتاتيب والمؤسسات التعليمية التي وجدت فيما بعد في المساجد هي امتداد وتواصل لتلك المؤسسات القديمة التي وجدت في المعبد الذي كان يؤدي رسالته التعليمية والروحية بصورة طبيعية ، وينقل الخبرات إلى الجماعات في هذا المستوى .

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صـ١٠٢ – ١٠٣

فالحياة الاجتماعية وقتها كانت بسيطة تخلو من التعقيد ، وكانت العمليات الاجتماعية تنقل إلى الأفراد تلقائياً عن طريق الخبرات أو التعلم المحدود وهذا الأمر طبيعي جدا في ظروف المجتمعات البدائية ، ولكن الأمر مختلفا كثيرا في ظروف المجتمعات الحضارية التي بلغت حداً كبيراً من التقدم والإزدهار .. فالحضارا ت الإنسانية الراقية لا تبنى إلا في ظل ظروف تربوية متقدمة ، ولا تنقل هذه الظروف إلا عن طريق حركة علمية وتعليمية ترقى إلى مستوى الفعل الحضاري ذاك .

وعليه يمكن اجمال خصائص التربية في المجتمعات البدائية في الآتي :

١. ليست هناك مؤسسات أو هيئات مسئولة مسئولية كاملة عن التعليم وإنما يقوم بها شيخ .

٢. انها متدرجة مرحلية بشيء من التقليد والتعميم ومتدرجة حسب السن والنمو الديني .

٣. قائمة على التقليد والممارسة دون تغيير .

٤. إن التعليم فيها يتميز بالقابلية وليس فيها عنصر الفاعلية مع البيئة المحيطة"(١) .

فعادات وتقاليد القبيلة كانت تنقل إلى الأطفال عبر الأسرة .. فالأسرة كانت المؤسسة التربوية المتاحة والأكثر تأهيلاً لهذا الدور في العصر القديم " وتتصف التربية البدائية في المجتمعات القديمة بأنها لم تعرف المدرسة كمؤسسة متخصصة للتعليم وانما كانت من مسئولية رب الأسرة في اكساب الاطفال عادات القبيلة والقيم المنقولة لديها وفي بعض القبائل ظهر بعض الأفراد الذين كان لهم دور كبير في تنظيم حياة القبيلة وصياغة أهدافها ومثلها وهؤلاء كانوا في الغالب من المشتغلين بالطب أو الكهنة أو الرواد او المشائخ الطاعنين في السن "(٢).

ومن هذا المنطلق لا بد من أن يعنى الباحثون في شئون التربية بالتربية في العصور القديمة لمعرفة واقع وظروف تلك المرحلة .. وخصائص المجتمع فيها . وكذا طبيعة المؤسسات التربوية وأسلوب التربية وتنشئة أفراد المجتمع وعملية نقل الخبرات والتجارب إليهم .

---

(١) المصدر السابق – صـ١٠٣
(٢) المصدر السابق – صـ١٠٣

« .. إن دراسة التربية في المجتمعات البدائية تعطينا فكرة عن نوع الحياة في هذه المجتمعات واعتبارها نقطة البداية في تطور البشرية الطويل المعقد .. فمع ظهور الحضارات المعروفة وتطور أساليب الحياة تغيرت النظم التربوية من مجرد عملية عارضة إلى عملية منظمة مقصودة ، ومن مجتمع ثابت إلى مجتمع متغير متطور ، ثم ظهور الرموز وبدء عملية التسجيل واختراع الكتابة .. والطباعة .. الخ .

وهكذا فإن المجتمع البشري المعاصر لم يبدأ من نقطة الصفر كما فعل الإنسان البدائي ، وانما بدأ بما وقف عنده الأسلاف ، وخبرات اليوم هي استكمال لخبرات الماضي وبناء لخبرات المستقبل وهكذا »[1].

والتربية في تلك الفترة كانت لها وسائل ومظاهر متنوعة ، وخبرات المجتمعات تنقل إلى الأجيال الحديثة بطرق مختلفة ، وبأساليب متعددة .. فالأب والأم . أوكبير القوم الذي كان يقوم بهذه العملية يقوم بها بطريقته الخاصة وبوسائله المختلفة أيضاً .

ولكنها كانت على الرغم من بساطتها ذات «أهداف علمية ومن ثم فالطفل ينشأ وسط أهله يتعلم من سلوكهم فيسلك مسلكهم ويكتسب أخلاقهم وطريقة حياتهم ويشترك في الأعمال التي يقوم بها من هم أكبر منه سناً ولم تكن هناك ملامح واضحة لمؤسسة تعليمية ، كالتي نعرفها اليوم مثل المدرسة »[2].

وما تركه الأقدمون من حركة شعرية وأدبية تؤكد أن اليمن قديماً عرف حركة ثقافية وفكرية متميزة ، وما شهدته تلك المرحلة من حركة تدوين للشعر والأدب إلا تأكيداً على أهمية هذه المرحلة .

« .. ولعل تحديد فناء اللهجات اليمنية ببداية القرن السادس يدل على أن أصحاب هذا التحديد اعتمدوا فيه شعر أمرؤ القيس كأقدم نص يمني عرف فيه العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر الذي يحدد الدكتور يوسف شلحود تاريخ وفاته بعد عام ٥٣٩م ميلادية . ويقول في احدى فقرات بحثه الذي أعده لندوة الحضارة اليمنية . أميل إلى الاعتقاد بأن توحد اللهجات في الجزيرة العربية قد بدأ قبل الإسلام بمدة طويلة بينما بقيت لغة البلاط سائدة لتدوين الحوادث ، وعلينا أن لا ننسى أن إمرؤ القيس المتوفى سنة ٥٣٩م كان من قبيلة كندة اليمنية، وفي ديوانه من الجمال في السبك والاتقان والمجاز ما يدل على أنه ليس أول من

---

(١) المصدر نفسه – صـ١٠٢

(٢) المصدر نفسه – صـ١٠٣

ابتدع القصيدة ولا شك في انها قديمة العهد إذلايمكن أن يتم لها فجأة مثل هذا النضوج ، ومن البديهي أن يكون النضوج اللغوي سابقاً لها »[1].

وكان الفراعنة المصريون - كما جميع حضارات الأرض - يرسلون الأطفال إلى المدارس لدراسة الكتابة على الأوراق ، والحجارة ، وكتابة تاريخهم.. وفي الحضارة المصرية القديمة نقوش كثيرة تؤرخ للحضارة المصرية القديمة وأنشطتها المختلفة .. وهناك نشاط ثقافي مماثل في معظم الحضارات الإنسانية.. بما فيها الحضارة اليمنية القديمة .. ويقول الدكتور جواد علي في كتابة « تاريخ العرب قبل الإسلام « والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطي بل أقدم الأقلام التي وجدت في شبه الجزيرة العربية وهو أقدم حتى من الأبجدية الكنعانية التي يزعم فريق أن المعينيين تعلموا الخط المسند من الكنعانيين برباط التجارة معهم بدليل أن الكنعانية ينقصها حروف و ، ض ، ظ، س ، ث ، غ. ويرى كثير من الباحثين أن الأقلام التي عثر عليها في الجزيرة العربية كلها متفرعة من الخط المسند ، وهي تعد متأخرة إلى حوالي القرن الأول للميلاد وهذا القرن محل نظر فقد وجدت نقوش تحمل أبجديات أخرى وهي تعود إلى ما قبل هذا التاريخ »[2].

والخط العربي وجد قديماً ، وقد تم تداوله في تلك الأزمنة ، واستخدام في حركة علمية واضحة المعالم ..وهو ما يؤكده بعض خبراء الخط العربي «مجموعة من الخطوط العربية كانت متداولة قبل الإسلام من اهمها الخط الكوفي والنبطي والصفوي والثمودي، وكل هذه الخطوط متأثرة بالخط الحميري، وعنها أخذت قريش الخط بفترة وجيزة قبل الإسلام »[3].

ونظراً للركود والرتابة التي أصابت المجتمع العربي واليمني على وجه الخصوص في الفترة التي تفككت فيها الدولة ، وتفرقت الأيدي من حولها، ووقعت فريسة للاستعمار الاجنبي .

ومع هذا كانت الثقافة العربية ثرية وغنية . . تعاملت مع مختلف مفردات الكتابة والمعرفة كما جاء في الكثير من آيات القرآن الكريم مثل «ن والقلم وما يسطرون ».

(١) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور - صـ١٤
(٢) المصدر نفسه - صـ١٥
(٣) المصدر السابق - صـ١٥ - ١٦
● ربما أن المصدر وقع في خطأ تاريخي غير مقصود بما يتعلق بتأثر الخط الثمودي .. فالثموديون سبقوا الحميريون بآلاف السنوات .

«إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى » ، « وإذا الصحف نشرت» ، «الذي علم بالقلم» ، «ولو أن ما في الأرض من شجر أقلام» ، «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم» والكتاب الحامل للمعرفة والذي كان له أهمية خاصة قبل الإسلام ذكر في أماكن مختلفة من القرآن كقوله عزوجل « آيات الكتاب المبين» ، « كتاب مرقوم » ، «كراماً كاتبين» ، « كتاب لا ريب فيه» ، «تلك آيات الكتاب الحكيم» .

إن هذه الآيات لتشير بوضوح إلى أن الكتابة ليست شيئاً جديداً على العرب قبل الإسلام ، وفي التاريخ شواهد تدل على ذلك وأقربها إلى الأذهان ما ذكره المؤرخون عن القصائد المعلقة على البيت الحرام ، وما ذكروه عن الصحيفة التي علقتها قريش في مقاطعتها للنبي عليه الصلاة والسلام والتي استنكرها المطعم بن عدي وعمل على تمزيقها ، ومشهورة قصة الصحيفة التي حملها طرفة بنِ العبد إلى عامل عمرو بن هند في البحرين ، والتي ألقاها المتلمس وفر ناجياً بنفسه وحملها إبن أخته طرفة بن العبد فلقى حتفه بسببها وذلك بعد هجائها عمروبن هند وفي ذلك يقول المتلمس :

أودى الذي علق الصحيفة منها ونجا حذار حبائة المتلمس"[1]

وورد ذكر القلم في التراث الثقافي في الجاهلي ، وعلى وجه الخصوص في بعض الأشعار العربية .. ويقول لبيد العامري وكان كاتباً في الجاهلية :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبد تجد متونها أقلامها

وقال إمرؤ القيس ذاكراً القلم :

عن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

وقال في وصف الطلول ذاكراً القلم:

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان[2]

والدولة اليمنية القديمة أحدثت تحولاً كبيراً في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية .. وهذه التحولات لا يمكن أن تحدث لو لم يكن هناك حركة تعليمية تواكب هذه التحولات العظيمة . « وكانت عصور هذه الدولة ذهبية انتشرت فيها الخيرات ونبغ أهلها في علوم الزراعة وري الأراضي وهندسة

---

(١) المصدر نفسه – صـ١٧
(٢) المصدر السابق – صـ١٨

العمارات والسدود والقنوات وخزانات الماء وشق الطرقات في الجبال والصحاري وفي الشئون التجارية والتشريعية والعسكرية والإدارية والدينية»[1].

وهذه الأعمال الجبارة والمتقدمة لا بد وأن يرافقها حركة تدوين وتسجيل لتخليدها .. وهذا لا يمكن أن يتم إلا عن طريق حركة تعليمية ، وحركة التدوين التي وجدت تدل على أن هناك كانت حركة تعليمية فعلية .. وإلا لما عرفنا شيئاً عن تلك الحضارات ، وحركة النمو والإزدهار التي حدثت فقد اعتاد حكام تلك الدول وقادة جيوشها النقش في الصخور الملساء في الجبال وعلى لوحات من الحجر والرخام والبرونز ليسجلوا المعارك والغزوات بالخط المسند العربي الجنوبي المعروف بالحميري ليقدموا حمدهم لآلهتهم وللقبائل التي ساندتهم في اكتساب النصر وفي الدفاع ضد الغزو «[2].

وقد عثر على عدد واسع من اللوحات والنقوش التي دونت عليها الأحداث التاريخية العظيمة والتي تكشف عن الواقع التربوي والتعليمي الذي بلغته البشرية حينها . فالتاريخ دون لنا أخبار الكثير من الأمم البائدة ، التي ذكرت في القرآن الكريم ، وظهرت في النقوش القديمة .. تؤكد بأن هذه القضايا لا تأتي فقط بالتعلم وإنما بحركة تعليم ودراسة « وحين نراجع المدونات القديمة التي كتبت عن حضارات معين وسبأ وقتبان وذي ريدان وأوسان وحمير . تقف على سلاسل كثيرة من تاريخ الملوك والدول تسمي أولئك الحكام، وتشير إلى خلفائهم في الحكم واحدا بعد واحد . فكيف يمكن أن يتم ذلك كله إذا لم يكن تدوين قضايا التاريخ مسألة قديمة ، وليست مجرد رواية تتداولها أفواه الخلف عن السلف»[3].

التعليم إذاً قديم ، وتقتضي الحياة أن يكون هناك تعليم وتعلم ، وهو ما يؤكده الشيخ محمد عبدالجبارنعمان الذي يقول : بأن هناك أحبار وعلماء بما أنزل من الكتب .. والرسالات الإنسانية القديمة .. والإسلام الحنيف اشترط الإيمان بالكتب القديمة ولهذا كان هناك تعليم وتعلم في وقت واحد .

---

(١) لقمان / حمزة علي - معارك حاسمة في تاريخ اليمن - مركز الدراسات اليمنية - صنعاء - الطبعة الأولى ١٩٧٨م - صـ٦

(٢) المصدر نفسه - صـ٤

(٣) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور - صـ٢١

٢

المبحث الثاني

الفصل الأول

المبحث الثاني
الفصل الأول
المعنى الفلسفي لفلسفة التربية

للتربية بعدا فلسفيا وثقافيا وفكريا وترتبط ارتباطاً موضوعياً بالمجتمع ومن هذا الترابط تكتسب أهميتها الموضوعية والجدلية . وعندما تكون التربية عملية هادفة تصبح فلسفة للحياة والواقع وهي أرقى وأسمى القضايا التي ترتبط بحياة الشعوب ، والتربية كفلسفة للحياة والواقع ارتبطت منذ القدم بمفهوم الإنسان وبنمط حياته .. بمفهوم التغير والتحديث الاجتماعيين ، وأصبح كل فيلسوف يتناول التربية من واقع تخصصه ومجالات عمله .. فالتربوي يتناولها من حيث المتغيرات المختلفة التي تحدثها التربية في عقلية الأطفالوأبناء المدارس المختلفة، والنفساني يتناولها من حيث النمو والتغييرات الجسمانية والعقلية التي تطرأ على الطفل منذ ميلاده وحتى مماته .. سواء كان هذا النمو تغييرا أو العقل كالذكاء والذاكرة وغيرها .. فيما يحرص الاقتصادي على تناول موضوع التربية من حيث وضع الخطط والبرامج العملية ، وإيصالها إلى ذهنية الجماهير بأسلوب مبسط .

ولأننا بصدد الحديث عن فلسفة التربية سأحاول تناول هذا الموضوع من زاوية واحدة وهي التربية والتعليم باعتبار أن هذا الموضوع يشكل الحلقة الأساسية في سلسلة التطور والتقدم الذي تشهده البشرية في سياق تطورها ، ولأن هذا هو هم مجتمعاتنا الإنسانية اليوم.. سنحاول الحديث في هذا الإطار مع المختصين التربويين لما سيكون له من مردود ايجابي في تطور العملية التربوية الحديثة.. ولا يمكن أيضا الحديث عن التربية المعاصرة بعيداً عن الأهداف العامة للمجتمعات البشرية .

وفي اليمن مثلاً كانت التربية قبل الثورة مرتبطة بعمق بالفلسفة التعليمية للإمامة والاستعمار والسلاطين ، والتي كانت تقوم على أساس تكريس واقع الجهل والتخلف والتبعية بمختلف أشكالها وألوانها ، ولكنه كان تعليماً نوعياً وبعد الثورة مباشرة أخذت التربية بعداً إنسانيا آخر ، وأخذت ترتبط بفلسفة الثورة ، وبأحلام الجماهير في الانفتاح والتقدم والإزدهار والتحرر من مخلفات الماضي .. وهذا يعطينا مؤشراً واحداً هو أن التربية لا تدرس بمفهومها العلمي الحديث إلا في ظل المناخات الديمقراطية الحرة حيث تعد الأجيال أعداداً

علمياً صحيحاً ، ويتشكل وعيهم الاجتماعي والتاريخي بروح الحضارة والثورة والإنسانية . ويوجه ضد التخلف واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وهو ما تعمل على تكريسه الأنظمة الديكتاتورية المتخلفة ، ومن هذا المنطلق سيتم العمل على إبراز القضايا التربوية الأساسية ، حتى نتمكن من تحديد المعنى الفلسفي لفلسفة التربية والتي نحن بصدد تناولها الآن .. وقبل أن نمضي في هذا التحديد لا بد من التأكيد على أن الفلسفة والتربية مجالان منفصلان عن بعضيهما كما يبدو لنا ، ولكن في حقيقة الأمر بينهما ترابط عضوي، وهذا الترابط قديم قدوم الفلسفة فالفلسفة تعبر عن أوضاع الثقافة والتربية وتحل مشكلاتها المختلفة .

أما التربية فهي الجانب المتخصص من الفلسفة ، وهي تنفيذ للمعنى الإنساني في المناقشات الفلسفية . تترجم قيمها ومعانيها إلى عادات واتجاهات . ومهارات سلوكية ((... وفلسفة التربية تساعدنا على أن نرى العمل التربوي في كليته ، وفي علاقته بمظاهر الحياة الأخرى ، واهتماماتها . فالفرد في العصر الحديث يشتغل بمهنته أو ميدان تخصصه . ويفقده هذا ادراكه للمكان الذي يمثله في الاطار العام للأشياء وهذا يؤدي في الغالب إلى احساسه بقلة النفع في عمله لأنه لا يحسن الانتماء ولا يشعر بمعنى العمل الذي يقوم به ، ولا يدرك الفرد أن عمله جزء من كل وأنه يسهم بنصيبه في الحياة لا بالنسبة للأفراد وانما بالنسبة للإنسانية والكونية ، وبذلك يشعر الفرد بنوع من السرور والرضى ، وهما صفتان لازمتان للسعادة الإنسانية .. وفلسفة التربية تمدنا بوسيلة للتعرف على أنواع الصراع والتناقض بين النظرية والتطبيق في التربية . ومحاولة القضاء عليها[1].

وبين الفلسفة والتربية علاقة ترابط وتكامل وتلاحم . وهذه العلاقة لا بد منها .. فالفلسفة في ضوء هذه العلاقة . وكما يفهمها الفيلسوف الألماني فخته تساعد التربية على تحقيق أهدافها ومراميها المختلفة)) .. إن فن التربية لن يصل إلى أصالة الوضوح التام بدون مساعدة الفلسفة ، فهناك علاقة متبادلة بين الأثنين ، واحدهما بدون الآخريكون ناقصاً لا يمكن الانتفاع به .. أما جون ديوي فقد طالب بصون حرية الفرد في التفكير وطالب فصل التعليم عن اشراف الحكومة أو الكنيسة وجعله عاماً حتى يتحقق للطفل حريته ، وفلسفته، وهذه أدت إلى ظهور مذهب جديد في التربية وهو المذهب التهذيبي أو التثقيفي[2] .

---

(١) د. صالح/ هاني عبدالرحمن – فلسفة التربية – عمان ١٩٦٧م – صـ ٢٠١
(٢) المصدر نفسه – صـ ١٦

وتقوم أيضاً فلسفة التربية بعملية تفسير وتحليل الواقع ، وتكشف عن الأهداف التربوية وأبعادها المختلفة ، وما يتضمنه الواقع من قيم وأخلاقيات ((. .. فلسفة التربية تحلل الواقع الاجتماعي وتصوراته الفكرية ، وتعمل على تفسيرها علمياً مع الكشف عن الأهداف المتضمنة والنتائج المتوقعة . ذلك أن الواقع الاجتماعي انما يشتمل على مركب كبير من القيم الايجابية والسلبية . وهذا يجعل عملية التمييز والاختيار هي المجال الذي تستمد منه فلسفة التربية أصولها وأهدافها[1] .

والنظرة الفلسفية نظرة موضوعية مرتبطة بالواقع ، تتأثر بمؤثراته المختلفة فهي مرآة الواقع تعكس بصدق وموضوعية ما عليه من تراكمات سلبية وايجابية .. ومن صراعات وتناقضات .. فنظرة الفلسفة للواقع ينبغي أن تكون واقعية لها ارتباط وثيق بالإنسان والبيئة ((.. وهذه النظرة الفلسفية للتربية تتفق فيها المعرفة مع العمل والنظر مع التطبيق والإدراك الحسي مع الإدراك العقلي ، والإنسان مع البيئة ، فالتفاعل بين كل هذه الأطراف أصل الحياة والتناقض ، والصراع الذي ينشأ بين الأفراد والجماعات لا يحدث إلا في ضوء هذا التفاعل. ولا يمكن مواجهته إلا في مجال العمل والنشاط . أي في مجال وحدة الخبرة الاجتماعية ، وهي بالتالي مجال لنشأة المعرفة والأفكار وهي مجال تطبيقها وتطويرها [2] .

وينظرالكثير من الاختصاصيين والمهنيين لقضايا التربية على أنها «عملية اجتماعية بمعنى أنها تعد صورة لحياة المجتمع الذي تعيش في اطاره . تعكس فكره الاجتماعي ، وتشير إلى مدى نموه وتطوره ، وتحدد درجة تطلعه وطموحه وألوان النشاط المتعددة للأوجه التي يمارسها أفراده».

لذلك فهي لا تنبع من فراغ ، وانما تستمد أصولها وأهدافها من طبيعة الفلسفة الاجتماعية القائمة ، بحيث تصبح العلاقة بينهما علاقة ديالكتيكية تفاعلية حية مستمرة ومتجددة ، تحددها وتوثقها عدة اعتبارات رئيسية هامة[3].

وهذه النظرة الموضوعية التي يبرزها الكاتب انما تبرز الهدف العام والسامي للتربية لأنه يتناولها من عدة مناهج تربوية علمية ، ومن أبرز هذه المناهج الاجتماعية والمادية والمثالية وغيرها .. وفلسفة التربية لا تقوم الا على الفلسفة

---

(١) د / بركات / لطفي بركات – في فلسفة التربية – مكتبة الخانجي – القاهرة – صـ ٢٨.
(٢) المصدر السابق – صـ ٢٩
(٣) المصدر نفسه – صـ ٢٨

العامة ومشكلاتها . فالإنسان هو موضوع التربية الأول . والفلسفة في مشكلتها إنما تنطلق من الالمام الكامل بجوانب حياته المختلفة .

« .. وتعتمد فلسفة التربية على الفلسفة العامة حيث أن المشكلات الرئيسية في التربية تعتبر في أساسها مشكلات فلسفية . فنحن لا نستطيع أن ننتقد المثل والسياسات التربوية القائمة أو أن نقترح مثل وسياسات جديدة دون أن ننظر في مشكلات فلسفية عامة: مثل طبيعة الحياة الجيدة التي ينبغي أن تؤدي إليها التربية ، وطبيعة الإنسان ذاته . حيث أن الإنسان هو موضوع التربية »[١] .

وتدرس فلسفة التربية ضمن تخصصاتها مختلف الآراء والأفكار ويتساءل الدكتور / أحمد حسن عبيد عن ماهية فلسفة التربية « .. أهي دراسة لآراء الفلاسفة التقليدين فيما يتصل بالتربية ؟ أهي مجموعة من المبادئ التربوية التي يمكن للمربي أن يسترشد بها في الممارسات المهنية ؟ أهي بحث عن أرض مشتركة بين التربية والفلسفة ؟ أهي دراسة لمشكلات التربية تكون فيها المشكلة التربوية محوراً لجميع ما حوله من مجالات العلم والمعرفة ، وتقدم فيه من قضايا الفلسفة ما يساعدنا على دراسة المشكلة بطريقة فيها احاطة وعمق ؟ هذه اتجاهات أربعة ينعكس الآخر بأي منها على تشكيل «فلسفة التربية» وتحديد محتواها»[٢].

ويتطرق الكاتب ذاته إلى وضع الكليات والمعاهد التربوية في بلداننا العربية وعدم قدرتها على إيصال هذه الأفكار لطلابنا « .. نجد أن المعاهد والكليات التربوية في مثل هذه الدول لا تهتم عادة باثراء مادة (فلسفة التربية) فيها بما يقدم في معاهد وكليات الدول الأخرى . وقد يهم هذه المعاهد والكليات أن تعتزل مؤسسات الدول الأخرى أكثر مما يهمها الالتقاء الفكري بها أو التقارب منها . انها تريد مدرسين من طراز وضع مقدما بقيمة «[٣].

ويتناول الدكتور (عبيد) هنا فلسفة التربية من حيث اتصالها بالنظم السياسية . ويرى أن النظام السياسي له بصماته الواضحة على مسار التربية في أي مجتمع كان . وهذا ما أشرت اليه في مقدمة هذا الموضوع عن وضع التربية في اليمن قبل الثورة وبعدها .. فوعي الطلاب يتشكل وفق الطريقة التي ينتهجها النظام السياسي في هذا أو ذاك البلد « .. أو حتى بالنسبة لمدرس فلسفة التربية.. حين

---

(١) د/ عفيفي / محمد الهادي – في أصول التربية الأصول الفلسفية للتربية – صـ١٠
(٢) د/ عبيد / أحمد حسن عبيد – فلسفة النظام التعليمي – صـ ١١
(٣) المصدر نفسه – صـ ١١، ١٢

يعمل في جو حر يختلف عنه حين يعمل في جو الديكتاتورية ذات الأيديولوجيات الجامدة . .. فمدرس فلسفة التربية في جو حر يستطيع أن يقوم الآراء المتوازية أو المتعارضة وأن يعرضها عرضاً علمياً بعيداً عن التحامل الجائر أو التميز دون مبرر وهو صاحب حق في أن يعرض رأيه على طلابه ، ولكن ليس من حقه أن يلغي حقهم في التفكير وإبداء الرأي .. أما مدرس فلسفة التربية في النظام الديكتاتوري فعليه اذا أراد أن يستمر في كسب عيشة من هذا الطريق ألا يتجاوز في درسه حدود ما يقدم له أو يفرض عليه ، وألا يسمح لتلاميذه بشيء من ذلك التجاوز [1].

ومما تقدم فإن التربية في ظل النظام الديمقراطي تعمق النزعة التعاونية والجماعية بين الطلاب وتقضي على النزعة الفردية والانتهازية التي تجسدها الأنظمة الديكتاتورية لأن التربية «تعتمد على الفلسفة العامة ، حيث أن المشكلات الرئيسية في التربية انما هي في جوهرها مشكلات فلسفية . فلا يمكن مثلاً نقد استراتيجيات أو سياسات تعليمية واقتراح بدائل لها دون النظر في مشكلات فلسفية عامة . مثل طبيعة الوجود الذي ينبغي أن تؤدي اليه التربية . وطبيعة الإنسان نفسه باعتباره موضوع التربية ، وطبيعة المجتمع ذاته لأن التربية في جوهرها عملية اجتماعية ، وطبيعة المعرفة وأدواتها ومكانتها باعتبارها أدوات للكشف عن عنصر الوجود الإنساني والمجتمع »[2].

ويتناول بركات أهم سمات فلسفة التربية ، ومردودها الإيجابي على أفراد المجتمع وعلى تقوية العلاقة بين المجتمعات البشرية وأنظمتهم الاجتماعية والسياسية .

«وفلسفة التربية لا تقف عند حد تحليل المتناقضات الاجتماعية وتقديم حلول لها وانما تقوم على ضرورة تشكيل المبادئ والأنظمة لتحقيق مستقبل أفضل . يكفل الكفاية والعدل لكل المواطنين »[3].

ويعطي الدكتور على ماضي مفهوم أشمل وأعم لفلسفة التربية ، وهو مع هذا لا يخرج عن مفهوم الفلسفة بصورتها الشمولية . فالفلسفة والتربية لديه حقيقتان متلازمتان . لا يمكن فصلهما عن بعض . « .. الفلسفة هي التربية لأنها تعني بكل حياة الإنسان طفلاً وفتى ويافعاً ورجلاً وكهلاً وتدريه على كشف

(١) المصدر السابق – صـ ١٣
(٢) د/ لطفي بركات – في فلسفة التربية – صـ ٢٩
(٣) المصدر نفسه – ص ٣٠

الحقائق لا خزنها ، وتنمي لديه روح البحث عن كل واقعة علمية أو وسيلة فكرية تساعده على تحقيق المزامنة وتسيير أمور حياته . وترفعه من درك الحيوان إلى مرتبة الإنسان وأن كل عمل تربوي هو عملية فلسفية وأن الفيلسوف هو المربي وكل مربي صحيح فيلسوف حكيم»[1].

وتعنى التربية بجزء من الوجود البشري كاللغة والفن والعلم . فهي كما يقول الدكتور علي ماضي « .. «تساؤل» جذري عن عملية التعليم وعلاقة الأبناء بالأهل، وطبيعة العائلة ومشكلاتها وقيمها ومعناها . كما تبحث في قيمة المواد الدراسية والثقافية . انها تسأل عن الطبيعة البشرية كي تسبر غورها وتفهم تكويناتها بغية تربيتها . انها تتأمل في غايات التربية : من تربي ؟ وما هي المعايير التي تقاس بها التربية التي توصف بأنها ناجحة ؟ »[2].

(١) د/ ماضي / علي ماضي – فلسفة في التربية والحرية – الطبعة الأولى ١٩٧٩م صـ ١٢.
(٢) المصدر نفسه – صـ١٢

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الجذور التاريخية لفلسفة التربية

الفكر التربوي ، فكر قديم ضارب جذوره في أغوار التاريخ الإنساني البعيد، حيث أهتم الإغريق بالتربية، واعتبروها ضرورية وأساسية لإكساب الفرد والمجتمع، معارف وقيم خلقيه، وتعليمهم الفضيلة والأخلاق الحسنه ، واهتم الكثير من أرباب الفلسفة بالتربية باعتبارها أكثر ارتباطاً بالناس ، ولهذا مضى الكثير منهم في تعليم الناس وإنشاء المدارس الخاصة وهذا يقودنا إلى التعمق في ماضي الاغريق التربوي أكثر شعوب الأرض اهتماماً في هذا الاطار وقد تركوا لنا تراثاً إنسانياً عريقاً ، فقبل أفلاطون كان هناك تراثاً ثقافياً وفكرياً تربوياً كبيراً .

ويوضح المشهد التربوي الذي كان قائماً إنذاك وتأثيره المباشر على تنامي وتطوير الحركة التربوية التي تطورت فيما بعد وأصبحت شاهداً على واقع الفكر الفلسفي التربوي الذي وصل قمة تطوره في العصر الحديث .

مدارس ما قبل أفلاطون :

١- الفيثاغوريون

إذا قمنا بدراسة متأنية لواقع الفكر اليوناني قبل أفلاطون سنتمكن بالتأكيد من معرفة واقع الأفكار والمقولات التي كانت قائمة وقتها .. باعتبارها منتجات اجتماعية تاريخية تعطينا مؤشراً لواقع تلك المرحلة وطريقة نقل المعلومات والأفكار ، ولنأخذ ذلك منذ زمن الفيثاغوريين فبعد سنة ٥١٠ ق.م «ترك فيثاغورس كروطون إلى ميتابونت حيث قضى بقية حياته هناك ، وتخبرنا مبليخوس أن فيثاغوراس كان قد زار قبل وصوله إلى كروطون مدينة ملطيه حيث لقي طاليس وتعرف على علومه وتنقل بعد ذلك في فينيقيا ومصر حيث درس الهندسة والفلك والعقائد المصرية القديمة ، ثم مر ببابل ودرس الحساب والموسيقي واطلع على اسرار المجوس »[1].

(١) د/ حرب / حسين – الفكر اليوناني قبل أفلاطون (١) – دار الفارابي – بيروت ١٩٧٩م – صـ ٣٩-٤٠

وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه بأن التعليم كان موجوداً في الماضي ويمارس بطرقٍ وأساليب مختلفة . ففي الماضي كان هناك شكل من أشكال التعليم ، وكان أيضاً هناك حركة تعلم متعددة المظاهر والأشكال والأساليب .

والفيثاغوريون كانوا جزءاً من تلك الحركة فقد « كانوا أول من درس العلاقة بين الموسيقي والرياضيات . كانت التعاليم تنقلٍ إلى المريدين شفاها عن الأستاذ وليس كتابة ولم يذكر أن فيثاغوراس ألف كتباً ، ولم تدون التعاليم إلا في فترة متأخرة مع أواخر الفيثاغوريين »[1].

التعليم بمفهومة الواسع بدأ باستخدام الكتابة والقراءة في مرحلة لاحقة للفيثاغوريين ، ولكن الفيثاغوريين أنفسهم درسوا العلوم والهندسه والعقائد وغيرها من حضارات المصريين القدامى ، ومن بابل وحضارة الشرق .. التعليم إذا كان قائماً وكانت بالمقابل هناك حركة علمية واضحة ، وكذا حركة تعليم على قدم وساق .

وترتكز الحياة الثقافية والفكرية اليونانية القديمة على ركائز أساسية كانت لها دور بارز في اثراء العملية التعليمية ، وعلى وجه الخصوص التنافس الواعي بين مختلف المدارسِ العلمية ، وهي التي حددت المشهد الثقافي والتربوي وقتها، وكان لها دوراً بارزاً في تطوير الحركة العلمية وتحديد معالمها .

فالتفلسف في هذه المرحلة حدد ملامح الخارطة الثقافية والفكرية التي امتدت إلى عالم اليوم .. بل أن الحركة الفلسفية شكلت الأساس للحركة الثقافية والعلمية للعالم بمختلف اتجاهاته وثقافاته ودياناته .

وهذا أمر طبيعي للواقع اليوناني القديم الذي شكلته العديد من المدارس الفلسفية الفيثاغوراسية والمدرسة الأيلية والذرية وغيرها من المدارس التي اكتسبت أهميتها الفائقة من قيمة الأفكار التي خلقتها ، والمعلومات التي أكسبتها العالم من حولها .

وهنا نجد أن «الوقيبوس أسس مدرسة تتلمذ فيها ديموقريطس الذي تجول في الكثير من البلدان واستمع إلى آراء علمائها ، زار بابل والهند ومصر ، واطلع على آراء المجوس وحكمة الهند والعالم المصري ، وألف كتباً في شتى الميادين ولكن أكثرها فقد ولم يسلم منها إلا بعض الشذرات »[2] .

(١) المصدر السابق ـــ صـ٤٣
(٢) المصدر نفسه – صـ ٦٩

٢. السفسطائيون :

السفسطائية حركة اجتماعية وسياسية نزلت إلى الشارع لتعلم الناس فنون الخطآبة والجدل ، وفن الاختلاف .. فالمواطنون يلعبون دوراً أساسياً في العملية الديمقراطية والسياسية .. ولكي يكون المواطن شريكاً فاعلاً في هذه العملية في ادراك الواقع على حقيقته ، لا بد أن يكتسب المعارف والخبرات عن طريق التربية السياسية حتى يتمكن من الدفاع عن مصالحه وحكم نفسه بنفسه . «ان محاسبة القادة والدفاع عن المصالح والتنافس الذي تتيحه الديمقراطية في زمن حرمت الأصول القضائية اللجوء إلى المحامين ، كل هذا يحتم على المواطن امتلاك فن الاقناع والنقاش والجدل والفصاحة والخطابة . »[١].

لقد مثل ظهور السفسطائيين في ذلك العصرحاجة اجتماعية وسياسية ملحة اقتضاها التطور العام في الفكر اليوناني لهذا أنزلوا الفلسفة من السماء إلى الأرض وحرروها من الأفكار الخرافية وربطوها بالواقع الاجتماعي مباشرة .

«والسفسطائي في اليونانية تعني المعلم أو رجل المعرفة ، وهو يعلم الحكمة ويلقنها للناس ويساعدهم على امتلاكها . فلم تعد الحكمة مع السفسطائيين وقفاً على الآلهة لقد علموها وأنزلوها من السماء إلى الأرض . وقاسوها بمقاييس بشرية ، وعمموها وأحدثوا انقلاباً في النظرة إلى الثقافة ، وخلقوا طموحات وأفكار وقيم جديدة »[٢].

السفسطائيون هنا اتبعوا أسلوباً ثورياً جديداً لم يكن مألوفاً أو معروفاً فالحاجات الاجتماعية تتطلب مزيداً من النقاش والجدل أمام الجمعيات والمحاكم الشعبية .

«واعتبروا الخطابة أو فن المقال خير ما يعبر عن الحقيقة الطبيعية والاجتماعية لذلك شرعوا في تعليم الجدل في بيوت أغنياء أثينا ومنهم كالياس وكاليكليس وفي بعض الأحيان كانوا يلقون محاضراتهم في أماكن عامة لقاء أجر للدخول وكانوا يستغلون المناسبات التي يتجمع فيها أكبر عدد من الناس ليعرضوا فنهم»[٣].

---

(١) المصدر نفسه – صـ ٧٨
(٢) المصدر السابق – صـ ٧٩
(٣) المصدر نفسه – صـ ٨٠

٣. سقراط :

يعد سقراط أول من أسس حركة فلسفية حقيقية .. حيث نقل الفكر الفلسفي من مرحلة [illegible] التفكير البدائي الساذج إلى مرحلة الأفكار الجادة .. واهتم [illegible] بدرجة [illegible] بمحو آثار الثقافة السفسطائية التي اختلف معها اختلافاً جذرياً [illegible] اهتم بالتربية اهتماماً شديداً وأكد قيمة المعرفة ، وكانت هذه المعرفة ذات طابع عملي . فهي معرفة تتصل بالحياة مباشرة . بل أساس جميع الأعمال الفاضلة ..»[1].

٤. أفلاطون :

أولت الفلسفة الإغريقية التربية عناية خاصة باعتبارها الأداة الأكثر اتصالاً بالإنسان وبكينونته .. وباعتبار ثانياً أن الإنسان كائن عاقل ومفكر على حد سواء، وأفلاطون الفيلسوف اليوناني المعروف أولى هذه العملية أهمية خاصة « .. فقد وضع نظاماً تربوياً شاملاً يكشف عن مواهب الفرد كي تتحقق الفضيلة في الفرد والعدالة في المجتمع ، وكان يرى أن المدينة الفاضلة هي التي تمتاز بالحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . فالمدينة حكيمة بحكامها مقدامة بجيوشها ، معتدلة بعفة أهلها ، وعادلة حين يقوم كل فرد فيها بالعمل الذي يصلح له »[2].

وقد سبق أفلاطون الفلاسفة المحدثين الذين تناولوا التربية من زاوية اتصالها بالإنسان وانقسام الإنسان إلى عقل وجسم . وهذا يعود إلى الطبيعة الإنسانية الحية والتي تقوم على أساس نظم معقده بارزة في الإنسان وكامنة فيه .»لقد نظر بعض الفلاسفة والمفكرين والسيكولوجيين إلى الطبيعة الإنسانية على أنها شيء ينقسم إلى جسم وعقل . أي أنهم نظروا إليها نظرة ثنائية . أما العقل فليست له حده الخدود ، بل هو أقرب إلى الروح منه إلى أي شيء آخر ، ولقد نادى أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) بهذه الثنائية وبنى عليها نظريته في التعلم . ولقد بدأ أفلاطون بسؤال نفسه كيف تدخل الأفكار الجديدة العقل ؟ هل الفضيلة مثلاً أن تعلم ؟ هل هي هبة من الله أم أنها نوع من السلوك يكتسب عن طريق التربية ؟ .

وإن لم يكن الإنسان قد ورث الفضيلة فأين يمكنه أن يتجه للبحث عنها ومعرفتها ، أي ما هو الميدان الذي يمكن للإنسان أن يعرف فيه الفضيلة ؟ ولم يستطع أفلاطون أن يجيب على هذا السؤال فاتجه إلى الجانب السهل الآخر

---

(١) د/ شفيق/ محمود عبدالرزاق – الأصول الفلسفية للتربية – دار البحوث العلمية ١٩٧٨م – صـ ٧

(٢) المصدر السابق – صـ ٧

وهو الجانب الوراثي . ويقال أن التعليم هو تنمية القدرات الكامنة من الداخل ، ولكن كيف يصل الإنسان الى الأفكار والحقائق ؟ وأين يجدها ؟ وما وسيلتها إلى ذلك ؟ وهنا يبدو بناء أفلاطون إلى تقسيم العالم تقسيما يقابل هذا التقسيم الثنائي للإنسان . فالعالم عالمان : عالم علوي سماوي لا نستطيع أن نصل إليه فقدرتنا محدودة ، ويحوي هذا العالم المثل العليا من الخير والحق والجمال ، ويسود فيه العدل المطلق وتوجد فيه الحقيقة المطلقة . وهناك العالم الذي يعيش فيه ويتصل به ونتألم فيه ونفرح من أحداثه ، ونمارس فيه حواسنا . هذا العالم هو العالم الواقعي العملي ، وهكذا يوجد هذان العالمان جنبا إلى جنب دون أن يوجد ما يربط بينهما اللهم إلا أن يكون ذلك نوعا من السر العميق »[1].

وديـوي الفيلسوف البرجماتي الحديث لا يذهب بعيداً عن هذا المفهوم الأفلاطوني فهو يعتقد بعالمين « ... أحدهما أعلى يشتمل على القوى التي تحدد مصير الإنسان في جميع الأمور الهامة . أما الآخر فيشتمل على الأمور الدارجة التي يعتمد فيها الإنسان على مهارته الخاصة وما له من بصيرة يملكها بالفعل، وورثت الفلسفة فكرة هذا التقسيم ، وفي الوقت نفسه بلغت كثير من الفنون في بلاد الإغريق حالة من النمو رفعتها فوق مجرد المنزلة العادية . فلايهم اشارات كانت تدل على القياس والترتيب والانتظام في المواد التي يستخدمونها وتدل على وجود نزعة عقلية في أساسها ، ونشأ كذلك بسبب نمو الرياضيات مثل أعلى من المعرفة العقلية الخاصة لها في ذاتها كيان وضد وقيمة »[2].

وإذا كانت مدرسة الأغريق قد تميزت بعلومها وفلسفتها فإنها استطاعت أيضا أن توجد علاقة متميزة بين الناس وعلومهم وبين الناس وفنونهم، فالتقييم الذي شمل عدد واسع من العلوم الإنسانية أصبح أحد أبرز صفات الفلسفة طبقالذلك((وظهرت في بلاد الإغريق هذا التميز . بين الفنون الميكانيكية والفنون الحرة ،بين ما يتعلق بالأشياء وما يتصل مباشرة بالأشخاص فالنمو والخطابة مثلا ـ عندما نبحث في الكلام وتفسير الأدب وفن الاقناع . كانا أعلى من الحدادة والنجارة ومعنى هذا أن الفنون الميكانيكية كانت تتعلق بأمور كانت مجرد وسائل ، وأن الفنون الحرة كانت تتصل بأمور غايات لها قيمة غائبة وذاتية . ثم عملت الأسباب الاجتماعية على وضوح هذا التميز وعلى استقرار هذا الفصل . فالطريقة التي كانت تمارس بها الفنون الميكانيكية كانت الطريقة العلمية وكانت على طريق العمل والتكرار وتقليد الآخرين حتى يصل المتعلم

---

(١) فلسفة التربية – صـ١٢٢

(٢) المصدر السابق – صـ١٢٤

إلى مستوى معين من المهارة . أما الفنون الحرة فكانت مرتبطة بطائفة يتولون مناصب ويتقلدون مراكز النفوذ ، وكان هذا ما يضفي عنهم شرف وصدارة ، ولم تكن أعمالهم تتصل بالناحية الجسمية بل بالتدريب على التفكير والفهم وعلى أعمال العقل في أمور الحياة . وهكذا ازدادت هذه المشقة اتساعاً واستقرت على وضع بعينه »[1].

لقد كان أفلاطون من طبقة الأشراف الذين يهمهم البقاء على الوضع الاجتماعي السائد مجسداً بذلك . وفي فلسفته الوضع الاجتماعي المتميز لأسرته أو مكانة هؤلاء الأشراف في المجتمع .. فالأشراف في المجتمع هم سادة المجتمع وخلاصته ، والفئات الاجتماعية الأخرى خلقت لخدمة الأشراف .. وبقاء الوضع السائد يعني الحفاظ على مصالح الأشراف ومكانتهم الاجتماعية.. ولذا جاءت فلسفة أفلاطون الثنائية في هذا الاطار لتجسد النظام الطبقي الذي بلغ ذروة انفجاره عند ماركس في القرن التاسع عشر .

«أدى هذا المذهب الثنائي إلى أن تنفصل الشخصية عن السلوك والإرادة عن العمل والدوافع عن الفعل ، ولقد عمدت بعض النظريات الأخلاقية على هذا الأساس الثنائي إلى تقسيم الواحد إلى قسمين غير مرتبطين . قسم داخلي يسمى الدافع وقسم خارجي يسمى العمل ، وأصبح الخير الأسمى هو الإرادة الخيرة ، وغدت الإرادة شيئاً يتعارض مع النتائج أو ينفصل عنها ، وأصبح هناك خير أخلاقي وخير موضوعي ، ويتركز الاهتمام على الاصلاح الذاتي مع اهمال النتائج الموضوعية ، وترتب عليه أن كان هذا الاصلاح غير حقيقي على الاطلاق لأنه ينفصل عن هذا العالم الذي يعيش فيه وعن نتائجه الموضوعية التي تستطيع السيطرة عليها ، ذلك لأن هذا العالم في نظرهم .. متغير متقلب لا تستقر فيه الأمور على حال ، بل أنه يعمل على معاونة الشر وعلى انتهاك الفضائل الأخلاقية أليس هذا هو العالم الذي تجرع فيه سقراط السم واحتل فيه الشرير مقاعد السلطان ، ونحيي فيه الفاضل من مكانه ، وانتحت فيه الفضائل ركناً منعزلاً ؟ إن الفضائل الأخلاقية لا تستطيع أن تعيش أو تتحقق في هذا العالم . إن الوجود المطلق الحقيقي هو الذي يكون فيه العدل هو العدل الوحيد وهو العدل المطلق، وبذلك أصبحت الأخلاق لا تمت بصلة إلى عالمنا الواقعي ، وأصبحت علوية سماوية تتصل بالعالم الآخر الذي يمكن أن تتحقق فيه الفضائل الأخلاقية »[2].

---

(١) المصدر السابق – صـ ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) المصدر السابق – صـ ١٢٦ – ١٢٧

٥- أرسطو :-

أرسطو هو تلميذ أفلاطون وهو المعلم الأول الذي خطى بالتفكير الفلسفي بعد سقراط وأفلاطون خطوات إلى الأمام وهو «مؤسس الفكر الواقعي أو الفلسفة الواقعية ومنه انبثقت مختلف صور الواقعية ، ويرث أرسطو من أفلاطون فكرة الثنائية »[١].

لقد لعب أرسطو دوراً متميزاً في التربية .. وأصبح من المجددين تربوياً في عصره الذي اتسم بالصراع الفكري والسياسي . انه « أحد قادة نظريات التربية الذي كان لهم أعظم الأثر في العصور التالية فقد اقترب بفلسفته من العصور الحديثة حتى قيل أنه « أحسن مربي في أي عصر »[٢].

مما تقدم يتضح بأن التعليم في اليونان القديم تطور بصورة كبيرة ، وأصبح موضوعاً خصباً للفلسفة اليونانية التي أصبحت قوة فكرية مؤثرة ومهيمنة على جميع الثقافات والفلسفات العالمية ولا يزال تأثيرها قائماً حتى عصرنا الحالي.

« في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد تطور التعليم في اليونان أفقياً ورأسياً وقدم الفلاسفة اليونان أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو نظريات في التربية تكرس الوضع الطبقي للمجتمع المقسم إلى فئات ارستوقراطية تفكر وتحكم وتملك العبيد .. وفئات متوسطة تخدم مصالح الارستوقراطيين ، وفئات مقهورة مملوكة للارستوقراطيين لاحول لها ولاقوة . وركزت الفلسفة اليونانية في مجالي التربية على الفصل بين العمل الذهني والعمل اليدوي حيث خصصت التربية الذهنية لأبناء الفئات العليا لإعدادهم للحكم والقيادة وبشيء من التربية لأبناء الفئات المتوسطة لإعدادها للأعمال الإدارية والتجارية وخصصت التربية العملية لأبناء الفئات الدنيا لإعدادهم للأعمال الحقيرة والشاقة »[٣].

وتتجسد فلسفة التربية بآفاقها الطبقية بوضوح في فلسفة بعض أقطاب الفلسفة اليونانية وعلى وجه الخصوص في فلسفة أفلاطون .. وربما أن لفلسفة أفلاطون التربوية تأثير واضح في الفكر التربوي الإنساني وعلى وجه الخصوص فلسفة العصر الوسيط المسيحية منها والإسلامية .

---

(١) فهمي / محمد سيف الدين – النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية – مكتبة الإنجلوا المصرية ١٩٨٠م الأولى – صد ٤٤

(٢) د/ شفيق / محمود عبدالرزاق – الأصول الفلسفية للتربية – صد ٧.

(٣) – التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – مرجع سابق – ص١٢

وهذا طبيعي جداً طالما وأن الفلسفة اليونانية كانت أحد الروافد الأساسية لهذه الفلسفات . فالتربية في ظل المجتمع اليوناني القديم تطورت تطوراً كبيراً، وأصبحت جزءاً من المنظومة السياسية القائمة على أساس المجتمع الطبقي وأهم خاصية لهذا التعليم هو أنه « يركز على نمو وتطور الملكات العقلية ويعتمد الطريقة التلقينية التي تعطي وزناً للمواد التي تقبل استخدام الحفظ الآلي .. ولهذا فهو أي التعليم الكلاسيكي ينشد المعرفة لذاتها ، وليس من أجل أية قيمة عملية قد تكون لها » [1].

(١) المصدر نفسه – صـ ١٢

الفصل الثالث

الفصل الثالث
فلاسفة العصور الوسطى

اتسم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ببعض الخصوصيات والمميزات الخاصة .. فقد كان للحياة الاجتماعية والسياسية في هذه العصور أثرها الواضح على المفكرين .. ففي الغرب كان لسيطرة الكنيسة أثرها السلبيٍ على مسيرة الفكر الفلسفي آنذاك واستطاع البعض من مفكري الكنيسة أيضاً في هذه الحقبة توجيه انتقاداتهم اللاذعة للتربية في إطار السيطرة الكنسية ، ومن أبرز هؤلاء القديس أوغسطين ، وتوما الأكويني وهو ما سنتناوله بصورة عابرة . أما بالنسبة للمسلمين فالأمر مختلف كثيراً حينها كانوا يعيشون أوج مجدهم . ولهذا برز في الإسلام فلاسفة كثيرون . تمكنوا من وضع اللبنات الأولى للتربية ، ومن أبرزهم الفارابي ، وابن سيناء ، والغزالي ، وابن الجوزي ، وابن خلدون ، ابن الأزرق وغيرهم كثيرون .. ونظراً لأهمية الدور الذي لعبه هؤلاء سوف استعرض بايجاز شديد أهم ارائهم في التربية ، وعلى النحو الآتي :

توما الأكويني :-

برز توما الأكويني في العصور الوسطى كمدرسة قائمة بحد ذاتها وشكلت آرائه الفلسفية ثورة عقلية على الجمود الكنسي منطلقاً من حقيقة العقل الذي ينبغي أن يقوم على أساس الإيمان . فالإيمان من دون عقل لا يستطيع مقاومة الأعاصير ، ومن هذا جاء فكره، التربوي مؤكداً دور العقل وصلابته ، وأثر التربية القائمة على البنيان العقلي ، وتوماس الأكويني هو « .. تلك المدرسة التي سادت العصور الوسطى ، وكان هدفها الاستعانة بالعقل في الدفاع عن العقيدة وتقوية الحياة الدينية والكنيسية عن طريق المواهب العقلية والقضاء على الشك والإلحاد عن طريق المناقشة ، وهو يلخصها في عبارة شهيرة بقوله :-

«يجب ألا تقوم العقيدة على العقل وانما يجب أن يقوم العقل على العقيدة»[1].

---

(١) الأصول الفلسفية للتربية – صـ ٧-٨

واعتمدت الكنيسة في أوروبا على تعاليم قاسية جداً .. حيث فرضت معتقداتها الجامدة على أفراد المجتمع .. وأصبح العلماء والمثقفين ملزمين باعتماد تعاليم الكنيسة ومعتقداتها عن العالم .. وبعد الاستعمار الأوروبي [illegible] وأفريقيا وأمريكا على تعاليم الكنيسة الفكرية والتربوية ولهذا أخذت الإرساليات التبشيرية تبني المدارس والكنائس حيثما حل الاستعمار واستقر .

وقام التعليم في كنف المسيحية على مبادئ أساسية أهمها :

أ. فكرة التثليث في المعتقد الديني (الأب – والأبن– وروح القدس) .

ب. التمسك الصارم بتعاليم الكنيسة مما يعطي للرهبان مكانة غير عادية .

ت. التسامح والصبر .

ث. الولاء لرجال الدين وحلفائهم الحكام .

كما أنطلق التعليم في كنف الكنيسة المسيحية من نفس اتجاهات الفلسفة اليونانية المثالية في نظرتها للمجتمع ونظرتها للتربية . فهناك تعليم للصفوة وتعليم للجمهور فأبناء الأسر الاقطاعية هم الذين يلتحقون بالمدارس الدينية المرتبطة أصلاً بالأديرة والكنائس . وفيها يتلقون تعليماً في الكتاب المقدس واللغة اللاتينية لغة الكتاب المقدس في أوروبا– والرياضيات والفلك أو الموسيقي من قبل المعلمين الرهبان . كما تلحق بنات الأسر الاقطاعية بمدارس الراهبات حيث يتعلمن الخياطة والتطريز وغيرها من شئون التدبير المنزلي ، مع دروس في الدين واللغة "(١).

ويشير كرامة مبارك إلى أن تربية أبناء الجماهير تتم في اتجاهين :

١. التربية الدينية : وتتم بالتلقين والوعظ من قبل الرهبان حيث يستمع الأطفال إلى تعاليم دينية تغرس فيهم المحبة والولاء والطاعة وتغرس فيهم الاعتقاد باليسوع ابن الرب .

٢. التربية العملية : وتتم في اطار الأسرة لإعدادهم لمهن آبائهم . هذا وقد لعبت الكنيسة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين دوراً كبيراً في نشر المؤسسات التربوية الدينية التي ارتقى بعضها إلى مستوى المرحلة الجامعية ومن خلال هذه المؤسسات تطور علم اللاهوت كعلم جديد كان له

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن الجزء الأول صـ١٢

أثر كبير في تغليب التأثير الديني على كافة مجالات الحياة الفكرية خاصة في أوروبا »[1].

والمنطلقات الأساسية للتعليم لم تختلف كثيراً في المجتمع اليوناني القديم أو في أوروبا قديماً في كنف الكنيسة أو في العالم العربي الإسلامي .. فجميعها انطلقت من أهداف واحدة وهي نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد .. عن طريق التعاليم الدينية والاحتفاظ بثقافة الآباء ومعتقداتهم .. أو عن طريق الأسرة في نقل خبرات الآباء للأبناء . بما فيها مهاراتهم وتراثهم الحرفي والعملي بصورة عامة .

(١) المصدر نفسه – صـ ١٢

الفصل الرابع

الفصل الرابع
آراء بعض فلاسفة الإسلام في التربية

الحديث عن الفلسفة الإسلامية يقودنا بالضرورة للحديث عن جوانب تربوية. باعتبار أن التربية الإسلامية لها اتجاهاتها وخصائصها المختلفة ، فالفلسفة التربوية الإسلامية تسعى إلى غاية معينة وهي معرفة الحكمة بذاتها ، باعتبار أن الحكمة في الفكر الفلسفي التربوي هي الوسيلة والهدف معاً . فالله سبحانه وتعإلى هو مصور هذا العالم وخالقه ، وهذا ما يراه الفارابي :

- الفارابي :

يرى الفارابي في هذا الاطار « ... أن كل موجود إما واجب الوجود أو ممكن الوجود وليس ثم سوى هذين الضربين من الوجود »[1].

ويقدم لنا الفارابي في مدينته الفاضلة تفصيلاً عن كيفية التربية التي ينبغي أن يتحلى بها رئيس المدينة الفاضلة ونائبه ، وأثر التربية الفاسدة على انحراف أهل المدينة الفاضلة ، ويعتبر العلم والتعاون أساس البنيان الحضاري والأخلاقي وهما أساس بناء الدولة أو المدينة الفاضلة « .. فقد قسم العقل الإنساني إلى عقل عملي ، وعقل نظري . ثم قسم العقل النظري إلى عقل بالقوة وعقل بالفعل ، وعقل مستفاد ، وربط العقل المستفاد بالعقل الفعال كي تحصل المعرفة الإنسانية»[2].

- ابن سيناء :

تفلسف ابن سيناء في الطب والفلسفة ، وربط العلم بالتربية الحقيقية والصحيحة . فالتربية عنده جزء من شخصية المسلم وكينونته .. واعتبر تربية الأولاد ضرورية وهامة ، وذلك من خلال الكتاب والسنة ، والشعر والأدب وغيرها من العلوم الإنسانية . ويقول في تربية الأولاد « .. البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسميا وعقليا . وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء وتلقين معالم الدين ثم يروي للصبي الشعر مبتدءاً بالرجز ثم القصيد لأن رواية الرجز أسهل وحفظه أيسر إذ أن بقوته أقصر ووزنه أخف على أن يختار من الشعر ما

(١) فلسفة التربية – صـ١٦٥

(٢) الأصول الفلسفية للتربية – صـ ١١–١٢

قيل في فضل الأدب ومدح العامة وذم الجهل وما حدث منه على بر الوالدين واصطناع المعروف وكرم الضيف . فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن وألم بأصول اللغة نظر عند ذلك في توجيهه لما يلائم طبيعته واستعداده »[1].

- **الغزالي :**

بلغ الغزالي بالتربية أهدافاً بعيدة ، وهدف التربية عنده هو الكمال الإنساني في الدنيا والآخرة ، ويبلغ الإنسان الكمال باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم ، فتسعده الفضيلة في الدنيا وتقربه من الله .. كما اهتم الغزالي بالتعليم، أهميته ووجوبه ، وضرورة الإخلاص في تأديته .. ويتضح ذلك من قوله «الناس كلهم هلكى إلا العالمين .. والعالمون كلهم هلكى إلا العاملين .. والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون» والواقع أن الغزالي قد وضع نظاماً تربوياً شاملاً كما حدد هدفه التربوي وفقاً لفلسفته ونظرته للحياة ثم وضع المنهج العلمي الذي رآه مناسباً لهدفه وغرضه في التربية . فصنف العلوم وقسمها ، وبين فوائدها للمعلم . ثم رتبها ونظمها حسب أهميتها وفائدتها . كما تعرض للصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم والمتعلم بالاضافة إلى التنشئة الاجتماعية والتربية الخلقية والدينية للطفل »[2].

-**ابن الجوزي :**

الآراء القيمة لفلاسفة الإسلام حول التربية يعكس واقع وعيهم بأهمية التربية للأطفال وتنشئتهم تنشئة إسلامية صالحة ، واعتبر ابن الجوزي كغيره من فلاسفة المسلمين أن التربية ضرورية للأطفال ويقول « أقوم التقويم ما كان في الصغر فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً »[3].

وعلى الرغم من أن المسلمين قد اهتموا بتربية الطفل وباكسابه مختلف العلوم كالقرآن والحديث والشعر والأدب إلا أنهم لم يهتموا بتربيتهم على الموسيقى والرسم ، وفن التصوير ، والحرف اليدوية ، وقد يعود هذا في رأيي إلى ظروف اجتماعية ودينية حيث يرى البعض في الرسم والتصوير أعمال ذميمة وغير محببة في الإسلام ، وعلى الرغم من هذا إلا أنهم ينظرون بقدسية إلى المعلم . ورسالته الإنسانية ، واعتبروا أن رسالة المعلم التربوية لا تقل عن رسالة النبي . وهذا قمة التقديس لدور المعلم في تربية الأجيال ، ويتجسد ذلك

(١) فلسفة التربية – صـ ١٧٢
(٢) الأصول الفلسفية للتربية – صـ١٢ –١٣
(٣) فلسفة التربية – صـ١٧٣

في قول الشاعر :

قم للمعلم وفية التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

كما أن منزلة المعلم واضحة في الإسلام ، وكثير من الأحاديث النبوية ترفع منزلة المعلم ، ومثل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء" . ويقول أيضاً الغزالي :

" فمن علم وعلم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات فإنه كالشمس تضيء لغيرها ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه "[1]:

- ابـن خلـدون :

يتناول العلامة عبدالرحمن ابن خلدون فلسفته التربوية باعتبارها تنظيم لتجربته الخاصة كتجربة شخصية عاشها بحذافيرها ، وتناولها بتفصيل في «مقدمته المشهورة وكذا في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر ..) .

واعتبر ابن خلدون أن « العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري » وهذا ادراك خلدوني بأهمية العلم والتعليم للبشرية . باعتبار أن بين العلم والإنسان ترابط عضوي فلكي يفهم العالم من حوله ويكتشف مضامينه لا بد له من العلم والتعلم .

وابن خلدون ليس مجرد مؤرخ وانما عالم وفيلسوف . فقيه وكلامي .. وله بصمات واضحة في مختلف الجوانب .. وهو الرجل الذي طاف العالم يقرأ الواقع ، ويعايش الأحداث ، ويشارك فيها .. « وفلسفة ابن خلدون في التربية ، كما في العقل العملي بعامة ـ منبثقة ، كامنة أو قائمة في مذهبه الفلسفي ، أو في اتجاهاته المنهجية النظامية حيال مناداته بالدور المثمر للمنطق وللتجربة ، ولتحليلات الواقع أو لمناهج الاستقراء وللتعليل »[2].

وتحدث عن الخلل في النظام التربوي السائد ، والأضرار التي تلحق بالعملية التعليمية وعلى العكس من سابقيه تنبه للصعوبات التي تضر بالعملية التعليمية ومنها كثيرة التآليف « اختلاف الاصلاحات (البرامج ، الوجوه ، المذاهب) في التعليم ، وتعدد طرقها « وثمة أيضاً صعوبة هي « مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار (حفظ - تذكر تحصيل) ذلك »[3].

(١) المصدر السابق - صـ١٧٧
(٢) اشراف الدكتور / علي زيعور - الفلسفة العملية عند ابن خلدون وابن الأزرق في التيار الاجتماعي التاريخي - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٣م - بيروت - صـ ١٠٠
(٣) المصدر نفسه - صـ ١٠٦

كما أعطى أبن خلدون موضوع كثرة التأليف عناية خاصة لإدراكه أن هذا الموضوع يربك عقلية التلاميذ ويشوش عليهم .. واذا قمنا بعملية تتبع لأفكاره في هذا الاطار سنجد أن :

أ. «ابن خلدون وهو المستقرئ المتفحص للظواهر والجزئيات ينتقد هنا إحدى العوائق الكثيرة التي كانت تنتصب في وجه تسهيل التعليم والتمهر ، وفي احدى العائقات الكثيرة التي كانت تنتصب في وجه تسهيل التعلم والتمهر، وفي سيرورة عملية الاكتساب وتحصيل الخبرات والمعارف والصناعات ، يقرأ ابن خلدون أمثلة عديدة . يلاحق تلك الصعوبات (كثرة التأليف) في أكثر من مادة تدريسية أو ميدان معرفي ، بعد ذلك ينتج قانونا . وفي خطوة لاحقة يصوغ قانونا آخر هو مبدأ نافع ونفعي . سهل التطبيق وقاصد التسهيل والتيسير . قاض بأن تلك الطريقة في التدريس تقع خارج « مصالح الناس» وغير متوافقة مع مقاصد الشريعة .

ها هو مرة أخرى ينتقد ، ويصوغ المبادئ العامة ، ويعض ، وهو في رفضه للتشعب وتعدد "المذاهب والطرق والتأليف" يوافق شكوى عامة وتذمرا كان بلا ريب مثيرا للرفض عند المتعلم وعند التربويين والمتخصصين قبل ابن خلدون وبعده . فالتعدد والشواغب ، كثرة التأليف وتنوع التنظيرات والمشارب ، ظاهرة ملحوظة في الفكر ، وفي تراثنا ، وفي حضارة الإنسان وهي ظاهرة صحية ، محركة ومؤثرة ، مثيرة ومتأثرة . فلولا النقد والتعدد ، والتنوع والاختلاف ، لما عرفنا التجديد والاسهام . البحث عن الحلول والصواب ، المساعي للتأمين اليقيني ولما يغطي التردد ..

ب. والحق ابن خلدون في قراءته المتفحصة لنظام التعليم على مبدأ آخر يرى في "كثرة الاختصارات" صعوبة على المعلم والمتعلم وعملية الاكتساب لا تفصل هنا رأيه السديد في ذلك ، إلا أن الأهم لنا هو أن ذلك المبدأ راسخ وعام في الجهاز الانتاجي ، في انتاج المعرفة ، في التبسيط للعلوم وترويجها، وتسهيل انتقالها بين الأجيال وتداولها . فمن المعروف أن أسلافنا وضعوا مختصرات للفلسفة ولعلوم الطب والنحو والمنطق والتربية ، وصاغوا شعراً لتلك المختصرات ...

ت. أنتج المنهج الاستقرائي عند ابن خلدون ، في دراسة الوقائع والظواهر التعليمية مبدءا أساسيا هو اعادة توجيه التعليم الإنذاكي صوب «العلوم المقصودة) فالإنصراف القوي إلى « العلوم التي هي وسيلة لغيرها في الوعي التربوي العربي الإسلامي . أحدث زيفا أو خللا ، وصعوبات كثيرة ارتفعت أمام الطالب وامتصت قدراته أو وجهت طاقاته نحو علوم ليست بحسب

تعبير معاصرية ، مرتبطة بالواقع والمجتمع بمنفعة المتعلم وبتطوير العلوم والصناعات والوعي المعرفي ، لم يكن ذلك المبدأ التربوي . المنادي بأن التعليم النافع المجدي ينصب على العلم النافع والمجدي ، وليد أفكار ابن خلدون . والأهم الآن هو النقد الاستيعابي لتلك الخللات ، في التثقيف وتعليم العلوم التي كانت توقع في المتاهات ، وهدر الوقت ، وقلة المردود .

إن عين ابن خلدون التي تطبق الاستقراء ، وتقارن ، وتربط فيما بين الواقعات أو الظواهر ، قد ركزت على ذلك المبدأ التربوي ، قاصدة بذلك ما هو مصلحي " وما هو نفعي أو ما ينفع الناس" هنا ومرة أخرى يحكم قانون المصالح ، ومصالح الشريعة ، ومقاصدها . فكر ابن خلدون كما حكم سلوكه وتعاملاته وبشكل خاص تحليلاته بل أحكامه على الوقائع التاريخية وعلى الشخصيات هنا ومرة أخرى نكتشف أو نجد تلاقي أو يبرز أمامنا ذلك المبدأ الأساسي المحرك والمحور الذي يرجع العملي والتطبيقي في الفكر العربي الإسلامي بأعرض قطاعاته وممثليه بأشهر أو آلياته الانتاجية التكيفية .

لقد امتص ابن خلدون... وتجاوز ما أسميناه آدبية المعلم (وآدبية المتعلم، والعلم ، والسياسي ، والقاضي .. الخ) وينبغيان السلوك والعلائقية ، ففي تعليلاته لـ«المعلم» ينتقل إخ ، من « أدب الوصايا إلى دراسة ظاهرة لاحظ أنها تحكم العلماء . فهؤلاء في الواقع أبعد الناس عن السياسة ، لأن « أنظارهم كلها في الذهن ولا تصير إلى المطابقة « ... يقعون كثيراً في الغلط لأسباب نقبلها اليوم : نلخصها بقولنا اليوم إنهم منظرون ، بعيدون عن الواقع. مثاليون ، ويلخصها إخ بقول آخر هو أنهم « متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها »[(١)].

ويعطي ابن خلدون فكرة عما كان قائماً في هذا الاطار في المغرب العربي مشيراً إلى موضوع القصور في التعليم وأسبابه . " وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا تحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعنية لسكني طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم"[(٢)].

---

(١) انظر المصدر السابق – صـ ١٠٦-١٠٩ .

(٢) مقدمة ابن خلدون – دار القلم – بيروت لبنان – الطبعة الرابعة ١٩٨١م – صـ ٤٢٢

ولكن صناعة العلم في المشرق كانت أفضل حالاً من المغرب ويذكر ابن خلدون ، فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع حتى إنه ليظن كثيرٌ من رحاله أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم إن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأنهم أشد نباهة وأعظم كسباً بفطرتهم الأولى وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب »[١].

إن تعدد المواد والمذاهب لها فوائد كبيرة لذهنية الناس فالتعدد كما يراها « يسقط هيمنة شيخ واحد وتسلط مذهب (مصطلح طريقة) واحد أحادي ... فتعدد المشارب أمام الفرد تدفع إلى شحذ الذهن والتمييز المستقل . هناك إذا تلقن العلم مباشرة وبالممارسة ، بالمحاكاة والإلتقاء ، بالمناظرة والجدل . ولم ينسَ ابن خلدون أن يستقرئ . ثم أن يقارن ويفصل باحثاً عن الأجدى والصائب، طرائق تدريس الأطفال هنا يعيد انتاج ما كان يحكم ويقود التوضيح والتبسيط، التدرج ، التكرار ، الترغيب ، جعل المتعلم ينتفع مما تعلم ، اهتمام بالفروق بين الأفراد من حيث الميول أوقات مناسبة للحفظ وتكوين ملكة التحصيل والتلقي ، للفهم والاستيعاب للتلقين والتذكر »[٢].

ولإبن خلدون منهجاً تربوياً خاصاً . وطرق خاصة لإكتساب المعرفة وتكوين المفردات . ولديه منهجاً علمياً خاصاً به يقوم على التخصص في العلوم وعلى الالتقاء والمباشرة والمحاكاة .. ويبدأ منهجه بالتكلم .. والذي ينبغي أن يكون بالمفيد يلقي ويملي ويقرأ ويعرض ويجادل وهو ما كان قائماً في القدم وظل يتوارث .. والتعامل مع الأطفال وصغيري السن .

لعل الكثير من الملتحقين حديثاً في المؤسسات التعليمية، يحتاجون للتوضيح والتبسيط للتدرج والتكرار والترغيب وهي وسائل يقوم عليها التعليم ، الحديث ولا تزال طرق مثالية « .. وأكثرية الدراسات التلميذية الترويجية من تقريظ التربويات الخلدونية تستحق ذلك ومن النافع أن نعرف أن عطاءاته تلك توصل إليها أسلافه وأمم أخرى ، ويُترك الآن للقارئ أمر تحليل فعل « في وجه الصواب في تعليم العلوم وطرائق الإفادة (التعليم ، ولعل استخلاص المصطلحات الأساسية في هذا الفصل ، لعدها وتغطيتها أسرع طريقة إلى ولوج التربويات الخلدونية تدريج ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه تكرارات ، مرات « المتعلم يكون أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة» .. « التقريب بالأمثال الحسية

(١) المصدر نفسه – صـ ٤٢٢
(٢) الفلسفة العلمية عند ابن خلدون وابن الأزرق – صـ ١١٠

« سوء التعليم لا يخلط على المتعلم علماً »[1]. ...وكالحال المعروف عند سابقيه وفي بعض الأمم القديمة (التربية في الهند وفي الصين) يعطي ابن خلدون آراء سديدة في استعمال الزمان للتعليم وللتحصيل : عدمٍ تكريس ما نطلب اكتسابه التفريق بين حصص التعليم وبالمقابل فلن يكون نافعاً للمتعلم ولا للمعلم نفسه ، إطالة الفترة الزمنية الواقعة بين مجلس تعلم ومجلس آخر (آخل)»الفنٍ الواحد» ومن مبادئ ابن خلدون التعليمية أن لا يُخلط على المتعلم علمان معاً)) ويظهر التعليم وعلم النفس التربوي منذ أواخر القرن الماضي»[2].

ويعلل الضرر الذي يقع على المتعلم من جراء الشدة والقهر ، إنه يفتش عن تأثير القسوة والعسف على السلوك وعلى الأخلاق ، تحليلات ابن خلدون لتلك الظاهرة شديدة ، وهي نافعة مرشدة ، فمن المعروف أن الشدةٍ تولد الكسل ، وتدفع إلى « الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميرة خوفاً . وتعلم المكر، وتبعد عن اكتساب الفضائل[3]..

- ابـن الأزرق :

يدرك ابن الأزرق كابن خلدون أهمية التعليم للمجتمعات البشرية ولهذه العملية شروط « منها وجود المعلم القدير والمعلم المسبق أو المادة (الفن ، الصناعة) التي تعلم ، والراغب بالعلم أي من ليس بعالم ، لا بد من المعلم ، ولا بد من الكتب وكلما ازداد العلم واتسعت الصناعات انتقل العلم من صدور الرجال إلى الكتب والأيدي ، والتعليم مشافهة بغير كتاب سُنة كانت ممكنة قديمة ،(فلما ضعفت الهمم وقصرت انقرض بعض العلوم ، فأخذ من بقى من العلماء في تدوين العلوم في الكتب لتبقى ولا تبيد) [4].

وفي هذا الإطار يؤكد ابن الأزرق على أهمية التعليم في الأمصار الإسلامية « ويرى أن التعليم الديني ، في كل تلك الأمصار هو الأول، وأول ما يعطي للولد وقاية وتعويداً . ذلك «لأن تعليم الصغار أشد رسوخاً» لكن الطرق في ذلك هي التي تختلف . فهناك طريقة أهل المغرب الذين يقتصرون على تعليم القرآن وأخذهم أثناء ذلك بالرسم « ثم هناك طريقة أهل الأندلس ، وطريقة أهل أفريقية ، وطريقة أهل المشرق . ويجري المؤلف على غرار معلمه مقارنات ، وطرائق المقارنة تظهر هنا ما قد يكون أسلم أو أريًح ، ونقد بعض تلك الطرائق

---

(١) المصدر السابق – صـ١١٠-١١١
(٢) المصدر نفسه – صـ١١١
(٣) المصدر نفسه – صـ١١٤
(٤) المصدر السابق – صـ ١٩١

يظهر ابن الأزرق ومن قبل ابن خلدون مفكراً واسع النظر وداعية للإصلاح التربوي »(١).

أخـوان الصفـاء :

فلسفة التعليم عند أخوان الصفاء رائدة ومتميزة فهم ينظرون للعلم والمعلم على حد سواء بنوع من التبجيل والاحترام والتقدير وينظرون للمفيد والمعلم والأستاذ نظرة خاصة تجسد كل معاني التعظيم والتبجيل والاحترام « كون الأستاذ حسب رأيهم المعلم الحكيم العارف الذي يستطيع أن ينقل النفس الإنسانية . من حد القيام بالقوة إلى حد القيام بالفعل ، بما يبذره في هذه النفس المستفيدة من الحكم والمعارف الحقانية ، فستتخلق بأخلاقه الجميل وآدابه الصحيحة. باعتبار أن النفس الطالبة الافادة والتعليم تتشبه بمعلمها وأستاذها الذي يفيض عليها الخيرات والفضائل طمعاً في اصلاحها وحرصاً في تعليمها ورغبة في تأديبها ، وتصفية عنصرها ، وتهذيب جوهرها . فإذا فرغ المعلم من تعليم المستفاد وتثقيفه أقبل عند ذلك على عبادة ربه ، وطلب الانفراد والخلوات لمناجاة باريه ، وتمنى اللحاق بأسلافه وأقاربه والدخول في زمرة الملائكة»(٢).

إذاً المعلم عند أخوان الصفاء يصل إلى حد التبجيل والتقديس .. لأنه يبني قدرات وينمي الأخلاقيات ، ويصنع الخيرات .. وهي نظرة متقدمة للمعلم .. وهذه النظرة هي امتداد للثقافة الاجتماعية التي كانت قائمة وقتها .

«ويرى إخوان الصفاء أن أصحاب هذه المناقب والصفات هم الأنبياء والحكماء والقدماء الربانيين الذين يزرعون الحكمة العرفانية في النفوس الإنسانية المستجيبة لما فيه سعادتها وخلودها في عالم الأرواح الحقاني »(٣).

وينبغي على المعلم أن يأخذ علمه من رجل فاضل رشيد علام بأحكام الدين والدنيا .. لكي يتمكن من نقل معارفه الصحيحة إلى طلاب العلم لهذا « يعتبر إخوان الصفاء أن من أعظم السعادات وأثمنها أن يتفق للمتعلم معلم رشيد عالم، عارف بحقائق الأمور والأشياء ، مؤمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين ، بصير بأمور الآخرة ، خبير بأحوال المعاد مرشد له إليها » (٤).

(١) المصدر نفسه – صـ ١٩٥ – ١٩٦
(٢) د/ غالب / مصطفى – أخوان الصفاء – منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت – ١٩٨٣م – صـ١٦١–١٦٢
(٣) المصدر نفسه – صـ ١٦٣
(٤) المصدر نفسه ت– صـ١٦٣

والمعلم والأستاذ أيضاً عندهم « أب لنفسك » وهذا أسمى آيات التجلي والتقديس ، فمكانة المعلم تسمى وترتفع إلى مستوى مرتبة الأنبياء والحكماء والقديسين جميعاً .

والعديد من الأفكار التي يتمحور حولها فكر إخوان الصفاء في هذا الاطار تعكس واقع التحول والتطور التربوي الذي وصل إليه ذلك العصر ، وهو تحول كمي وكيفي على حد سواء .. فأفكارهم وفلسفتهم التربوية تدل على أن التربية في هذا العصر شهدت مجموعة من المتغيرات شملت مفهومها وأهدافها وأساليبها وبرامجها .. وتدل ايضاً على أن أخوان الصفاء كانوا مدركين للعملية التربوية ، ومستوعبين لأهدافها ومضامينها ، ومطالبها ولما قد تحدثه في وعي الناس من تنمية للخيرات والحكم ، وتهذيب النفس الإنسانية والسمو بها .

العرض الموجز لآراء فلاسفة الإسلام في التربية والذي استعرضناه هنا يؤكد بأن هناك فلسفة تربوية إسلامية هي الأخرى أسهمت في تشكيل الوعي البشري، وبناء قدراته، والتعاليم الربانية هي البعد الفلسفي الذي اعتمدت عليه التربية الإسلامية ،ويتجلى ذلك في الأفكار التي استعرضناها فقد تشكلت فلسفة التربية الإسلامية بفعل العوامل الآتية :-

الأول : عقائدي ، وهو تحديد الصلة القائمة بين الخالق المربي وبين الإنسان المخلوق.

الثاني : عالم اجتماعي وهو بلورة العلاقات وأنماط السلوك في الدائرة البشرية التي ينتمي اليها المتعلم وهي دائرة تشمل جميع أفراد الجنس البشري (الإنساني) .

الثالث : عامل مكاني وهو أسلوب العيش على الرقعة المكانية التي استخلف الله المتعلم فيها ، وهي رقعة شملت الكرة الأرضية كلها .

الرابع : عامل زماني ، وهو عامل يراعي البعد الزمني لعمر التعليم الذي يبدأ في الدنيا ويمتد إلى أن يلحد المرء عبر مستقبل لا يتناهي»[1].

وكان لهذه الأفكار والآراء دوراً هاماً في تربية النشء وتطوير رسالة العلم حيث أصبح التعليم الإسلامي معروفاً ومتميزاً وبفضل هذا أصبح هنالك علماء

---

(١) الأراضي / علي صلاح محمد - تاريخ التعليم في عدن - ١٨٣٩-١٩٦٧م - دار الثقافة العربية للنشر - الشارقة - الطبعة الأولى -٢٠٠١م - صـ ٧٤

ومفكرين اسلاميين تدرس أفكارهم حتى اللحظة في مختلف وأشهر جامعات العالم .

« فالدين الإسلامي له قوة تربوية لا مثيل لها ، فهو قد أمر الإنسان المسلم بطلب العلم والسعي إليه . فالإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والسكن وغير ذلك ، ولكنه تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه »[1].

لقد رفعت التعاليم الإسلامية الإنسان وميزته عن بقية المخلوقات لأن هذه التعاليم تحث الناس على إتباع طريق العلم ، والبحث عنه في كل بقاع الأرض، فالإنسان مطالب بالتعلم من المهد إلى اللحد وكلما تعلم الإنسان كلمة كانت طريقه إلى الله قصيرة وواضحة .

(١) المصدر السابق – صـ ٧٥

الفصل الخامس

الفصل الخامس

آراء بعض فلاسفة التنوير والفلسفة الحديثة والمعاصرة في التربية

ركزت الفلسفة الحديثة على العقل ورفعت من شأنه . بينما الفلسفات التقليدية ربطت العقل بالأفعال الإنسانية والأفعال الإنسانية تخضع لدور العقل، وارتبط مفهوم الذكاء بالعقل في الفلسفة الحديثة . وأقام الفلاسفة العقلانيون التربية على أساس العقل وحده بينما أقامها التجريبيون على أساس التجربة، ولأنا بصدد التربية عند بعض المفكرين سنعرض بعض أقوالهم في التربية بصورة مختصرة جداً .

١. توماس هوبز :-

صورتوماس هوبز المجتمع الإنساني على أنه كان يعيش حياة فردية .. حياة مشوبة بالصراع الدائم والتناحر . فهم في حرب الجميع ضد الجميع ، حياة التوحش ، ولكن هؤلاء الناس اجتمعوا ليكونوا أمماً وتجتمع كل أمة لتؤسس اتفاقاً اجتماعياً يصل إلى السلطة بموجبه ملك يتنازل له الجميع بالحقوق التي يتمتع بها كل فرد منهم على حدة ، وبهذا يقدم لنا هوبز مفهوماً جديداً للعالم الذي ينبغي أن تسود خلاله تربية معينة وقيما واضحة .

« .. يرى هوبز أن الملكية ظهرت إلى الوجود عن طريق هذا الاتفاق الاجتماعي وأصبحت مطلقة لأن هذا الاتفاق لا يمكن نقضه»(١).

ويبرز هنا هوبز تصوره الفردي عن الطبيعة الإنسانية في مرحلة من أهم مراحل تكونها .. وهذا المفهوم للطبيعة الإنسانية وإن كان تصوراً غير علمي إلا أنه « .. يحول دون قيام الأمن والاستقرار في المجتمع ، وذلك لأنه ظن أن حالة الناس الطبيعية في علاقات بعضهم بالبعض كانت حرباً مستمرة يقوم بها كل فرد ضد كل فرد آخر وضد المجتمع ، وبذلك أصبح الإنسان في نظره هو ذئب لأخيه الإنسان . لا يستطيع أن يأمنه ولا أن يثق فيه وكل ما فعله الإنسان من

---

(١) فلسفة التربية – صـ ١٤١

حضارة كان لمحاولة الوصول إلى بعض الأمن والاستقرار ولمجابهة هذه الحرب من جانب الأفراد الآخرين الذين لا يتورعون من الإيقاع به إذا سنحت لهم الفرصة »[1].

هذه الأبجديات التي حددها هوبز نابعة من اعتقاده بأن هذه القضايا مصدراً للشر في الطبيعة الإنسانية بينما اعتبرها غيره مصدر وفاق تقدم ازدهار للبشرية.

٢. جان لوك :-

من زملاء هوبزحيث حاول أن يفلسف ويدافع عن الثورة الإنجليزية سنة ١٦٨٨م إلا أنه اختلف عن هوبز في بعض تصوراته ، وحاول تعديل نظريته في الاتفاق الاجتماعي الذي اعتبره هوبز ، الأساس الجوهري لنظريته ، ولكنه حاول بطريقة تربوية وفلسفية أبعد من هوبز الوصول إلى نتائج تربوية واضحة «.. رأى لوك أن العقل الإنساني عندما يحمل الطفل إلى المدرسة يكون كالصفحة البيضاء فارغاً لأشئ فيه . تقوم المدرسة بواجبها من فك جنباته بالتراث الإنساني المتراكم والخبرات البشرية العديدة ، ومعنى هذا أن تصبح العملية التعليمية من جانب المدرسة عملية لها أهمية كبرى ، على حين أنها تصبح من جانب التلميذ تافهة القيمة ، ويترتب على ذلك أيضاً أن نرجع إلى الماضي دائماً وأن نقدس ما فيه من قيم وحقائق، وأن ينقلها جميعاً إلى الطفل دون تغير أو تبدل ، إذ أن هذه الخبرات السابقة تكون واضحة محددة سهلة النقل ، سهلة الإفراغ في العقل الفارغ ، وهكذا يعزل الطفل عن خبراته الحاضرة وعن نظرته إلى المستقبل .

وينتج عن سلبية العقل هذه أن يستطيع المدرس أن ينقش على هذا اللوح كل ما يمكنه نقشه دون نظر إلى سهولة أو صعوبة ما ينقشه المدرس على لوحه الفارغ »[2].

ولوك هنا حاول أن يعطي الإنسان حقوقاً اجتماعية وسياسية لا يمكن لأي انسان التنازل عنها لأنها ترتبط موضوعياً بشخصيته وتفكيره وأصبحت جزءاً من مكوناته المختلفة ، وقدست هذه النظرية أيضاً العقل الإنساني باعتباره صاحب الابداع والتطور والتقدم ويعتبر المؤلف أن هذه النظرية قد سلبت الطفل القدرة والإرادة على امتلاك ناصيته وحولته إلى مجرد لوح للنقش ، واعتبرته شيئاً مادياً . وأنا لا أتفق مع هذا الرأي لأن لوك لم يتخذ من الطفل موقفاً سلبياً ويعتبره مولوداً على الفطرة والطفل خلال نموه يتشكل تفكيره باعتباره مرآة للواقع ويقول :

---

(١) المصدر نفسه – صـ ١٤١

(٢) المصدر السابق – صـ ١٤٢-١٤٣

« ولقد حرمت هذه النظرية الطفل من كل كيان حيوي له . واعتبرته شيئاً مادياً كاللوح الفارغ ينقش عليه ما يريده الناقش . فحرمت الطفل من دوافعه وميوله ومن شخصيته الإنسانية التي تتميز أول ما تتميز بالحركة والحياة »[1].

وفي العصر الحديث اعتبر مؤرخو الفلسفة أن مقالة جون لوك الشهيرة «مقاله في العقل البشري» بمثابة أول محاولة تنظم لفهم المعرفة البشرية وتحليلها للفكر الإنساني وعملياته . فلنا الحق كذلك في القول بأن أهمية لوك لم تكن مقصورة فقط على ميدان التربية أو الفلسفة بل مقدمة إلى السياسة والاجتماع»[2].

٣. جان جاك روسو :-

يعتبر روسو الآخر أحد عباقرة التاريخ وأحد فلاسفة التربية فقد كان للواقع الفرنسي وللظروف الموضوعية المعقدة للتربية أثرها الإيجابي على فلسفة روسو التربوية على الرغم من كونه من فلاسفة الثورة البرجوازية ، وفلسفته جاءت لتكون انعكاس لهذا الإتجاه ، ولكن ما يهمنا من فلسفته هو أنها مثلت الجانب الصارخ والثائر على التحجر والجمود اللذين كانا سائدين آنذاك وجعل من العقد الاجتماعي نقطة الخلاص من ذلك « ... اذ كان يعتقد أن المجتمع هو أصل كلٍ فساد يلحق بالإنسان ، ولذلك يجب أن نعزل الطفل عن المجتمع حتى ينمو نموا طبيعياً مستمتعاً بحياته الخيرة ، وكان يعتقد أن طبيعة الإنسان خيِّرة مما جعله يبدأ كتابه المشهور والمسمى « أميل ».. بهذه العبارة التي تمثل حجرا أساسياً في فلسفته ، كل شيء خير إذا ما جاء عن طريق خالق هذا الكون ، وكل شيء يصيبه الفساد والانحلال إذا مارسته يد البشرية »[3].

وعلى الرغم من سمو فلسفته إلا أنه وقع في خطأ كبير حين اعتقد بعزلة الطفل عن المجتمع لأن في ذلك مخاطرة كبيرة . فالمجتمع بالنسبة للطفل ضرورة لا يمكن الاستغناء عنه ، اذا ابتعد عنه حكم عليه بالإعدام .. فهو كالسمكة في البحر اذا جف الماء من حولها تموت « لأن الماء مصدر حياتها ، واعتقد روسو بالقدرات الفطرية عند الطفل ، وبهذا يلتقي مع الفلاسفة والعقلانيين لأن الطفل يكتسب معلوماته وخبراته من الواقع ومن الأحداث اليومية فيقول :

---

(١) المصدر نفسه – صـ ١٤٣
(٢) الأصول الفلسفية للتربية – صـ ٨
(٣) المصدر السابق – صـ١٤٣-١٤٤

«على الإنسان أن يحترم النمو الطبيعي لهذه القدرات ولا تنحرف هذه القدرات الفطرية عن طريقها الطبيعي أو تحبط إلا نتيجة الظلم والضغط الذي يفرضهما المجتمع عليه . ولهذا كانت التربية التي تتفق مع الطبيعة لا تقتصر على تجنب هذه الأنواع من الظلم والضغط ، ولكنها تعمل أيضاً على خلق تجمع أفضل وأكثر مساواة . لقد كانت نظرة روسوإلى الطفل ثورة على ما كان سائداً في عصره إذا كان ينظر إلى الطفل على أنه رجل صغير له عقل يتصف بما يتصف به عقل الكبير مما أدى إلى أن تكون الطرق العقلية التي تستعمل في التعليم واحدة بالنسبة لهما ، وكأن الطفولة تصبح على هذا الأساس فراغاً يملأ بأسرع ما يمكن ، واهملت مرحلة الطفولة إهمالاً تاماً ، وكانت نظرة روسو احتجاجاً على هذا الوضع . فالطفولة في نظره مرحلة متميزة لها احترامها ولها قوانينها التي تختص بالنمو والتي يجب أن تخضع لها الطريقة التي يتبعها المدرس»[1].

وفي كتابة التربوي «اميل» يضع روسو المبدأ الاساسي والذي يؤمن به حين يقول :-

«كل شيء حسن في يد الطبيعة وكل شيء يلحقه الدمار في يد الإنسان »[2].

لقد كان هذا الفيلسوف يؤمن بأن وسيلة التربية هي النمو الحر الطليق لطبيعة الطفل ولقواه وميوله الفطرية .

آراء أخرى في التربية الحديثة :

١. بستالوتزي :

وهو أحد رواد المدرسة النفسية في التربية الذي كان يعتقد أن التربية عبارة عن النمو العضوي للفرد سواء كان هذا النمو أخلاقياً أو عقلياً أو جسمياً ، وأن الطفل يتعلم عن طريق نشاطه الخاص وعن طريق المؤثرات الحسية والخبرات لا عن طريق الكلمات »[3].

٢. هربارت :

يعتبر هربارت من أهم من كتب في التربية وهو أقام طريقته على خطوات يعمل في إطارها العقل « ... ولا شك أنه ليس هناك مربى آخر متمكن من فلسفته التربوية كتب في وظيفة التعليم المباشر مثل هربارت . فمن الناحيتين

(١) المصدر نفسه – صـ ١٤٤
(٢) الأصول الفلسفية للتربية – صـ ٩
(٣) المصدر السابق – صـ ٩

الفلسفية والنفسية للتربية اتضح أثر هربارت في تأكيده لأهمية الطريقة المتبعة في حجرة الدراسة »[1].

٣. فروبل :-

يعتبر فروبل بحق رائد ومؤسس رياض الأطفال «أسدى هذا الفيلسوف إلى التربية خدمات جليلة بتحويل مبادئه التربوية إلى تطبيق عملي محسوس داخل رياض الأطفال في جميع أنحاء العالم . لقد نادى بمبدأ النشاط الذاتي التلقائي حتى لا يجبر الطفل على القيام بعمل لا ينبع منه تلقائياً . لأن هذا العمل ضد طبيعته وبعيد عن نظرته»[2].

٤. سبنسر :-

عرف هربرت سبنسر التربية بأنها « إعداد للحياة الكاملة وكان يهتم اهتماماً شديداً بالتربية العلمية كما كان ينصح بالاهتمام بدقة الملاحظة واستخدام المحسوسات في التدريس» [3].

٥. برتراند راسل :-

راسل من أكثر الفلاسفة إنتاجاً ، وقد اهتم بصورة رئيسية بالتربية « كتب الكثير عن التربية وحدد أهدافها ولكن هذه الأهداف لم تخرج عن كلمة حرية . فقد ربط التربية بالحرية واعتبر الحرية أساس قيام التربية الصحيحة »[4].

٦. باسيدو :-

يعتبر باسيدو من مؤسسي التجريبية في التربية في ١٧٢٣ - ١٧٩٠ «وكان أول مربي حاول أن يترجم آراء روسو التربوية عن طريق مجهود جاد .

وكانت هذه المدرسة أولى المدارس في تاريخ الفكر التربوي التي أنشئت والقصد منها طرح التقاليد التربوية السائدة جانباً والبدء على أساس مبادئ تقدميه وكان من أهم ما يميز تلاميذ هذه المدرسة انهم كانوا يلبسون ملابس الأطفال ولم يكونوا يرتدون ملابس الرجال كما كانت الحال آنذاك ، وقد قصت شعورهم وصممت ملابسهم بحيث تكون مفتوحة وحرة عن الرقبة ، وهذا كله حتى يظهر هؤلاء الأطفال وهم مختلفون تماماً عن الرجال تأكيداً لهذه المرحلة الهامة التي يمرون بها وهي مرحلة الطفولة »[5].

---

(١) المصدر نفسه - صـ ٩
(٢) المصدر نفسه - صـ ٩-١٠
(٣) المصدر نفسه - صـ ١٠
(٤) المصدر السابق - صـ١٠
(٥) فلسفة التربية - صـ ١٤٤

الفصل السادس

الفصل السادس
منهج فلسفة التربية

مما سبق عرفنا بأن فلسفة التربية هي ذلك العلم الذي يبحث في التربية .. أو هو العلم المتخصص بالتربية في الفلسفة .. ولكن ما هو منهج فلسفة التربية؟ ولمعرفة هذا الموضوع لا بد من معرفة أن الفلسفة كعلم هي الإطار العام للفكر الفلسفي ومنها أخذت بعض الفروع بالتخصص . فهي تدرس المعرفة الإنسانية بصفة عامة وهذا مايؤكده جورج . ف . نيلو بقوله :-» وإلى جانب اهتماماتها الخاصة تنظر الفلسفة في الافتراضات الاساسية لفروع المعرفة الأخرى فعندما توجه الفلسفة انتباهها إلى العلم نحصل على فلسفة العلم ، وعندما تفحص أو تمتحن الفلسفة المفهومات الأساسية للقانون ، نحصل على فلسفة القانون .. وعندما تتناول الفلسفة التربية نحصل على فلسفة التربية أو الفلسفة التربوية [1].

ويفسر لنا جورج نيلو هذا المفهوم بصورة أكثر ايضاحاً حينما يقول :-

« .. كذلك تسعى الفلسفة التربوية إلى فهم التربية في كليتها الاجتماعية، وتفسرها بواسطة مفهومات عامة تتولى قيادة اختيارنا للغايات والسياسات التربوية . وعلى هذا المنوال نفسه الذي به نسق الفلسفة العامة بين مكتشفات أو موجودات العلوم المختلفة . نجد الفلسفة التربوية تفسر هذه المكتشفات أو الموجودات من حيث أثرها في التربية . فالنظريات العلمية ليست لها متضمنات تربوية مباشرة ، ولا يمكن تطبيقها على الممارسة التربوية من غير أن تفحص أولاً فحصاً ، وتمتحن امتحانا فلسفياً . وتعتمد الفلسفة التربوية على الفلسفة العامة أو الصورية إلى حد أن مشكلات التربية ذات طابع فلسفي عام . ولا نستطيع أن ننقد السياسات التربوية القائمة أو أن نقترح سياسات جديدة بدون النظر في المشكلات الفلسفية العامة من قبيل :-

أ. طبيعة الحياة الصالحة أو الخيرة التي ينبغي أن تفضي إليها التربية .
ب. طبيعة الإنسان نفسه ، لأننا انما نربي الإنسان .
ت. طبيعة المجتمع ، لأن التربية عملية اجتماعية .

---

(١) جورج . ف. نيلو – مقدمة إلى فلسفة التربية – ترجمة الدكتور / نظمي لوقا – مكتبة الإنجلو المصرية – صـ ٨

ث. طبيعة الواقع الأقصى أو الحقيقة القصوى التي تسعى كل معرفة للنفاذ اليها .

فالفلسفة التربوية إذاً تتضمن وفيما تتضمنه تطبيق الفلسفة الصورية على ميدان التربية "(١).

والمنهج هنا بهذا المفهوم هو الطريقة أو الوسيلة التي تدرس به الفلسفة التربوية باعتبارها أي التربية حركة اجتماعية هادفة .. فالفلسفة بطبيعتها العامة تقدم لنا تفسيراً شاملاً للكون والوجود بينما تختص فلسفة التربية في فحص ما يتصل بأصول التربية باعتبار الإنسان جوهر الحياة فيها تعمل على فحص كل ما يتعلق بجوانب حياته المختلفة والمتغيرات التي تتصل بمسار حياته ، وكذا بالنسبة لعلاقته بالمجتمع ، ((لا يكفي إلا أن نسأل ما نريد قوله : المقصود إلى ذلك أن نعرف ما نريد والفلسفة فريدة من نوعها هنا خاصة أن علوم الإنسان تدرس غرض التربية وخاصة الولد من ناحية طبيعته وبيئته وتطوره . ويدرس علم التربية طرق التربية . أما الفلسفة فتفكر في غاياتها »(٢).

فالإنسان هو محط اهتمام فلاسفة التربية « .. فإذا كانت الفلسفة تدرس مختلف الأمور في حياة الإنسان وتهتم بما بين الكائنات البشرية من علاقات وروابط وتعنى بدراسة الكون وبارئ الكون ، وتفلسف مواقف الإنسان إزاء نفسه وعالمه وخالقه ، فقد كانت ولا تزال نتاج الفكر البشري ، حيث تتأثر هذه النتائج بعوامل البيئة الاجتماعية كل التأثير .. من هنا كان شعور فلاسفة التربية بأن إعداد الإنسان للمستقبل هو شغلهم الشاغل ، وينبغي أن يكون كذلك ، فبتربية الأطفال نستطيع أن نحقق هدفاً فلسفياً يكون له أثر رائع في حياة الإنسان وسعادته .. وهذا ما جعل المربين وفلاسفة التربية خاصة يوجهون شديد العناية للنواحي الاجتماعية »(٣).

يقول الدكتور محمد جواد « فالمعلم الذي لا يأخذ بالتفسير الإغريقي للإنسان سيجد نفسه والعملية التربوية كلها مسئولين عن العناية بالتربية العقلية للتلميذ وابتكار الوسائل التي تسهم في تطوير الطاقات العقلية عنده . وما نظريات الترويض العقلي ببعيدة عنا ، كما أن تاريخ التربية العقلية الحافل منهجاً وطريقة وفلسفة غير غريب على دارس تاريخ التربية ، أما المعلم المتدين فإن واجبه

(١) المصدر السابق – صـ ٨-٩

(٢) أوليفه ربول – فلسفة التربية – ترجمة د/ جهاد نعمان – منشورات عويدات بيروت – باريس – الأولى ١٩٧٨م – صـ ١٠

(٣) فلسفة في التربية والحرية – صـ ١٣-١٤

الأخلاقي والتربوي يتركز في تعميق الحس الديني عند التلميذ وتمتين الروابط بينه وبين الخالق الأعظم وبناء تفكيره الاجتماعي حول تعاليم الدين وتوجيه كافة الخبرات المدرسية نحو خدمة الفكر والسلوك الديني .

أما إذا كان المعلم من أصحاب المذهب العلمي فلا ريب أن هدف التربية الرئيسي عنده سيكون تعميق الوعي العلمي عند المتعلم ، وعيه لذاته ومجتمعه والكون المحيط به)) [1].

السمات العامة لفلسفة التربية :

لفلسفة التربية سمات كثيرة ولكنها تتغير طبقاً لثقافة ومفهوم كل فيلسوف أو مفكر .. على الرغم من أن أهدافها العامة واحدة . تستهدف إعداد الإنسان وتأهيله ، وقد لاحظنا هذا جلياً أثناء استعراضنا لآراء معظم الفلاسفة في التربية . فمثلاً النظرة الأفلاطونية للتربية لم تخرج عن واقعه الاجتماعي الذي يحتم على طبقة الأشراف أن يكونوا على رأس الهرم السياسي والاجتماعي . وهو ما يتناقض كلياً مع النظرة السفسطائية أصحاب النظام الديمقراطي . وهذه النظرة نجدها قد أخذت صيغة أكثر فعالية في الفكر الفلسفي الحديث، فالفيلسوف هوبز تصور أفراد المجتمع على أنهم يعيشون في حالة من التوحش . فالإنسان « ذئب لأخيه الإنسان» . واعتبر جون لوك بأن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء تنتظر من يشكل فكره . بينما رأي روسو أن العديد من القضايا الاجتماعية ستحل عن طريق العقد الاجتماعي . وأصبح لهذه الآراء في الفكر التربوي الحديث نتائجها البعيدة المؤثرة على مسار العملية التربوية « .. فالطفل كائن يمارس خبرات معينة ويتفاعل مع بيئته كجزء لا يتجزأ من تيار الحوادث والمشاعر ، والأفكار والأشياء ، ولفهم هذا الطفل يجب أن ينظر إليه على أنه كائن حي طبيعي يرتبط بعلاقات كثيرة مع الكائنات الحية الطبيعية الأخرى، وينتج عن ذلك أن يقع سلوك الإنسان في ميدان خبرته، ويصبح التعليم خبرة طبيعية أي أنه يصبح المجهود المنظم الذي يقوم به كل كائن حي للتغلب على العقبات التي تعترض طريقه وللتقليل من عوامل الإضطرابات المختلفة »[2].

(١) د/ رضاء / محمد جواد – فلسفة التربية وأثرها في تفكير معلمي المستقبل – مطبوعات جامعة الكويت – صـ ١٩١- ١٩٢

(٢) فلسفة التربية – صـ ١٦٠ – ١٦١

ونجد في الفلسفة التربوية الحديثة ملامح جديدة كنتاج للتطور والتقدم الذي شهده هذه العصر . فهناك (مبادىء عامة تقوم عليها هذه الفلسفة التربوية ، نجد أن التربية الحديثة قد أهتمت بالتعبير عن الذات وتنمية الفرد بدلاً من القسر الخارجي الذي كان يسمم التربية التقليدية . كما استبدلت النشاط الحر بقواعد النظام الخارجي والتعليم عن طريق الخبرة بالتعليم عن طريق الكتب والمدرسين . وبدلاً من الاقتصار على اكتساب المهارات المفردة والنواحي الفنية العملية عن طريق التدريب الآلي . صار تعليمها على أنها وسائل لتحقيق أهداف يقبل عليها المعلم اقبالا حيويا مباشراً ، واسبتدلت بالاعداد لمستقبل يتفاوت مدى بعد الأعداد لاستغلال فرص الحياة الراهنة أعظم استغلال ممكن وأخيراً فقد استبدلوا بالأهداف والمواد الجامدة التعرف على عالم دائم التطور »[1].

ولأن فلسفة التربية تعنى بجانب من جوانب الفلسفة الشاملة انطلاقاً من صميم مشكلاتها إلا أنها لا تستطيع مناقشة موضوع تخصصها بعيداً عن موضوعات الفلسفة العامة .. « وتعتمد فلسفة التربية على فلسفة نظرية لأن معظم المشكلات التربوية الرئيسية هي في صميمها مشكلات فلسفية ، ونحن لا نستطيع أن ننتقد المثل العليا التربوية والسياسات التربوية أو أن نقترح مثلا عليا أو فلسفات تربوية جديدة دون أن نأخذ في اعتبارنا مثل تلك المشكلات، الفلسفية العامة بطبيعة الحياة الصالحة التي ينبغي أن تؤدي اليها التربية . وطبيعة الإنسان ذاته . وذلك لأن الإنسان هو الذي نقوم بتربيته ، وكذا طبيعة المجتمع لأن التربية هي عملية اجتماعية وكذا طبيعة الحقيقة النهائية التي تنشد جميع المعرفة سبر أغوارها . إذاً فالفلسفة التربوية تتضمن تطبيق الفلسفة النظرية على مجال التربية ، وهذه الفلسفة شأنها شأن الفلسفة العامة تأملية ارشادية ونقدية أو تحليلية»[2].

ويفلسف الكاتب هذه الحقيقة بهدف توضيح أهميتها وعلاقتها بالإنسان « إن الفلسفة التربوية تكون تأملية عندما تنشد اقامة نظريات حول طبيعة الإنسان والمجتمع والعالم . تعمل بواسطتها على تنظيم المعلومات المتصارعة المتعلقة بالبحث التربوي والعلوم الإنسانية ، وتعمل على تفسيرها .. وارشادية عندما تحدد الغايات التي يجب على التربية أن تستهدفها والوسائل العامة التي ينبغي أن تستخدمها لبلوغ تلك الأهداف . وهي تقوم بتحديد وتفسير الأهداف والوسائل القائمة المتعلقة بنظامنا التعليمي ، وتقترح أهداف ووسائل أكثر لكي تؤخذ في الاعتبار »[3].

(١) ديوي / جون الخبرة والتربية – ترجمة محمد رفعت رمضان – مكتبة الإنجلو مصرية – الطبعة الثانية – صـ ١٢-١٣

(٢) ج . ف. نيللر – في فلسفة التربية – ترجمة د / منيرمرسي وآخرون – صـ ٣٨- ٣٩

(٣) المصدر السابق – صـ ٣٩

ولهذه الفلسفة وظيفة نقدية تقوم بعملية تحليل ونقد الأفكار الفلسفية والتربوية ومنطلقاتها في إطار منهجي واضح « وهي بهذا المعنى تقوم بتحليل نظرياتها التأملية والإرشادية . كما تقوم بتحليل النظريات التي تجدها في فروع المعرفة الأخرى . هي تقوم بوزن معقولية مثلها العليا التربوية وسياقها مع المثل العليا الأخرى . كما تفحص الدور الذي يلعبه التفكير غير المتفحص والتفكير الذي توجهه الرغبة ، وهي تقوم باختبار المنطق الموجود في مفاهيمنا وكفايته في مجابهة الحقائق التي تنشر تفسيرها وهي تفضح التناقضات الموجودة بين نظرياتنا وتوجه الأنظار إلى مجموعة النظريات الدقيقة التي تبقى بعد إزالة التناقضات ، وهي تدرس الانتشار الكبير الهائل للمفاهيم التربوية المتخصصة التي تناط بتلك المصطلحات التي أسرف في استخدامها مثل « الحرية ، التوافق، النمو ، الخيرة ، الاهتمام ، النضج»[1].

الأهداف العامة لفلسفة التربية :

تتحدد الاهداف التربوية ضمن الأهداف العامة لأي نظام اجتماعي سياسي؛ فالأهداف التربوية تقدم خطة عامة وشاملة يتم بموجبها اعداد الفرد والمجتمع اعداداً جيداً ، ومثل هذه الأهداف خلقت توازن بين الفئات الاجتماعية «الوحدة الوطنية» ووضع أسس البناء الثقافي السليم لجميع أفراد المجتمع وربط المواطن بوطنه ، وتكوين الاتجاهات اللازمة للتقدم العلمي والتكنولوجي وترسيخ القيم الأخلاقية والدينية بين أفراد المجتمع ، ووضع خطة تنموية شاملة من أجل تحقيق معدلات كبيرة في وتيرة الانتاج ، وتحقيق الأمن الغذائي لجميع أفرادالمجتمع ، وتهدف فلسفة التربية من هذا خلق مجتمع انساني يمتاز بالتواصل والفهم العميق لطبيعة الواقع ودراسة مختلف الإتجاهات والأفكار والوجود الإنساني من مختلف جوانبه . « إن فلسفة التربية تشكل بنيتها وصيغها ، ووسائلها ، وأهدافها في اطار الفلسفة الاجتماعية التي تعيش فيها مهما اختلفت طبيعتها ومهما تباينت أغراضها ومراميها .»[2].

حتى اذا اخذنا حياتنا اليومية سنجد أن لا نخطو خطوة واحدة إلا بهدف، وإذا لم توجد أهداف تنظم حياتنا لكان شأننا شأن الحيوان . ولهذا جاءت فلسفة التربية بأهدافها البعيدة لتجعل للحياة معانٍ حيوية « والهدف معناه وجود عمل مرتب منظم ـ عمل يقوم النظام فيه علىً الاكمال التدريجي لعملية من العمليات »[3].

(١) المصدر نفسه – صـ ٤٠
(٢) في فلسفة التربية – صـ ٣١
(٣) فلسفة التربية ·– صـ ١٧٠

فالهدف يبدأ، ينمو عبر مراحل متعددة ، وعندما يكتمل هذا الهدف يصير قابل للتحقيق «والهدف الحقيقي يبدأ دائماً بنزعة ثم تتحول هذه النزعة إلى رغبة ثم يقف الفرد قليلاً عند هذه المرحلة ليفكر أي أنه يفكر دون عمل لكي يؤثر على نفسه مواجهة نتائج الفروض المختلفة من الناحية العملية إلى غيرها ، ولنقلها إلى حيز التنفيذ إذا كانت صالحة »[١].

والأهداف تختلف باختلاف النظريات الفلسفية ، والمفكرين التربويين ، والمواضيع التي تعالجها التربية . وقد تقوم هذه الأهداف على أساس اجتماعي واقتصادي «والأهداف التي تحددها العملية التربوية لها طبيعتها التي تختلف باختلاف النظريات الفلسفية وتنوعها . ففي بعض الفلسفات تعتبر الأهداف نابعة من مواقف مباشرة ، والأهداف كموجهات لا تعني توضيع نهاية موجهات للنمو ، ويوضح الاتجاه الطريق فيما بعد الموقف الحاضر ... ولكنها توضح الطريق نفسه»[٢].

ويضيف المؤلف إلى هذا قوله « «وتنظر بعض الفلسفات إلى الأهداف على أنها غايات أي على أنها مقاصد يجب الوصول إليها أكثر مما يكون على الموقف الحاضر أو الطريق الذي يترتب عليه بعد ذلك »[٣].

ووجود الهدف يرتبط بوجود الوسيلة لأنهما جزء ان مكملان لبعض . فتحديد الهدف يتضح مع الوسيلة والأهداف مختلفة ومتنوعة ، وتتحدد بمجرد وجود الموضوع . فمثلاً إذا كان موضوعنا هو التربية خلال فترة النمو ستكون الأهداف في هذا الاطار وإذا كان الموضوع هو معالجة مشكلات التربية والثقافة والأخلاق وغيرها سيكون الهدف موجه في هذا الإطار أيضاً .

ويحدد « ي. ج - أوكونور الأهداف التربوية بالآتي :-

١. أن تمد أفراد المجتمع من رجال ونساء بحد أدنى من المهارات الضرورية.

أ. لأخذ مكانهم في المجتمع .

ب. للسعي وراء مزيد من المعرفة .

---

(١) المصدر نفسه – صـ ١٧٠
(٢) المصدر نفسه – صـ ١٧٥
(٣) المصدر نفسه – صـ ١٧٦

٢. أن تمد هؤلاء الأفراد بتدريب مهني يجعلهم قادرين على كسب عيشهم واعالة أنفسهم .

٣. أن يثير فيهم الميل لإكساب المعرفة وتذوقها .

٤. أن تكسبهم فكراً ناقداً .

٥. أن تجعلهم على اتصال بالمنجزات الثقافية والأخلاقية للجنس البشري ... والاعتراف بقيمتها"[1].

ويمكن أيضاً أن نطلق على الهدف كلمة الفعل الذكي الواعي ولا نستطيع أن نقول أن للتربية أهداف معينة خاصة بها ، ولكن نستطيع أن نقول أن الأهداف عامة . ويمكن أن تترجم هذه الأهداف في حياتنا اليومية .

" .. فالمربي كالفلاح لديه أمور وعقبات معينة عليه أن يتصدى لها . والشروط التي يتعامل معها الفلاح سواء كانت عقبات أم موارد لها بنيتها الخاصة المستقلة عن أي غرض من أغراضه فالبذور تنبت شفأها والأمطار تهطل ، والشمس تشرق والحشرات تلتهم ، والآفات تنزل بساحته ، والفصول تتغير ، وهدفه ببساطة أن تستخدم هذه الشروط المتنوعة ، وأن تجعل أنشطته وطاقاته تعمل معاً . بدلاً من التصارع فيما بينها فمن السخف أن يجعل الفلاح لنفسه غرضاً هو الزراعة . فمن غير الرجوع إلى هذه الشروط من تربة ومناخ وخصائص ونمو ... وكذلك حال المربي سواء كان والداً أم معلماً . فمن السخف أن يضع المعلم أهدافه الخاصة به كموضوعات لنمو الأطفال ، كما أنه من السخف أن يضع الفلاح مثالاً للزراعة بصرف النظر عن الأحوال أو الشروط المحيطة به ، فالأهداف معناها تقبل مسئولية الملاحظة ، والتوقع ، والترتيبات المطلوبة لأداء وظيفة ـ سواء كانت الزراعة أم التربية ، ولكل هدف قيمته على قدر مساعدته للملاحظة والاختيار والتخطيط للقيام بالنشاط من لحظة إلى لحظة ومن ساعة إلى ساعة "[2].

(١) جون ديوى – الديمقراطية والتربية – ترجمة د/ نظمي لوقا – مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٨م – صـ ٩٣
(٢) المصدر نفسه – صـ ٩٧- ٩٨

الفصل السابع

الفصل السابع

الإتجاه العام لبعض النظريات التربوية في الفلسفة المعاصرة

سنعرض هنا بإيجاز بعض القضايا الجوهرية التي أثارتها بعض النظريات التربوية في الفلسفة المعاصرة نظراً لأهميتها الفائقة ولأن آرائها في التربية ستمكن الباحث في هذا المجال والمهتمين بقضايا التربية من امتلاك رؤية جديدة لطبيعة مسار العملية التربوية . وبالتالي إعادة النظر في بعض الاختلالات التي ترافق العملية التربوية ومن ثم إصلاح التشوهات فيها .. طالما وأن من الأهداف الأساسية للتربية هو تنشئة الأطفال ، وبناء وعيهم على حب العلم والتعليم ، وفعل الخير ... ومن المدارس الرائدة في هذا الاطار هي .

١. التقدمية :

ظهرت هذه الحركة في أمريكا في ظل ظروف صعبة ومعقدة كانت تسيطر فيه الأفكار التقليدية على المجتمع الجديد ، وانفجرت هذه الحركة التقدمية بعنف ثوري فنادت بضرورة إحلال القيم الثورية الجديدة محل القيم التقليدية البالية . إلا أن هذه الأفكار اصطدمت بالواقع الاجتماعي ولاقت مقاومة عنيفة من أنصار الحركة المحافظة . « .. وقد مهدت قوة الحركة التقدمية والدعاية التي ظفرت بها الطريق أمام ثورة مضادة ، ونددت حركة محافظة عنيفة بتطرف التقدميين ، ولكنها في الوقت عينه مثلت جانباً من أقوالها الأقرب إلى الإعتدال. وقد عرفت هذه الحركة المحافظة باسم « مذهب الدوام»[1].

وحاولت هذه الحركة تطبيق البراجماتية على التربية ، وإن كان ظهورها لا يرجع إلى الفلاسفة البراجماتيين . وانما كانت الأفكار البراجماتية تردد صداها بين أفكار هذه الحركة . « .. وحتى عام ١٨٧٠م كان التربوي الكولونيل فرانسيس باركر ينادي بالاصلاح المدرسي ، وهو الاصلاح الذي نادى به من بعده جون ديوى . وقبل انتهاء القرن التاسع عشر ثار عدد من التربويين عرفوا جوازاً باسم التقدميين ضد ما

(١) مقدمة إلى فلسفة التربية – صـ٤٩

أسموه بالمبالغة في رسمية النظم التربوية التقليدية . بما انطوت عليه من الأنظمة القاسية والدراسة السلبية والتدريب المجرد من الهدف. وكان التربوي الفيلسوف جون ديوى أول من جمع بين التربية والتقدمية والفلسفة البراجماتية»[1].

وظلت التقدمية طيلة ثلاثين عاماً تنشر أفكارها التربوية ، فقد كانت في مرحلتها الأولى ذات صفة فردية تعكس واقع العصر . وتعدد أنماطه الفكرية . وفي تلك المرحلة اجتذبت تعضيدة وليم هير وكيليا تريك من جامعة كولومبيا ، وعندما حلت الأزمة الاقتصادية العالمية ألقت التقدمية بثقلها خلف حركة المطالبة بالتغيير الاجتماعي مضحية بطبيعتها الفردية ومطالبة بالتعاون وبالديمقراطية. وفي خلال تلك الفترة انضم اليها جون . ل . تشايلد ، وجورج كاونتسي.، و ف. ت . تاير وبويد . بود وعندما خرجت أمريكا من الحرب العالمية الثانية فقدت التقدمية جزءاً من قوتها الدفاعية الأولية ، ولكنها مع ذلك كانت قد نجحت في تغير وجه التربية الأمريكية » [2].

وبعد هذه المرحلة كانت مطالبهم المختلفة قد أصبحت في مرأى مع الواقع ، وتجسدت هذه عملياً في كتابات التجريبيين المعاصرين أمثال لورنس توماس ، وجوردون هلفيش ، وجورج اكستيل وبروس روب وفريدريك نيف وأرنست بايلزو وليم ستانلي . وقد ركزت التقدمية أهدافها في عدة مبادئ أساسية أهمها :-

١. ينبغي أن تكون التربية نشيطة وايجابية مرتبطة باهتمام الطفل .

٢. إن الفرد يستطيع أن يواجه الحده والتعقيد في الحياة بنجاح أعظم عندما يقسم تجاربه إلى مشاكل محدودة .

٣. إن التربية بوصفها عملية ذكية لإعادة الخبرة تعتبر مرادفه للحياة المتحضرة.

٤. نظراً لأن الطفل يجب أن يتعلم وفقاً لاحتياجاته ومصالحه الخاصة فإن المعلم يجب أن يكون له هادياً وناصحاً أكثر مما هو رمز للسلطة والسيطرة.

٥. إن الأفراد اذا عملوا متعاونين يحصلون على نتائج أكبر مما لو عمل كل منهم ضد الآخر وعلى ذلك فإن المدرسة يجب أن تشجع التعاون أكثر مما تعمل على تشجيع المنافسة .

(١) في فلسفة التربية – صد ١٣٨
(٢) المصدر نفسه – صد ١٣٨

٦. التربية والديمقراطية تحوي كل منهما الأخرى ولذا فإن المدارس يجب أن تدار بالوسائل الديمقراطية "[1].

وهم ينادون بفكرة المدرسة التي تتركز حول الطفل ، وهي المدرسة التي تتقرر فيها عملية العلم ، واتسم نظامهم " بالانضباط الصارم والتعلم السلبي والتفصيلات التي لا أهمية لها"[2].

ولهذه الحركة ايضاً دوراً رائداً في حركة التغير الاجتماعي ، فركزت جل اهتمامها على بناء الفرد واعداده اعداداً صحيحاً ، والتربوي عندهم هو الذي يستطيع أن يغير الواقع وينتقد السياسات والمتغيرات المختلفة .

« .. اعتنقت مثلاً عمليا من قبل « التعاون» و « المشاركة « و « التوافق» وانظم اليها جون . ل . نشايلوز وجورج كونتر . وبوير . بود وقد انحلت جمعية التربية التقدمية منذ زمن بعيد، وحدثت للحركة نفسها نكسة كبرى بعد أن أطلق الاتحاد السوفيتي قمره الصناعي « سبوتنك» بيد أن التقدمية لم يزل لها نفوذ كبير من خلال العمل الفردي لمعاصرين من أمثال جورد اكستل . وليم أ. ستانلي ، وأرنست بايلز ، ولورزنس . ج . توماس . وفردريك. س. نيف واتخذت التقدمية العقيدة البراجمانية القائلة أن التغيير لا الدوام هو جوهر الواقع . ولذا أعلنت في صورتها النقية أن التربية ماضية على الدوام في سياق النمو . ويجب أن يكون المربون مستعدين لتعديل الطرق والسياسات في ضوء المعرفة الجديدة والتغييرات في البيئة . ولا تحدد النوعية الخاصة للتربية بتطبيق مستويات دائمة للخير والجمال . بل باعتبار التربية إعادة بناء متصلة للخير وعلى حد تعبير ديوي : « وبذلك تصل إلى تعريف تقني للتربية وهو أنها اعادة بناء واعادة تنظيم الخبرة التي تضيف إلى معنى الخبرة وتزيد القدرة على توجيه مسار الخبرة التالية»[3].

ويقول كلباتريك الذي ناصر المدرسة المركزة حول الطفل . « .. إن الحدث ميال بطبعه إلى تعلم كل ما يتصل باهتماماته ، ويبدو أنه يحل مشكلاته . وفي الوقت نفسه يتجه بطبيعته إلى مقاومة كل ما يشعر أنه مفروض عليه من أعلى. فالطفل إذاً ينبغي أن يتعلم لانه يحتاج التعلم ويريد أن يتعلم لا لأن أحداً غيره يعتقد أنه ينبغي بالضرورة أن يتعلم . فلا بد أن يرى الطفل وثاقة الصلة بين ما يتعلمه وبين حياته الخاصة . لا بين ما يتعلمه وبين مفهوم الراشد لنوع الحياة

(١) المصدر نفسه – صـ ١٣٩ – ١٤٠
(٢) مقدمة إلى فلسفة التربية – صـ ٥٤
(٣) المصدر نفسه – صـ ٥٤– ٥٥

التي ينبغي لطفل في سنه أن يحياها . وهذا يعني أنه ينبغي السماح للطفل بتتبع كل حافز من حوافز رغائبه . ولولا أنه لم ينضج بعد بما يكفي لتحرير أغراضٍ ذات مغزى .. ولا يؤثر المعلم التقدمي في نمو تلاميذه عن طريق حشو ..حزماً.. من المعلومات في أدمغتهم . بل بالسيطرة على البيئة التي يجرى فيها هذا النمو، ويعرف النمو بأنه « زيادة الذكاء في تدبير الحياة « و « التكيف الذكي ببيئة ما» ويفصح ديوى المعلم بقوله : « والآن راع أن تكون الشروط أو الأحوال يومياً بحيث تتحرك أنشطتهم الخاصة حتى في هذا الإتجاه صوب ذروتها »[1].

٢. مذهب الدوام :

سبق وأن أشرنا في مستهل حديثنا عن التقدمية إلى مذهب الدوام والذي تبناه المحافظون ضد التقدمية والأفكار التربوية الجديدة ولمذهب الدوام اسهامات واضحة في مجال التربية .. فقد نادى « بالولاء للمبادئ المطلقة ضد الحاح أو تركيز التقدميين على التغير والجدة .. وقالوا أن الدوام - برغم التقلبات الاجتماعية الجسمية أكثر واقعية من التغيير .. وهو أيضاً مرغوب فيه أكثر منه كمثل أعلى . فلا شيء في عالم متزايد القلق والريب يمكن أن يكون اجدى من ثبات الغرض التربوي والاستقرار في السلوك التربوي»[2].

ويلخص مذهب الدوام مبادئه الأساسية في النقاط التالية :-

١. إن الطبيعة البشرية برغم اختلافات البيئات تظل كما هي في كل مكان .

٢. وما دام النطق « اي العقل »، أسمى خصائصِ الإنسان إذاً يجب عليه أن يستخدمها في توجيه طبيعته الغريزية وفقاً لغايات اختارها عن رؤية وعمد.

٣. مهمة التربية أن توصل معرفة الحقيقة الخالدة فالتربية على حد قول مشهور لهتشنز " تتضمن التعليم والتعليم يتضمن المعرفة . والمعرفة هي الحقيقة، والحقيقة هي هي في كل مكان . ومن ثم ينبغي أن تكون التربية هي هي في كل مكان . فعلى التربية أن تسعى لتكييف الفرد لا بالعالم كما هو بل بالحقيقة والتكيف بالحقيقة هو غاية التعليم .

٤. التربية ليست تقليداً للحياة بل اعداداً لها .

(١) انظر المصدر السابق الصفحات من ٥٥-٥٩
(٢) المصدر السابق – صـ ٥٠

٥. ينبغي أن يعلم الطالب موضوعات أساسية معينة تعرفه بأبديات العالم ولا ينبغي أن يزج به في دراسات تبدو هامة في حينها ولا يسمح له بتعلم ما يجتذ به في سن معينة . ينبغي أن يدرس اللغات المختلفة والتاريخ والرياضيات والعلم الطبيعي والفلسفة والفنون الجميلة وفي هذا يقول كلر: " .. إن التربية الأساسية للحيوان الناطق هي انضباط قدراته الذهنية وتهذيب ذهنه. ويتم هذا الانضباط عن طريق الفنون الليبرالية فنون القراءة والأصفار والكتابة والكلام والتفكير حتماً لأن الإنسان حيوان ، اجتماعي مثلما هو حيوان ناطق . وحياته الذهنية تقاس في مجتمع لا يمكن أن يوجد إلا عن طريق الاتصال بين الناس إن هذه الفنون الليبرالية الثلاثة الأساسية " القراءة والكتابة والتفكير ، التي هي قوام الانضباط الصوري انما هي لباب التربية العامة أو الليبرالية .

٦. ينبغي أن يدرس الطلبة الأعمال الكبرى في الأدب والفلسفة والتاريخ والعلم ويقول : مورتمزا دلر : " لئن كانت الحكمة الفلسفية موجودة كما توجد المعرفة العلمية ، وكانت الفلسفة عبارة عن استبصارات وأفكار . فلما تتغير من زمن إلى زمن ، وكانت المعرفة العلمية ذات مفهومات كثيرة ثابتة ، ومنهج ثابت نسبياً ، وكانت الأعمال الأدبية الكبرى والفلسفة كذلك تمس المشكلات الخلفية الدائمة للجنس البشري ، وتعبر عن الإقتناعات الكلية للبشر فيما يتعلق بالأخلاق ، لئن كانت هذه الأمور هكذا . إذا فالكتب العظيمة في العصر القديم والعصر الوسيط والعصر الحاضر مستودع المعرفة والحكمة ، وهي تراث الثقافة الذي يجب أن يتعرف علية كل جيل جديد "[1].

٣. التواترية :

تقوم هذه المدرسة على أساس أن المبادئ الأساسية للتربية تتواتر ولا تتغير . ويستشهدون بآراء أرسطو وتوما الأكويني ، وأبرز رجالها روبرت ماينارد هتشنز ومورتيموح أولز ، وركزوا حول قضية تنمية العقل وتكوين طبيعة الإنسان من خلال التربية وأهم مبادئهم التربوية هي :-

١. بما أن الطبيعة البشرية ثابتة فكذلك تكون طبيعة التربية .

٢. بما أن الصفة المميزة للإنسان هي عقله لذلك يجب أن تركز التربية على تنمية استخدام العقل .

(١) انظر المصدر السابق – ص ٥٠- ٥٣

٣. النوع الوحيد للتجاوب الذي يجب أن تؤول إليه التربية هو التجارب مع الحقيقة لأنها عالمية وغير متغيرة .

٤. ليست التربية بمرادفة للحياة ولكنها اعداد لها .

٥. يجب أن يتعلم الأطفال عدداً معيناً من الموضوعات الأساسية التي تمكنهم من معرفة "الصفات الدائمة ، للعالم من الناحيتين الروحية والمادية .."

٦. وأفضل المراجع لدراسة هذه الصفات الدائمة هي ما يسميه التربويون بالكتب العظمى "[١].

والتواتريون يصرون على أن البشر متشابهون في كل مكان ولذلك يجب أن يكون التربية واحدة لجميع الأفراد .. وهذا ليس منطقياً لأن لكل مجتمع خصوصيات ثقافية وأخلاقية ودينية ، وهذه الخصوصيات وبدون شك ستلعب دوراً مؤثراً ومغايراً في مسار العملية التربوية . فهي في هذا الاعتقاد لم تقيم أفكارها على الأساس العنصري أو الجنس ، ولكنها في المقابل تقع في خطأ منطقي . فالبشر متشابهون نعم ولكنهم يختلفون ثقافياً ودينياً وسلوكيا وحضارياً .. فلا يمكن مثلا تطبيق الأسلوب التربوي الأمريكي على اليمن أو البلدان الأخرى .

ويقول هتشنز " .. إن وظيفة الفرد قد تختلف من مجتمع لآخر ولكن وظيفة الفرد كإنسان هي نفسها لاتتغير على مدى العصور وفي جميع المجتمعات ذلك لأنها تتبع من طبيعته الخاصة كإنسان . والهدف من أي نظام تربوي حيثما أمكن وجوده . لا يتغير من عصر لعصر ولا من مجتمع لمجتمع وذلك لأنه المقصود من هذا الهدف هو تحسين الإنسان كإنسان "[٢].

ويقول أدلر : « إذا كان الإنسان حيواناً عاقلاً ذا طبيعة ثابتة على مر التاريخ فلا بد والحالة هذه من وجود بعض الملامح الثابتة في كل منهج تربوي سليم بصرف النظر عن الثقافة والعصر »[٣].

وتهدف التربية إلى تشكيل وعي الأطفال واكسابهم المعارف المختلفة وهم على الدوام يمتازون ببعض الصفات المشتركة . وعلى الرغم من هذا إلا أن التربية من المسائل الصعبة والمعقدة .

---

(١) المصدر السابق – صـ ١٥٦ – ١٥٧
(٢) المصدر السابق – صـ ١٥٧
(٣) المصادر السابق – صـ ١٥٧

« .. إن الأطفال لا يظلون على الدوام عجينة سهلة التشكيل وهم في كل مكان يتميزون ببعض الصفات المشتركة . وجوهر التربية هو اكتساب المعرفة ، أما الرأي فبالطبع شيء مختلف ، فقد يختلف الناس في آرائهم ولكن اذا اتحدت هذه الآراء فإنها تصبح معرفة وليس ثمة فائدة في تشجيع العقول غير الناضجة على اهدار الوقت في محاولة البحث لأنفسهم عن ذلك النوع من المعرفة الذي يمكن أن يتعلموه في بضع دقائق واذا ضعفت الذاكرة وجب تقويتها بالتمرين والتكرار وإذا كان هناك بعضٍ الأطفال يحتاجون لوقت أطول من غيرهم للتعلم فلا يجب أن يكون ذلك داعياً لتخفيف المستوى العقلي للتربية . بل يجب في هذه الحالة تخصيص المزيد من الوقت والجهد لمساعدة الأطفال الأبطأ فهماً ليحصلوا على نفس المعرفة التي يحصل عليها أقرانهم الأسرع فهماً »[1].

٤. التجديدية « اعادة البناء » :

منذ سنة ١٩٢٠م اقترح جون ديوى لفظ « اعادة البناء « أو « التجديدية» وذلك في عنوان كتابه « اعادة البناء أو التجديد في الفلسفة» وفي أوائل الثلاثينات ناشدت جماعات معروفة باسم مفكري الحرور المدرسة أن تقدم الطريق صوب ايجاد مجتمع «جديد» و»أوفر عدالة» وكان أكبر الناطقين بلسانهم «جورج كونت» و»هارولدرج» وكان كونتز قد كتب « الطريق الأمريكي إلى الثقافة . (١٩٣٠م) .

وكان رج قد نشر « الثقافة والتربية في أمريكا « (١٩٣١) . وفي ذلك الحين كان التقدميون من قبل . و. هـ . كلباتريك وجون تشايلدرز يحثون التربية أيضا» على أن تغدو أكثر فطنة لمسئولياتها الاجتماعية »[2].

والتجريدية تعتبر الخلف الحقيقي للتقدمية لأنها تقيم مبادئها على أساس تجديد المجتمع لكي يواجه الأزمة الثقافية في عصرنا . « .. ومن أجل أن تصبح التربية الوسيلة الرئيسية لوضع برنامج عمل اجتماعي واضح ودقيق وهم يرفضون الفكرة التقدمية القائلة بأن يكون المجتمع مجتمع تخطيط يجب أن يركز على الأهداف التي يجب الوصول إليها»[3].

(١) المصدر السابق – صـ ١٥٧
(٢) مقدمة إلى فلسفة التربية – صـ ٦٧
(٣) في فلسفة التربية – صـ ١٧٤

مبادئ التجديدية تتمثل بالآتي :-

١. الغرض الأساسي من التربية هو تقويم برنامج دقيق وواضح للاصلاح الاجتماعي .

٢. يجب على المربين أن يبدأوا في تنفيذ هذا الواجب بلا تأخير .

٣. النظام الاجتماعي الجديد يجب أن يكون ديمقراطي أصيل .

٤. يجب على المعلم أن يقنع تلاميذه بالوسائل الديمقراطية بصحة وضرورة وجهة النظر التجريدية .

٥. يجب أن تعاد صياغة وسائل وأهداف التربية طبقاً لنتائج العلوم السلوكية .

٦. الطفل والمدرسة والتربية ذاتها تشكل غالباً بالقوى الاجتماعية والثقافية "(1).

وأصحاب هذا المذهب يجاهدون من أجل أن يكون المجتمع الجديد ديمقراطياً أصيلاً يسيطر فيه الشعب بنفسه على مؤسساته وموارده . يجب على الجماهير أن تستحث على تجديد المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويجب صياغة التربية بحيث تخدم الأهداف المختلفة وتواجهه متطلبات الأزمة الثقافية الحالية للتوافق مع نتائج العلوم السلوكية وهم ينظرون بتشائم إلى الحضارة التي أخذت في وقتنا المعاصر تلاقي مصاعب وتعثرات كثيرة ، وهي قد تؤدي بها إلى التقوقع وتحجيم نشاطها . فلذلك لا بد من احداث تغير جوهري في تفكير الناس بحيث يتمكنوا من استخدام التكنولوجيا بمضامينها المختلفة في اطار التحولات الجوهرية للبشرية " وينادي بأن الحضارة تواجه الآن احتمال تقويض نفسها ، ويجب أن تؤدي التربية إلى تغيير عميق في عقول الناس كي يتسنى استخدام القوة التكنولوجية الهائلة التي تعرفنا للابداع لا للتقويض . ويجب تعديل المجتمع لابطريقة العمل السياسي فحسب بل على الأخص بطريقة تربية أعضائه ليروا حياتهم المشتركة في ضوء جديد يقول برافلد " إن مذهب إعادة البناء أو التجديد يعني قبل كل شيء ببناء ثقافة جديدة وهو مشرب باقتناع عميق بأننا في غمار حقبة ثورية لن تتمخض على أقل من السيطرة على النظام الصناعي والخدمات العامة ، والموارد الثقافية والطبيعية بواسطة العامة ولأجلهم أولئك العامة الذين ناضلوا على امتداد العصور في سبيل حياة الأمن والكفاية اللائقة والسلام لهم ولأبنائهم "(2).

(١) المصدر السابق – صـ ١٧٣
(٢) تيودور براملدرغو – فلسفة تجديدية للتربية – ١٩٥٦م – صـ ٣٢٨- ٣٢٩

ويقول أيضاً براملد : « . ينبغي أن نعترف بالجماعات على حقيقتها فلا ندينها ساخرين منها ، ولا نتقبل سلوكها تقبلاً سلبياً على أنه شيء محيص عنه ، بل نرمي عن طريق التشخيص السليم – إلى إقامة برنامج اجتماعي وتربوي يساعد على حل مطامح الجماعات ، وتقليل انحرافاتها الخلقية ، واطلاق طاقاتها الإنسانية الكامنة»[1].

٥ . الجواهرية :

الجوهرية جاءت كرد فعل فلسفي على التقدمية ،وهي بدأت مسيرتها الفلسفية على شكل حركة تربوية أساسية «ولم تنتسب صراحة إلى أي عقيدة فلسفية . ولكنها تتلائم مع عدد من الآراء الفلسفية ،وتختلف الجواهرية عن التواترية في أنها لا تتعارض مع التقدمية تعارضاً شاملاً . ولكن ينحصر الاختلاف في بعض العقائد التقدمية . وهي إذ تنادي بأن هناك بعض الجوهريات أو الأساسيات التي يجب أن يعرفها كل انسان متعلم فإنها لا ترفض النصوص التي قدمها ديوى بنفس الدرجة التي أنكرها بعض مريديها الأقل حذراً والذين أنكر كثير منهم صراحة أهمية المواد الدراسية .ويكرس الجوهريون جهودهم الأساسية لإعادة فحص مواد المنهج للتفرقة بين ما هو جوهري وما ليس بجوهري في البرامج المدرسية ولإعادة السلطة للمعلم في حجرة الدرس »[2].

وهذه الحركة تأسست في أوائل الثلاثينات ومن أشهر ممثليها وليام . ك – باجلي وما يكل دميا شفيتش وهرى موروس فيني وهيرمان . هـ – هورن . وهم بدورهم كونوا في ١٩٣٨م « لجنة الجوهريين لنهضة التربية الأمريكية ».

المبادئ الأساسية للجوهرية :

١. التعليم يتضمن بالضرورة العمل الشاق والمثابرة .

٢. المباداه بالتربية يجب أن تكون من جانب المعلم لا من جانب التلميذ.

٣. إن لب التربية هو هضم المواد الدراسية المقررة .

٤. يجب على المدرسة أن تحافظ على الطرق التقليدية للتنظيم العقلي "[3].

---

(١) تيودور براملدرغو – أنماط من الفلسفة التربوية – صـ٤٢٥
(٢) في فلسفة التربية – صـ ١٦٣
(٣) المصدر نفسه – صـ ١٦٥

وهذه الحركة توصي بضرورة التركيز على اهتمامات الطفل الطارئة وبالارتباط بأهداف أبعد أثراً .

الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يخضع رغباته الحالية لأغراض أقل استعجالاً .. المبادئ في التربية يجب أن تكون من جانب المعلم لا التلميذ ، وهي تضعه موقع المركز من العالم التربوي ، ويجب أن يكون المعلم حاصلاً على درجة كبيرة من التربية والمعرفة " ينبغي ربط التعليم في العمل "

الفكر التربوي(الماركسي) :

قبل أن نختتم هذا الموضوع أحبذ أن نأخذ فكرة متواضعة عن أسلوب التربية في الفكر الفلسفي الماركسي باعتبار هذا الفكر وانتشاره الواسع جدير بالاهتمام والدراسة، ونظراً لأهمية هذا الموضوع سنورد هنا باختصار رأي الدكتور علي هود باعباد عميد كلية التربية جامعة صنعاء سابقاً . والذي يعتبر من أشد الناس اختلافاً مع الفكر الماركسي ، ومع ذلك لا يستطيع أن يكتم حقيقة هذا الفكر الذي انتهج اسلوباً فريداً في التربية . ووصل عن طريق الاتحاد السوفيتي إلى أرقى ما وصلت إليه الحضارات الإنسانية في العصر الحديث .. فالتربية الماركسية تنظر للإنسان نظرة فريدة .. نظرة اجلال واحترام .. فالأساس الأيديولوجي أو الفلسفي للتعليم في هذه البلدان التي تقوم على هذه الأيديولوجيا تقوم التربية فيها على أساس الماركسية اللينينية باعتبارها فلسفة العصر « فالدولة لا تنظر إلى التعليم كوسيلة للتثقيف والتعليم فحسب ، بل تستعين به عن قصد لتحقيق الهدف الرئيسي للاشتراكية الماركسية وهو تطوير المجتمع وتغير حياة القوى الإنسانية فيه إلى ما هو أفضل .. أي أن التربية ينظر إليها باعتبارها وسيلة لخدمة أغراض المجتمع وتحقيق حاجاته، فقد اعتمدت الفلسفة الماركسية على المدارس في إيجاد المواطن الجيد ، وتزويده بالمفهومات السياسية والقيم الأخلاقية الشيوعية ، والإتجاهات الإجتماعية في صورة متكاملة واضعين في الاعتبار ما نادى به لينين حين قال « .. إن التربية التي لا تتصل بالسياسة أكذوبة ونفاق ، كما قال أيضاً « إن الهوة السحيقة بين الكتاب والحياة العملية من أعظم الشرور والكوارث التي ورثناها عن المجتمع الرأسمالي القديم »(1).

ويقول أيضاً « وتقوم النظم التعليمية في الدول الشيوعية على أساس سياسة اجتماعية واقتصادية منبثقة من الفلسفة الماركسية اللينينية وهي مؤثرة جميعها في

---

(1) د/ باعباد / علي هود – أنظمة التعليم وفلسفاتها في دول العالم – منشورات جامعة صنعاء – ١٩٨٤ م – صـ ٦٦

نظام التعليم في الإتحاد السوفيتي وغيره من الدول الشيوعية ، ورغم أن هناك سمات عامة تربط وتميز نظم التعليم في هذه البلدان ، غير أن لكل بلد ظروفها التاريخية وعناصرها الثقافية التي لعبت وتلعب دورها في التأثير على نظامها التعليمي» (١).

• علاقة فلسفة التربية بالإنسان :

ربما يلمس المرء أثناء تتبعه لتناولاتنا لفلسفة التربية بأننا قد كررنا الحديث عن هذا الموضوع أكثر من مرة والحقيقة أن موضوع فلسفة التربية هو موضوع الإنسان بصورةٍ اساسية ولهذا جاء هذا التكرار .. فالتربية جزء من الوجود الإنساني تماماً كاللغة والعلم والفن .. وهو فرع من فروع الفلسفة تدرس كلٍ ما يتصل بالإنسان ووجوده ومعارفه .. وهي ليست فرعاً ثانوياً بل فرعاً اساسياً من الفلسفة . وهناك من يرى أن الإنسان يتميز عن الحيوان باللغة ومن يراه بالثقافة ومن يراه بالعمل .. والحال أنه لاوجود لعمل أو للغة أو لثقافة بغير تربية . فهناك ترابط عضوي بين الإنسان والتربية وبين ما يكتسبه الإنسان ويمارسه وفطن إلى هذه الحقيقة كانط حين قال :

« .. إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو أن « الإنسان لا يستطيع أن يصبح انساناً إلا بالتربية »(٢).

والإنسان قد يكون مرادفاً للوجود بصورة عامة شأنه شأن الحيوان .. ولكن الإنسان تفاعل مع البيئة وسخرها لخدمته عن طريق التربية . بينما الحيوان انتظر الطبيعة لتسخر له .. وفلسفة التربية جاءت لتدرس تأثير العقل الإنساني على حياة الإنسان وسلوكه . « .. إن فلسفة التربية هي بلاريب سؤال جذري فهي لا تسأل كيف نعالج عسر القراءة والفهم بل من أين تأتي أهمية فعل القراءة وهي لا تطمح إلى تحسين العلاقات بين الوالدين والأولاد بل تستعلم عن طبيعة الأسرة وقيمتها وحدودها وبكلمة عن معناها ، وهي لاتعلم اقامة توقيت مدرسي بلٍ بحث في القيمة الثقافية لدى مختلف الفروع المدرسية . وهي تضعف تدريجيا أمام المسألة الأكثر أصالة من هؤلاء الإنسان لكي يتحتم علينا أن نربيه؟»(٣).

والفلسفة الإغريقية أولت الإنسان أهمية خاصة ودرسته من مختلف الجوانب ونجد أن أفلاطون « .. قد بنى فلسفته في الإنسان على اساس أن العقل هو

---

(١) المصدر السابق – صـ ٧٠

(٢) أوليفيه – بول – فلسفة التربية – ترجمة د/ جهاد نعمان – منشورات عويدات – بيروت – باريس – الأولى ١٩٧٨م – صـ ٦

(٣) المصدر نفسه – صـ٧٦٦

أشرف ما في النفس الإنسانية ، وقد قدر له أن يحكم الجسد وهو مستقل وخالد، وهو وحده القادر على التوغل في جواهر الأشياء وتجاوز ظواهرها إلى بواطنها . كذلك أيد أرسطو مبدأ سمو العقل على سائر جوانب الوجود الإنساني في ربط العقل إلى الفضيلة وكان الإنسان العاقل عنده هو الإنسان الفاضل واعتبر الرذيلة ثمرة الجهد كما رأى أن غاية الإنسان العليا فرداً كان أو جماعة هو العمل من أجل علوية العقل وكماله ..»[1].

أما بالنسبة للعصر الحديث فالأمر يختلف كثيراً فقد صار الإنسان يدرس ويحلل كما يدرس الظواهر الطبيعية « وبهذا الميزان صار الإنسان كائناً كيماوياً وجزءاً من النظام المادي للطبيعة ويخضع للقوانين الطبيعية والكمياوية كما تخضع لها الكائنات الحية الأخرى . ومثل هذه الكائنات هو ذو وزن وحجم وهيئة ولون ويحتل حيزاً من المكان وتنطبق عليه قوانين الجاذبية – في الوجود الإنساني عملية تبدل مستمرة ناتجة عن التفاعل الواقع بينه وبين البيئة الطبيعية المحيطة به .

ولكي يستمر الإنسان في الحياة لا بد له من توفير شروط مادية معينة وشأن الموجودات الحية الأخرى يستوعب الإنسان في وجوده المادي مواد غريبة عنه يقوم هو بتحويلها إلى مثل طبيعته ويدمجها فيها . ومن خلال عمليات التنفس والهضم والإفرازات الفردية تتم جميع العمليات الكيماوية الاساسية داخل كيان الإنسان . وإذا ما حللنا دم الإنسان أو كرياته فإننا سنعثر على نفس العناصر التي تجدها في الهواء والتراب والصخور وهكذا أفلا يقوم الوجود الإنساني إلا من حيث هو كائن كيماوي مادي »[2].

«ومن زاوية أخرى ينظر العلم إلى الإنسان على أنه حيوان ..واحد من مليون نوع من الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض ، كما هو الحال في النباتات والكائنات الحية الأخرى . فإن الخلية هي أساس الوجود الإنساني ، وبالخلية يشترك الإنسان مع الحيوانات الأخرى بخصائص عامة مشتركة .. فهو يأكل وينام ويتكاثر .. وهو حساس وقابل للتكيف كما أنه يتحرك بذاته »[3].

(١) د/ رضاء / رضاء محمد جواد – فلسفة التربية وأثرها في تفكير معلمي المستقل – صـ ١٨٧ – ١٨٨
(٢) المصدر السابق – صـ ١٨٩
(٣) المصدر نفسه – صـ ١٨٩

والفرد في فلسفة التربية يُدرس باعتباره عضواً فعالاً في المجتمع الإنساني .. يعيش في وسط المجتمع ويتفاعَل معه « فالفرد يعيش في اطار اجتماعي معين يؤثر فيه ويتأثر به ، وترتبط مطالبه وحاجاته بديناميكيات هذا النظام وما يحتويه من حيوية ومرونة ، وهنا قد تقوم العلوم التربوية فتحلل على سبيل المثال – فعل هذا النظام وتأثيره على شخصية الفرد ونموه في مختلف المجالات وبالتالي تخلل دورِ الفرد وفاعليته في دعم هذا النظام أو اعاقة حركته وثمرة هذا كله قد يكون تعبيرا عن فلسفة تربوية توجه التربية لتحقيق أغراض معينة »[١].

والإنسان عند بروتاغوراس هو « مقياس الأشياء جميعاً « فالإنسان ولد بخصائص مشتركة مع القرد وكافة الحيوانات الأخرى إلا أنه بالتربية أو بالتربية وحدها تميز عن سائر الحيوانات فارتقى من البسيط إلى المعقد بنموه وتفكيره والعمل ضروري للإنسان باعتبارها أي الحياة حركة وسكون فالإنسان اكتسب التربية والثقافة والعلوم المختلفة واستخدم اللغة لفظ الثقافة ودفعها في طريق التطور وايصالها إلى مستوى متقدم . وتتألف ثقافة المجتمع « من مجموع الأفكار والاستجابات العاطفية الاشتراطية وأنماط السلوك المعتاده التي اكتسبها أفراد ذلك المجتمع عن طريق التعليم والمحاكاة والتي يشتركون فيها بدرجات متفاوتة.»[٢].

إن فلسفة التربية قد بحثت منذ نشأتها في طبيعة الإنسان وفي وجودهِ لأن الإنسان هو محور فلسفة التربية فالإنسان لم يولد انساناً وانما صار انساناً من خلال مختلف العلوم والمهارات التي اكتسبها بواسطة التربية .

« .. الإنسان حيوان ولد « قبل الميعاد « فإن جسمه ابتداء من الروابط العصبية في الدماغ وهوٍ غير تام «هذا يعني أنه يتحتم عليه أن يتعلم كل شيء أي كل ما يجعل منه انساناً : الواقعة المستقيمة واللغة وما إلى ذلك ، وما دام يتعلم ذلك فهو متعلق بالآخرين ، وبالشخصيات الكبرى» وأن عدم انجاز الإنسان هو إلى ذلك عظمته وفيما الحيوان هو ما هو عليه منذ ولادته أو تكونه فيما بعد في سرعة عن طريق نضجه يتحتم علي الولد الإنساني كما يقول فيشته ، أن يصبح ما عليه أن يكون بل إنه يذهب أيضا إلى أبعد من ذلك بكثير بالنسبة إلى الحيوان ، فإن عدم انجاز طبيعته يعني مطاوعة بلا حدود . وذلك يعني أن الطبيعة الإنسانية تقتصر في معزل عن التربية على شيء قليل جداً »[٣].

---

(١) فلسفة التربية – صـ ٢٨
(٢) فلسفة التربية والحرية – صـ ١٤٥
(٣) فلسفة التربية – صـ ٤٨– ٥٠

فالطبيعة الإنسانية تعتمد على التكامل وعلى التغيير وعلى التفاعل . وعلى النظرة إليها نظرة كلية تتسم بالشمول لجميع العوامل المكونة لها « .. إن التغيير الذي أصبح طابع المجتمعات الحديثة قد أسهم في فرص جامدة باقية على حالها على مر العصور ، وانما هي متغيرة يستطيع الجهد الإنساني أن يعود من الظروف التي تكونها حتى يستطيع أن يصل إلى تغيرها ، وهذا معناه أن الإنسان يستطيع أن يغير من مجرى حياته وأن المجتمعات تستطيع كذلك أن تشكل حاضرها ومستقبلها ومصيرها على أساس أفعالها وأعمالها الحاضرة »(١).

فالإنسان في تغير مستمر ومن يعتقد بعدم تغير الإنسان انما ينطلق من بعض المعتقدات التقليدية الموروثة غير العلمية .. ويقولون أن الطبيعة الإنسانية لاتستطيع التغير فالظروف قد تتغير ولكن الطبيعة البشرية تبقى ثابتة لا تتغير وهذه نظرة غير منطقية وغير واعية تجاه الواقع البشري والمؤسسات الاجتماعية هي الأخرى جامدة وهذا مرده إلى العادات السائدة لأنها عندما تستقر في مكان ما تعمل على تثبيت نفسها واستقرارها . « وأصبح التفاعل بين الإنسانية والبيئة الاجتماعية مبدأ مقرراً معترفاً به ، وهكذا أدت هذه النظرية إلى ادخال هذين العاملين في ارتباط متكامل بعد أن فصلت بينهما كثير من النظريات السابقة وأصبح السلوك الإنساني هو نتاج هذا التفاعل المستمر »(٢).

- **المشكلات المختلفة لفلسفة التربية :**

لفلسفة التربية منذ القدم مشكلاتها الأساسية والثابتة ، وهذه المشكلات تهدف إلى ردم الهوة بين التربية والمجتمع . وبين الإنسان بوصفه سيد الكون وخالقه ، اضافة إلى فهم العمليات المختلفة التي أثارها التغيير والتطور المستمرين " واذا نظرنا في تعاليم الفلاسفة اليونانيين فسنلحظ أنها قد أعطيت حقلاً واسعاً جداً . فسوف نجد مناقشات لقضايا تخص الفلسفة مثل وجود الله وماهية المعرفة الإنسانية والحياة الخيرة للإنسان كما سنجد ايضاً اهتماماً بمسائل الرياضيات والفلك والفيزياء والكيميائية والبدائية البسيطة وعلوم الأحياء والعلوم الاجتماعية . على أننا سوف نلحظ أنه لا يوجد خط واضح يفصل بين القضايا التي نعتبرها هذه الأيام مسائل فلسفية والقضايا التي نضعها باعتبارها مسائل تخص العلم . فلم تكن المعرفة وقت ذاك مقسمة إلى تخصصات دقيقة، ولم تكن حتى مصنفة إلى أنواع المعرفة المتميزة منطقياً كما نعرفها الآن ، فنحن

(١) د/ لبيب / محمد – فلسفة التربية – صـ ١٥٥

(٢) ديوى / جون – الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني – ترجمة محمد لبيب النجمي – مؤسسة الخانجي – صـ ١٢٩ – ١٣٠

نفرق هذه الأيام بين الفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان مثلاً غير أن هذا التقسيم يبدو ولحد كبير مناسباً من الناحية الإدارية إذا جاز هذا التعبير ، فحقول المعرفة العلمية قد أصبحت على درجة كبيرة من جزء صغير جداً منها . لذلك فإن تقسيم وإعادة تقسيم العلوم الطبية إلى تخصصات هو في حقيقة الأمر حيلة عملية لمقابلة حدود عقل الإنسان وطول مدة حياته ، إلا أن هناك تقسيما أكثر أهمية وجوهرية بين فروع المعرفة . ولا يعتمد هذا التقسيم على نوع المادة التي يدرسها الدارس ولكن على نوع الدليل أو البرهان الذي بواسطته يحدث التقدم في المعرفة . فعالم النبات يدرس النبات والجيولوجي يدرس تاريخ وتركيب القشرة الأرضية والفلكي يدرس الكواكب والنجوم إلا أن هؤلاء جميعا يحصلون على مادتهم العلمية بملاحظة الطبيعة عن طريق الحواس والحق أن هذا هو أحد المظاهر المهمة المميزة للعلوم "(١).

العلم والفلسفة علمان قائمان بحد ذاتهما ، والفلسفة هي أم العلوم . ومن الفلسفة خرجت العلوم إلى حيز الوجود حاملة معها لواء تخصصها ، والفلاسفة ومنذ القدم تفلسفو بقضايا عدة عن طريق المنهج العلمي « .. فقد بدا واضحاً مع بزوغ شمس المنهج العلمي . إن انتباه الفلاسفة في الأزمان القديمة والوسيطة قد انصرف إلى مسائل لم تكن في الحقيقة أموراً تخصهم على الإطلاق اذ أنها كانت مسائل لا يتم الفصل فيها أو تقريرها إلا بأساليب العلماء .. فلم يناقش أرسطو مثلاً القضايا الفلسفية مثل أصل المعرفة الإنسانية أو طبيعة الأخلاق أو العلاقات بين العقل والجسد فحسب ، بل ناقش أيضاً قضايا علمية مثل ميكانيكية الإحساس والتركيب الفيزيائي للكون و طريقة الأجسام السماوية وترتيبها وما أشبه بذلك . وليس هناك ما يمنع أي انسان من أن يكون عالماً وفيلسوفاً في نفس الوقت ، على أنه إذا لم يستطع هذا الإنسان أن يميز بوضوح بين قضاياه العلمية وقضاياه الفلسفية فمن المنتظر جداً أن يقاس من ذلك كل من علمه وفلسفته وقد فشل أرسطو في وضع هذا الحد الفاصل ، وقد تبعه في ذلك جميع فلاسفة القرون الوسيطة تقريباً »(٢).

وفي القرن السابع عشر جاءت فيزياء جاليلو ونيوتن لتحل محل فيزياء أرسطو وكان هذا أكبر انقلاب يسجله العالم في تلك المرحلة التي كانت مرحلة انغلاق وظلام دامس في أكثر أجزاء أوروبا « ومن ثم فقد أعفى الفلاسفة من مهمة محاولة حل المشكلات الخاصة بالحقائق التي يمكن ملاحظتها قد أضحت مسائل يقع مسئولية حلها على عاتق العلماء»(٣).

(١) دي . جي . أوكونور – مقدمة في فلسفة التربية – صـ ٣٠-٣١
(٢) المصدر السابق – صـ ٣٤
(٣) المصدر نفسه – صـ ٣٤ -٣٥

ويضيف المؤلف قائلاً : إن حصيلة الثورة العلمية بالنسبة للفلسفة تبدو كما يلي : «بعض المشكلات وخاصة تلك المتعلقة بالعلوم الطبيعية والاجتماعية ، وهذه أمكن حسمها بالطرق التجريبية ، بالفرضية التابعة من الملاحظة والملاحظة المؤيدة للفرضية ومسائل أخرى وخاصة تلك المتعلقة بالمنطق والرياضيات . وقد أمكن الفصل في هذه المسائل بالحساب وفقاً للقواعد المعروفة للاستدلال إلا أنه ما زال هناك عدد كبير جداً من المسائل التي يبدو أنها لا تقع في أي من هاتين الفئتين . ومن هذه المسائل المشكلات التقليدية للفلسفة والأخلاق والدين الطبيعي . ولكن إذا كان من الصعب الفصل في هذه المسائل بأي من الطرق التجريبية أو طرق الاستدلال للبحث فكيف يمكن إذاً تقديم حلول لهذه المسائل. بالطبع فنحن نرى هذه المشكلات بوضوح أكثر هذه الأيام عن أسلافنا من فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر .. ولكن رغماً عن ذلك فقد أمسى من المفهوم جيداً للكثير منا أن المشكلة الأولى للفيلسوف هي مشكلة العثور على طريقة أو منهج »[1].

(١) المصدر نفسه – صـ ٣٥

٣

المبحث الثالث

الفصل الأول

المبحث الثالث
الفصل الأول

التربية والتعليم في العصر الإسلامي

التربية والتعليم متلازمان على الدوام فلا يمكن أن يكون هناك تربية من دون تعليم ، ولا يمكن أن يكون هناك تعليم من دون تربية .." فبينهما ترابط وثيق، والتربية عبر العصور تتأثر سلباً أو إيجاباً بطبيعة الأنظمة السياسية السائدة . فالمؤسسات الحكومية تحدد اتجاهاتها السياسية وأهدافها التعليمية بما يخدم توجهاتها .. « والتربية هي التي تقود هذا النشاط وتحقق التطور . وهي ذات شكلين متلازمين : تعلم (Education) وتدريب (Training) .

ويهدف التعليم إلى تطوير شخصية الفرد من الناحية العقلية . والجسمية، والخلقية والجمالية ، والعقائدية من اجل تكوين نظرة شاملة له نحو الحياة . ويهدف التدريب إلى اكتساب المعرفة والقدرات والمهارات .

وقد عرف رونية أوبير التربية في كتابه " التربية العامة " بأنها : "جملة الأفعال والآثار التي يحدثها بإرادته كائن انساني في كائن انساني آخر ، وفي الغالب راشد في صغير ، والتي تتجه نحو غاية قوامها أن تكونه لدى الكائن الصغير استعدادات منوعة تقابل الغايات التي يعدلها حين يبلغ طور النضج"[1].

التربية إذاً نقل المعارف من وإلى .. واكساب الأفراد خبرات ومعارف متعددة والإنسان بحد ذاته كائن حي وكائن اجتماعي يعيش في وسط المجتمع . ولهذا لا بد وأن يتعلم ويعلم من وسطه الاجتماعي وينقل عن طريق التربية خبراته إلى الآخرين .

والتربية أشكال متعددة وعلى وجه الخصوص التربية العقلية والتربية الجسدية والتربية العملية ، والتربية الآيديولوجية والتربية الجمالية وغيرها .

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ج١ – صـ ٦

وتضطلع بدور التربية مؤسسات رائدة في المجتمع ، وعلى وجه الخصوص المنزل الذي يلعب الدور الأساسي في التنشئة الاجتماعية . ونقل المعارف من المجتمع إلى الطفل في مرحلة تشكله الأولي ، والمدرسة وهي المؤسسة الرسمية الموجهة ، وهي مؤسسة اجتماعية تربوية تتولى عملية تربية الأفراد واكسابهم خبرات ومهارات المجتمع وهي مؤسسة تتولى التغيير الاجتماعي ، وهي عكس الأسرة تنقل للأفراد ثقافات المجتمع وفقاً لرؤية النظام السياسي القائم .

والمدرسة تطورت في العصر الحديث من البسيط إلى المعقد .. من معلامة يلتقي فيها الأطفال لممارسة أنشطة تربوية محدودة وبدائية .. إلى مؤسسات اجتماعية أكثر تعقيداً .. تضطلع بمهام وأدوار أكثر تعقيداً .

والمجتمع بثقافته ومؤسساته المختلفة هو من أقوى المؤسسات التربوية لأنه حامل للثقافات والخبرات .. ويتأثر الفرد بصورة أكثر بالصحبة ، وكلما كانت الصحبة موفقة كلما كانت التربية أكثر فائدة ، وإذا كانت الصحبة فاسدة يتأثر بها الفرد وبالتالي تحدد هذه الصحبة جوانب سلوكه وفي ضوء هذا المفهوم سنتناول التربية والتعليم تاريخياً . وقبل الدخول في هذا الموضوع مباشرة لابد من الإشارة إلى الوضع الثقافي بعد الإسلام والذي كان الوضع التربوي أحد ملامحها الأساسية .. ففي العصر الإسلامي الأول إزدهرت العلوم . وإزدهرت الحركة الثقافية ، ووجدت المؤسسات الثقافية والفكرية المتخصصة والهيئات والمعاهد العلمية . وأصبح في تاريخ العلم عند العرب «خمسة يوضعون على القمة ، في قيادة الحركة العلمية في العصر الإسلامي الزاهر . فأولئك هم المأمون ، ونظام الملك ونور الدين زنكي ، والحاكم بأمر الله ، وصلاح الدين الأيوبي ، وقد ارتبطت هذه الأسماء ارتباطاً رائعاً وثيقاً بالنهضة العلمية، وكان لكل منهم أثره الضخم في تاريخ الحركة العلمية الإسلامية ، ومن الناس من يقول بحق إن جميع الحركات الثقافية والعلمية في البلاد الإسلامية . منذ عهد المأمون ، انما هي فروع للأصول التي أنبتها هذا الخليفة العظيم»[1].

ويعتبر عهد المأمون من أزهى العهود العربية والإسلامية فقد « كانت رعايته لبيت الحكمة ، وما أنفق عليه من مال ، وما جرى في عهده من ترجمات لتراث الإغريق مما يعد مضرب الأمثال . وكذلك كان نور الدين زنكي في سوريا (٥٦٩هـ) راعياً للعلم ومشرفاً على نهضته ، وحامياً لها حتى أسلمها إلى خلفه صلاح الدين بعد أن تلقاها ورعاها من سلفه العظيم نظام الملك . ثم رعى صلاح

(١) د/ منتصر / عبدالحليم – تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه – دار المعارف – الطبعة الثامنة – صـ ٤٨

الدين هذا الغراس في مصر ، فحفظ التراث العلمي من غوغاء التتار وأنشأ المدارس ، وكان كرم صلاح الدين وسخاؤه ، داعياً لإجتذاب العلماء والطلاب . وقد كانت مصر في منتصف المسافة تقريباً ، بين العراق وخراسان وبين بلاد شمال أفريقيا والأندلس .

أما نظام الملك ولد سنة (٤٠٨هـ) وهو المبتدع للمدارس النظامية ، فقد أنشأ شبكة منها في المدن والقرى ، ومدها بما تحتاجه من كتب وعين لها المدرسين والطلاب والخدم ، وبذل للجميع العطايا والمنح ورتب لهم الأرزاق لينقطعوا للعلم. وكان المأمون أول من نادى بأن لايكون نشاط بيت الحكمة ، متوقفاً على سخاء الخلفاء والأمراء . فهيأ للعلماء أرزاقاً سخية يتقاضونها في أوقات ثابتة ، يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة أومؤسسة وقف ثابت يفي بنفقاتها»[١].

فالإسلام رفع من مستوى العلم درجات . نظراً لإدراك هذا الدين لأهمية العلم في البناء الحضاري .. وهناك العديد من النصوص القرآنية التي تحث على ذلك . فقد جاء في القرآن الكريم «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ، «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات» ، « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» . ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم «غدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة» ، وقوله «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء» ثم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم» وقوله « اطلبوا العلم ولو بالصين» وقوله « لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم» وقوله «الناس عالم ومتعلم والباقي همج» وقوله « لا يزال طالب العلم عالماً حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل».

فقد اتسم التعليم في ظل الحضارة العربية والإسلامية بالصيغة الدينية البحتة ، والتي استهدف من خلاله تعليم المجتمع أمور دينهم ودنياهم ، والحلال والحرام والخلق الكريمه وغيرها .

وهو يرتكز على أساسين « أحدهما أيديولوجي (عقائدي) ، والآخر بيداغوجي (تربوي) : فالأساس العقائدي تحدده آيات قرآنية وأحاديث نبوية نذكر منها قوله تعالى:»هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته. ويزكيهم. ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» وقوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وقوله صلى الله عليم وسلم أيضاً : «خذوا عني

(١) المصدر السابق – صد ٤٨

مناسككم « وقوله عليه الصلاة والسلام :»أنتم أعلم بشئون دنياكم». أما الأساس التربوي للتعليم في ظل الحضارة العربية الإسلامية فيعود إلى آراء وأفكار العلماء والفلاسفة المسلمين العرب أمثال الإمام أبو حامد الغزالي، والفيلسوف ابن سيناء ، والعلامة ابن خلدون ، والمربي طاش كبرى زادة . فهم الذين طوروا أهداف التعليم وأساليبه»[١].

وانطلاقاً من روح الإسلام وتعاليمه اهتم علماء المسلمين بالتربية وبالتنشئة الاجتماعية للأطفال وتعليمهم القيم الإسلامية الجديدة التي خلقت ثورة في الواقع الاجتماعي ، وغيرت الكثير من المظاهر الجاهلية ، وربما أن التعليم في ظل الإسلام بدأ باهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام حيث اتبع أسلوباً جديداً في محو أمية المسلمين ، وعلى وجه الخصوص الأمية الدينية ، ووجه الولاة « والدعاة الذين جعلوا من كل مسجد مؤسسة تربوية ، ومن كل كتاب مرتبط به مدرسة أولية للصغار » [٢].

وأخذ التعليم منذ العهد الأموي أسلوباً خاصاً حيث ظهرت إلى الوجود التمايزات الطبقية ، وتميز الحكام عن غيرهم من عامة الشعب وأمتلكوا القصور والمؤسسات ونشأ في ظل هذه الوضعية تعليم خاص بأبناء القصور .. وتبعاً لذلك برز كما يقول : كرامة مبارك نموذجان من التعليم هما :-

أ. تعليم خاص :

١. وهو إما لأبناء الخلفاء والأمراء ، ويتضمن أصول السياسة والأدب والفن والحكمة ، ويتولاه صفوة المعلمين المشهود لهم بالكفاءة وعلو المنزلة ، ويسمون «المؤدبون» أمثال الفراء والكسائي ، وقد حظي أمثال هؤلاء المؤدبين بمراكز مرموقة لدى السلطة «الخلفاء» .

٢. وإما لأبناء الأسر الغنية حيث يتولى تعليمهم معلمون خاصون ، ويسمون معلمو القصور والبيوت العريقة .

ب. تعليم شعبي :

وينقسم إلى تعليم أولي للصغار وتعليم عال للكبار ، وأبواب هذا النموذج من التعليم مفتوحة في الأساس لجميع أفراد المجتمع دون عوائق اجتماعية أو اقتصادية . غير أنه قائم على الرغبة أي أنه غير الزامي .

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ح١ – صـ ١٥
(٢) المصدر السابق – صـ ١٥

١. التعليم الأولي : يتم هذا المستوى من التعليم في الكتاتيب كحد أدنى أو في المدارس الأولية المتطورة عن الكتاتيب ويتولى التعليم في مؤسسات هذا المستوى من التعليم معلمون انتشر على أكتافهم تعليم الصغار من أبناء الشعب . يعتمد هذا النوع من تعليم الصبية على طريقة التلقين والحفظ .

ويهدف إلى تربية الطفل تربية دينية ، تتناول قراءة القرآن ومبادئ مبسطة في العقيدة الإسلامية ، وتهذيب السلوك وإلى تقديم ثقافة عامة أولية في الحساب والشعر والقصص والتاريخ ومبادئ النحو . يؤخذ على هذا النوع من التعليم عدم اهتمامه بمواد الموسيقي والرسم والأعمال اليدوية ولا يخفى ما لهذه المواد من جوانب تربوية تساهم في التربية الشاملة والمتوازنة للأفراد .

فالتربية في الإسلام لم تأتِ من فراغ ، وليست هي منتج اسلامي خالص كما يصوره البعض وانما هي حَركة متأصلة في الواقع ، ومتوارثة من القدم ، وانما في الإسلام تحولت إلى عملية مؤسسية تطورت في الواقع نظراً للعديد من الظروف والعوامل التاريخية والاجتماعية . ولما فتحه الإسلام من أفق جديدة .. أصبحت هذه المؤسسات التي استفادت من التطور الثقافي والتعليمي الذي كان قائماً في الحضارات الإنسانية الأخرى الإغريقية والفارسية والصينية والهندية وغيرها من الحضارات التي كانت لها تأثير مباشر وغير مباشر على الحضارة العربية والإسلامية .

"وقد تمثل المسلمون في نظامهم التربوي ما خلفته الثقافة القديمة من تجارب وأضافوا إليها الكثير من تعاليمهم وفلسفتهم ، وطريقة حياتهم التي رسمها الدين الجديد ، ومن بين هذه المصادر الفلسفة الكلاسيكية وعلوم الإغريق في الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية وأخذوا عن الثقافة الهندية الرياضيات والطب والأدب ، كما تأثروا بالتراث الفارسي وخرجوا من كل هذا بلون جديد أصيل من الثقافة العربية والإسلامية"(١).

ولهذا تطورت التربية الإسلامية ، وأصبحت تحمل في اطارها عناصر التجديد والتطور بصورة ملحوظة ، وخلقت حراكاً ثقافياً وعلمياً لم تشهد له المجتمعات العربية مثيلاً من قبل ، ووجدت المؤسسات التعليمية والثقافية بأسلوبها ووسائلها الجديدة . وقد تمثلت اتجاهات التربية الإسلامية في العصور الوسطى كما أوردها الدكتور الأغبري على النحو الآتي :

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صد ١٠٤

١. امتزاج العلم بالعقيدة ، وذلك حتى يكون العلم ناقصاً وموجهاً لفعل الخير .

٢. ربط العلم بحاجات البشر : من أجل اشباع الهدف الديني والدنيوي في آن واحد .

٣. الإشادة بالعقل : لأنه وسيلة العلم والمعرفة والأداة الرئيسية لبلوغها .

٤. الاعتراف بالفردية : مع تأكيد أهمية خصائص النمو المختلفة في العملية التربوية

٥. الاهتمام بعلوم الدين والدنيا ، مع ترجيح كفة العلوم الدينية على العلوم الدنيوية"[1].

والعلم في ظل الدولة الإسلامية نشأ في زوايا المساجد ودور العبادة ونشطت المساجد وتعلم الناس وتهذب أخلاقهم ، وكان أبوهريرة (٢١ . ق . هـ -٥٩هـ)، (٦٠٢ - ٦٧٩م) بعد وفاة الرسول وتزايد أعداد سكان المدينة " كان يخرج بعد صلاة المغرب صائحاً" : " يامعشر الناس أين أنتم .. ؟ وفيما يخوضون الناس يتقاسمون تراث محمد وأنتم عنه شغل ، وأعاد هذا القول بصوت أعلى حتى صدقه الناس ذات يوم واتبعوا إشاراته إلى المساجد ، ولما خرج الذين رأى دخولهم سألهم ماذا وجدتم ؟

قالوا كذب علينا أحدهم وقال إن تراث محمد يقسم في المساجد فجئنا إليها فلم نشاهد ذهباً ولا فضة ولا رياشا . فقال أبوهريرة ماذا رأيتم ؟

قالوا : رأينا إناساً يصلون هنا وجماعة يتحدثون هناك ، وزوايا من الرجال يخوضون في الحلال والحرام ، وفي الجائز والمباح ، ولا ندري ماذا يقولون .

فقال أبوهريرة : أولئك الذي يخوضون في الحلال والحرام والجائز . والمباح هم الذين يخوضون في الحلال والحرام الجائز هم الذين يتقاسمون تراث رسول الله لأن تراثه العلم وليس تراثه ذهباً وفضة "[2].

بهذه الطريقة فهم المسلمون العلم .. فالعلم عندهم هو ثروة البشرية الحقيقية وليس الذهب والفضة والمجوهرات .. فالمعرفة بآفاقها واتساعها تجعل من المرء مشهوراً .. عارفاً ببواطن الأشياء

(١) المصدر السابق - صـ ١٠٤

(٢) البردوني / عبدالله صالح - المؤسوعة اليمنية - موسوعة العفيف - دار الفكر المعاصر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٢م - الجزء الأول - صـ ٤٢

فالمسجد كان هو المدرسة الأولى لتعليم الطلاب وتثقيفهم وتربيتهم .. على القرآن والأصول الفقهية ، والمنطق والنحو والصرف والبلاغة والفلسفة والرياضيات والطب والأدب والثقافة وغيرها .. ونظراً لكثافة المعلومات وتركيزها كان الطالب يتخرج بعد سنوات من العلم والمعرفة عالماً بكل فروع العلم والمعرفة.

وإلى جانب المسجد برزت كثير من الأماكن لتأدية وظيفة المدرسة وهي التي أدت إلى وجود المدارس التي انتشرت فيما بعد بأشكالها وتنوعاتها المختلفة . فقبل انتشار المدارس كانت هناك حلقات العلم تعقد في المساجد وداخل قصور الخلفاء والأمراء ، ومنازل العلماء ، والمكتبات والمعروف أن عدد المسلمين الذين يعرفون القراءة والكتابة كان قليلاً في صدر الإسلام ، وقد استخدمهم الرسول صلى الله عليه وسلم كلهم أوجلهم للكتابة بين يديه وكذلك اضطلع الذميون من أصحاب الديانات الأخرى بمهمة تعليم القراءة والكتابة للراغبين في تعلمها ، وكان هذا النوع من التعليم يجري في منازل المعلمين ، وربما خصص هؤلاء حجرة في بيوتهم لاستقبال الطلاب .

يقول الجورجاني : كان يجتمع كل ليلة في دار ابن سيناء طلبة العلم وكنت أقرأ معه الشفاء وكان يقرئ غيري من القانون نوبه ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير شمس الدولة ، وقضينا على ذلك زمنا ، كذلك كان منزل أبي سليمان السجستاني « محمد بن طاهر بن بهرام» الذي توفي في العقد الأخير للمائة الرابعة الهجرية ، كان منزله مقيلاً لأهل العلوم القديمة . تصدى لقراءتها ، وقصده الرؤساء والأجلاء»[1].

ويقول القفطي : « وكثيراً ما كان يجتمع بمنزل أبي سليمان جماعة من سادة العلماء فيأخذون في المذاكرة والمناظرة في موضوعات شتى وممن كانوا يحضرون هذا المجلس العلمي الرائع أبومحمد المقدسي ، وأبوالفتح النوشجاني وأبوزكريا الصيرمي ، وأبوحيان التوحيدي وغيرهم . وكان كل واحد من هؤلاء فريداً في علمه ، كانوا يناقشون آراء سقراط وأفلاطون ، وقد أثرى العلماء العرب المكتبة العربية بكتب التراجم التي جمعت تاريخ هذه الحقبة الزاهرة - يقول المستشرق « فون جروينادم» أن مجموعة كتب التراجم التي أنتجها العلماء المسلمون . لشيء يدعو إلى الدهشة والإعجاب ، لكثرتها ودقتها ، وماجمعته من مادة رائعة وإن علماء الغرب في العصور الوسطى ليس لديهم ما يقارن بنتائج معاصريهم من العرب في هذا الميدان »[2].

---

(١) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه – صـ ٣٦
(٢) المصدر السابق – صـ ٣٦ – ٣٧

ومن المؤسسات التعليمية التي ازدهرت في الإسلام وساهمت في تطوير العملية التعليمية هي منازل العلماء . « ويمكن أعتبار دار الأرقم إبن أبيٍ الأرقم أول مؤسسة تربوية اتخذها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مركزاً لتعليم الصحابة الذين آمنوا بالدين الجديد منذ بزوغ نور وتعاليم هذا الدين كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلسٍ بمنزله بمكة ويلتف حوله المسلمين ليعلمهم ولعبت منازل العلماء والمدارس دوراً مهماحيث كان يقصدها ا لطلبة لتلقى العلم فيهاعلى أيدي أصحابهاومن أهم المنازل بيت الإمام الغزالي»[1].

.... وإلى جانب منازل العلماء وحوانيت الوراقين والمكتبات التي سهلت عملية اقتناءٍ الأوراقٍ وتداولها الأمر الذي ساهم في نشر العلم والمعرفة .. لعبت القصور دوراً أساسياً في هذا الإطار .. حيث اتخذ الخلفاء والأمراء قصورهم أماكن لتعليم أبنائهم بإشراف معلمين خاصين يذهبون إلى القصور لتزويد الأولاد بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها ، وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وصفه وتخطيطه وقد أطلق على المعلم الخاص الذي توكل إليه مهمة تعليم أبناء الخلفاء والأمراء والأغنياء اسم مؤدب وقد خطى الفاطميون خطوات واسعة حيث قاموا بإنشاء مدارس خاصة في قصورهم يلتحق بها أولاد الطبقات المترفة ذات الشأن والنفوذ ، وقد إزداد نشاط جلسات الصالونات والصور في زمن هارون الرشيد فكانت تجرى مناقشات حول قضايا العلم وبين الأدباء والشعراء مناظرات وكذلك غص بلاط المأمون بالعديد من العلماء والأدباء والفلاسفة والشعراء ونالوا احتراماً من قبل المأمون . لابد بعد انتهاء أهم الأماكن والمعاهد التربوية من التطرق إلى المعلم وهو الأساس في العملية التربوية»[2].

فعلى الرغم من هذه المعطيات والمؤشرات عن الواقع التعليمي في العصر الإسلامي إلا أن هناك لا تزال وجود صعوبات كبيرة في التعرف على طبيعة التعليم ، ومثلما كانت هذه الصعوبات موجودة في مرحلة ما قبل الإسلام . ظلت الصعوبات نفسها موجودة أيضاً بعد الإسلام .. ولكن في ظل الدولتين الأموية والعباسية الأمر تغير ، وأصبحت العملية التعليمية جزء من اهتمامات الدولة وإلتزاماتها . ففي ظلٍ هاتين الدولتين شهد الواقع العربي الإسلامي حراكاً تعليمياً وتربوياً واضحاً ، وأصبحت هناك مدارس تربوية قائمة ومعروفة ، ومع هذا لا يمكن أن نبني على ذلك واقعاً تعليمياً كما هو حاصل الآن

(١) الإكليل – العددين ٢٠ ، ٢١ – ١٩٩٠م – صـ ٤٣
(٢) المصدر نفسه – صـ٤٣

فالتخصص العلمي القائم حالياً جاء عبر مرحلة طويلة من التفاعل والتطور .. والحراك ولكنه كان واقعاً حيوياً لا يمكن تجاهله .

« وليس من المتصور بطبيعة الحال وفي هذه الفترة التاريخية المبكرة أن نجد صورة مماثلة لما نراه اليوم من انقسام التعليم إلى مراحل نظامية محددة . ومن هنا فإننا نشير إلى صورة تقريبية أو قريبة مع الأخذ بعين الاعتبار هذا التحفظ الذي بدأنا به وهذه الصورة التقريبية وبخصوص التنظيم المدرسي السائد في العصر الإسلامي يمكن تناوله من خلال استخدام لغة العصر الحديث في اعطائه بنية السلم التعليمي في الآتي :-

١. المرحلة الأولى : كانت تقدم في الكتاب من سن (٦-١٤) تقريباً ، وكان الكتاب يوجد غالباً خارج المسجد في منزل الفقيه (المعلم) أو في الحوانيت أوبما يسمى بالمعلامة.

٢. المرحلة الثانوية أو المتوسطة : وكانت مدارس هذه المرحلة تعرف باسم مدرسة المسجد أو الحلقة أو المدرسة ، ويتراوح سن التلاميذ فيها من (١٤-١٨) سنة.

٣. مرحلة التعليم العالي : تبدأ بعد انتهاء التلميذ من حفظ القرآن الكريم وكانت توجد في احدى المؤسسات التالية : دار الحكمة - المكتبات - الصالونات الأدبية - ودور العلماء - المساجد الكبيرة : مثل الأزهر الشريف وغيره"(١).

والتعليم في العصر الإسلامي الأول كان عاماً ، ومن مسئولية الدولة .. فالدولة ترعاه وتقدم له العطايا وتعمل على تشجيعه .. ولهذا توسع وأصبح وضعاً قائماً ، وهو ما أكده الدكتور الأغبري حينما قال : " وقد كان التعليم الأولي عاماً للجميع وخاصة في عصر الدولة العباسية التي تبني فيها الخلفاء العلم والعلماء وأبدوا اهتماماً كبيراً بالتعليم والمتعلمين فعملوا على توفير فرص التعليم الأولي لكل طفل وألحقوا بكل مسجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم العامة ، بالاضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم "(٢).

---

(١) مجلة اليمن - العدد (٢٥) - صـ١٠٤ - ١٠٥

(٢) المصدر السابق - صـ١٠٥

الفصل الثاني

الفصل الثاني

المؤسسات التعليمة في العصر الإسلامي

المؤسسات التعليمية في العصر الإسلامي كثيرة ومتعددة ولعبت دوراً أساسياً في تعليم الناس وتهذيبهم جنباً إلى جنب المؤسسات التقليدية المعروفة . والتي أشرنا إليها ضمناً في سياق تناولاتنا للعملية التعليمية ولكن المؤسسات التعليمية والتربوية التي نشطت في تلك المرحلة ، وهي أشبه بالمدارس والمعاهد الخاصة في زمننا الحالي ومنها على سبيل المثال :

١. "الكتاب : وهو أقدم أنواع المعاهد التعليمية ويعنى الكتاب في اللغة المكان الذي فيه تعليم القراءة والكتابة وقد عرف الكتاب في بلاد العرب في مرحلة ما قبل الإسلام وكان الهدف من تاسيسه هو تعليم القراءة والكتابة وقد كتب البلاذري يقول إن الإسلام " دخل وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب ويقرأ ومن نساء العرب عرفن الكتابة هي حفصة بنت عمر وكانت عائشة أم المؤمنين تقرأ وتكتب" .

... وبعد ظهور الدين الإسلامي أصبح الكتاب المكان الرئيسي للتعليم حيث كان يتعلم فيه الأطفال قراءة القرآن الكريم أولاً والكتابة ثانياً إضافة إلى تعليمهم قصص الأنبياء والمرسلين والأحاديث النبوية الشريفة والقواعد الأساسية في الرياضيات والأشعار وكانت طرق التدريس قائمة على الحفظ والتلقين وقوة الذاكرة وقد حظيت هذه المؤسسة التربوية بمكانة مرموقة في الحياة الإسلامية وهي بمثابة المدرسة الابتدائية في الوقت الحاضر وأن هناك نوعين من الكتاتيب اختص الأول بتعليم القراءة والكتابة في حين اختص الثاني بتعليم الأمور الدينية كقراءة القرآن الكريم وشرح تفسير مبادئ الدين .

وفي القرآن الكريم آيات تؤكد وتدل على أن القراءة والكتابة كانت منتشرة قبل الإسلام " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم " وانتشرت الكتاتيب بانتشار الدين الإسلامي في الأقطار "[١].

---

(١) . مجلة الإكليل – وزارة الإعلام والثقافة – صنعاء – العددان (٢٠ ، ٢١) – السنة الثامنة ١٩٩٠م – صد ٤٠

- **المسـجد والجامع:**

إقترن ظهور المسجد في الإسلام بالتعليم وأصبح المسجد مؤسسة تعليمية تقدم المعرفة للناس .. ابتداءً بتعليم القرآن الكريم وأصول الدين الجديد وتعاليمه الإنسانية الراقية .

والمسجد اسم مكان السجود وهو أشرف أعمال الصلاة وهو قرب العبد من ربه ، والكعبة أول معبد ومسجد لله كما جاء في القرآن الكريم «(إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين)» [1].

«وأصبح المسجد المؤسسة التربوية الثانية والتي أخذت على عاتقها نشر التربية والتعليم بين المسلمين في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ولم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط بل كان محكمة للتقاضي ومكاناً للدراسة وميداناً لاجتماع الجيش . ففي المسجد النبوي الشريف والمساجد التي شيدت في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت تدرس أمور الدين فيها وشرح تعاليم الدين الجديد وقد حذا الخلفاء بعد الراشدين حذو من سبقهم في اعتبار المسجد مركزا فكرياً وثقافياً وتربوياً على الرغم من أن هدفه كان دينياً وقد أعطى للتعليم مرتبة ثانية بعد أمور الدين ولم تكن الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد مقتصرة على الدراسات الدينية بل شملت غيرها من العلوم والمعارف فالدراسات اللغوية والأدبية كانت تتم في المسجد اضافة إلى تدريس الطب فيه وهذا الأمر يبين لنا أن المسجد منذ نشأته تولى مهمة نشر العلم دون الاقتصار على جانب واحد فهو بمثابة الجامعة الحالية وكان أصحاب المذاهب يجتمعون في المسجد و يلقون دروسهم المختلفة في علوم الكلام والفلسفة واللغة والتاريخ وكان يقوم في التدريس في المسجد من يجد في نفسه القدرة والكفاءة في توصيل المعلومات وإدارة حلقات التلاميذ وتوجه الخلفاء والأمراء إلى بناء المساجد في مختلف بلدان حكمهم لإقامة الصلاة وإقامة حلقات الدرس وحلقات العلم ومن أبرزها :

جامع عمرو بن العاص : في عام ٢١ للهجرة (٦٤١ - ٦٤٢ م) حينما تم لعمرو بن العاص تحرير مصر من الرومان وأسس مدينة الفسطاط ... والجامع الأموي الذي بناه الوليد بن عبدالملك سنة (٧٠٦م) ومسجد الكوفة عام (١٧هـ -٦٣٨م) وشهد هذا المسجد الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس وكان الكميت الشاعر يجلس في مسجد

(١) المصدر السابق - صـ ٤١

الكوفة لتعليم الصبيان ... وجامع المنصور الذي بناه الخليفة أبوجعفر المنصور عام (١٤٥هـ) ويوجد في المسجد عدد من العلماء والذين يقومون بمهمة تدريس التلاميذ في الأمور الدينية والدنيوية وجامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع عام (٥٠هـ) [١].

والتعليم في الجوامع والمساجد بدأ مبكراً مع فجر الدعوة المحمدية ، وكان الاهتمام بناء المساجد استجابة لأول أمر إلهي جاء به القرآن الكريم «إقرأ» وقد عبر هذا النوع من التعليم عن طابع الحركة الفكرية التي أحدثها الدين الجديد ، والتي بدأت بسيطة مع أول ظهور للرسالة السماوية والدعوة المحمدية، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام عماله وممثليه في اطار البلدان التي دخلت الإسلام طائعة أن يتولوا تعليم الناس أصول كتاب الله وخصائص الدين الجديد . وصولاً بانتشار المدارس والأربطة والمدارس النظامية في القرن الخامس الهجري .. وازدهار الحركة الثقافية والفكرية والعلمية، وازدهار ملحوظ في العلوم التي بلغت ذروة تطورها .. وبدأت الحركة الفكرية العربية في القرون الأربعة الأولى حرة تتخذ من المساجد والجوامع والبيوت والأسواق العامة أماكن لها . حيث كان العالم يجلس فيقصده الناس المعنيون بعلمه ليفيدوا منه ، ويستزيدونه بسؤالهم له . وكانت منزلة العالم ومكانته تتحدد بسعة علمه وقدرته على ايصاله إلى الحاضرين عن طريق المحاضرات أو الإملاء أو الشرح أو نحو ذلك . ولما كان المسجد أو الجامع هو بيت الله الذي يقصده المسلمون للصلاة فإن كل مسلم يستطيع الذهاب إليه ، ويستفيد ممن يعلم فيه . ولم تكن الدولة في الأعصر الأولى تتدخل في تعيين العلماء انما كانوا يقومون بالتعليم والمناقشة والمناظرة حباً بالعلم ، وطلباً للمثوبة واستجابة لحاجات الناس فكان التعليم حراً يعلم ما يشاء لا يتدخل أحد في شأنه ولا يأخذ عن ذلك أجراً »[٢].

وفي العصر العباسي بدأت تبرز بعض المؤسسات التعليمية بتوجهاتها الجديدة والتي حملت بذور التطور التعليمي أو المنهجية العلمية .. فقد ظهرت « منذ أوائل العصر العباسي بعض المؤسسات الدراسية والعلمية كدور الحكومة ، ودور العلم « المكتبات» التي عني بإنشائها بعض الخلفاء والمياسير ولكنها لم تحتل في تلك المدة مكاناً بارزاً في نشاط الحركة الفكرية وازدهارها »[٣].

---

(١) انظر المرجع السابق – صـ ٤١ – ٤٢
(٢) العراق في التاريخ – صـ ٥٠٢
(٣) المصدر نفسه – صـ ٥٠٣

ونلاحظ بأن (المكتبات) قد دخلت عنصراً أساسياً في تطوير وانطلاق الحركة الفكرية والتعليمية علاوة عن كونها قد أصبحت أحد الروافد الأساسية في تطوير العلوم بمختلف أشكالها واتجاهاتها ، وكذا في بروز حالة الجدل الواسع والمناظرات بين العلماء والأدباء ورجال الثقافة والفكر .. ومنذ القرن الرابع الهجري بدأت تظهر بعض الفروق بين الدراسة في الجوامع وبينها في «المساجد» فقد كانت الجوامع نظرا لسعتها وفخامتها تحتوي على حلقات علم متنوعة تعقد في جهات مختلفة منها . وتتخذ أسمائها إما من اسم شيخ الحلقة مثل حلقة ابن البناء (ت ٤٧١) وحلقة نور الهدى الزينبي (ت ٥١٢) . واما من اسم العلم الغالب عليها كأن يقال «حلقة أهل الحديث» و«حلقة النحويين» وكانت تدرس في هذا الحلقات العلوم الدينية . مثل القراءات والتفسير والحديث وعلومه . والفقه وأصوله . وما يتصل بها من علوم مساعدة مثل اللغة والنحو والأدب كما كانت هناك حلقات لأصحاب الفتوى والوعظ والمناظرة ، وكانت هذه الحلقات تتسع وتضيق تبعاً لشهرة صاحبها ومنزلته وقدرته على إجتذاب الحضور ، غير أن حلقات المحدثين كانت أحفل من حلقات الفقهاء نظراً لإقبال الناس على الحديث في تلك الأعصر وحبهم للاستكثار منه ، ولانه لا يحتاج مثل الفقه إلى أسس معرفية سابقة فهو ذو صبغة تخصصية »[1].

وربما إن المساجد والجوامع لعبت أدواراً مختلفة ، ويحدد العالم أو الفقيه هذا التنوع والتميز .. ويبدأ من المسجد أيضاً تبرز مقدمات للتخصص العلمي الذي أصبح في الوقت الحالي أكثر عمقاً ومدلولاً ووضوحاً « والمساجد وهي التي لا تقام فيها الجمع . فكانت تتخصص عادة بعلم واحد من العلوم فكان بعضها يخصص لتدريس الفقه على مذهب معين - وهي كثيرة وبعضها خاص بتعليم القرآن الكريم أو الوعظ أو غيرها .

وغلب الطابع التخصصي في تدريس هذه المساجد فكان لكل مذهب فقهي مدرس خاص مثل مسجد أبي عبدالله الجرجاني الذي درس فيه أبو عبدالله الدامغاني ، ومسجد أبي بكر الخوارزمي ومسجد الصيمري يدرب الزوادين الذي درس في الياس بن ناصر المتوفي سنة (٤٦١) ومنها مسجد عبدالله بن المبارك الذي كان في قطيعه الربيع بالجانب الغربي من بغداد درّس فيه أبوحامد الاسفراييني وتلميذه أبوالفتح الرازي ، ومسجد ابن اللبان يدرب الأجر عند نهر طابق بالجانب الغربي أيضاً وقد درس فيه ابن اللبان ، ومسجد أبي الطيب الطبري ، ومسجد ابي اسحاق الشيرازي بباب المراتب من الجانب الشرقي ،

(١) المصدر السابق – صـ ٥٠٣

ومسجد أبي بكر الشامي بقطيعة أم الربيع بالجانب الغربي وغيرها . ومن هذه المساجد التي يدرس فيها الفقه مسجد ابن البقال بباب الطاق ، ومسجد القاضي أبي يعلى عبدنهر معلي ، ومسجد ابن زبيا في حريم دار الخلافة وكانت كلها في الجانب الشرقي أما في الجانب الغربي فقد اشتهر مسجد ابن القواس في باب البصرة »[1].

المدارس الإسلامية (النظامية) :

ارتبط ظهور المدارس في العالم العربي والإسلامي بطبيعة الحركة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي حدثت في الواقع الجديد ، وهو ما أدى إلى تقدم بعض العلوم الفقهية والشرعية والفلسفية والكلامية بالاضافة إلى مختلف العلوم العلمية الفيزياء والكيمياء والبصريات وغيرها ، وأصبحت العلوم بشتى فروعها مثار اهتمام القائمين على إدارة شئون الدولة .

وفي العراق مثلاً حيث ازدهرت الحركة الفكرية والعلمية وانتشرت هناك العديد من الفرق الإسلامية بمختلف توجهاتها السياسية والفكرية والتي كانت تشكل قلقاً للدولة سيما المعارضة لسلطة الدولة . والتي نشطت على وجه التحديد « في القرن الخامس الهجري مما دفع الوزير العالم نظام الملك إلى انشاء المدارس النظامية في منتصف القرن الخامس الهجري فكانت نظامية بغداد من أبرزها »[2].

فالمدارس النظامية نشأت في القرن الخامس الهجري كضرورة اجتماعية ملحة وأصبحت في هذه الفترة بالذات واحدة من أهم اهتمامات الحكومة والتزاماتها تجاه رعاياها .. وهذا لا يعني أن المدارس النظامية لم تكن موجودة قبل هذا التاريخ وانما «ظهرت بعض المدارس منذ أواخر القرن الثالث الهجري إلا أنها لم تتخذ خصائص مدارس القرن الخامس من حيث استقلال البناء وهندسته وايقاف الوقوف عليها ، وإلحاق الأقسام الداخلية فيها ، وتعيين المدرسين ، وقبول الطلبة ومناهج الدراسة . فهي تختلف عن « مدارس المساجد» إذ لم يكن في المسجد منازل لسكن الطلبة وإن كان في مقدور المدرس أو الطالب إيجاد سكن مجاور ينزل فيه فكانت المدرسة تستقل وتتميز بهذين العنصرين الأساسيين وهما : المكان المخصص للدرس ، والمنزل المخصص للسكن وذلك في وحدة معمارية وإدارية واحدة »[3].

---

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥٠٣ ٥٠٤

(٢) د/ الدباغ / تقي وآخرون – العراق في التاريخ – دار الحرية للطباعة – بغداد سنة ١٩٨٣م – صـ ٥١٩

(٣) المصدر نفسه – صـ ٥٠٤– ٥٠٥

وهناك خصائص أساسية مشتركة للمدارس العراقية تميزها عن المؤسسات الأخرى وهي في تقديري خصائص مشتركة لجميع أقطار الدولة الإسلامية والتي أصبح التعليم بالنسبة لها التزام وطني واجتماعي وأخلاقي وعلى وجه الخصوص :

١. « كان الذي يقوم بإنشاء المدرسة أحد الموسرين من الحكَام أو الأمراء أو التجار فيقدم المال اللازم لبنائها وتأثيثها ، ثم يوقف عليها الوقوف الدارة من عقارات أو أراضٍي زراعية وكان منشئ المدرسة يعهد بإدارة وقفها إلى واحد أو أكثر ، وكثيراً ما كان مدرس المدرسة هو الذي ينظر في وقفها . وكانت أموال الوقف تصرف على المدرس والعاملين في المدرسة وعلى طلابها حيث تقدم لهم المأكل والمسكن المجاني .

٢. وكان المألوف أن يقوم منشئ المدرسة بتعيين مدرسها وناظرها والعاملين فيها . ثم يؤول الأمر بعد وفاته إلى مدراء الوقف . أو صاحب السلطة النافذة في الدولة وتكون مدة تعيين المدرس في الأغلب مدى الحياة . إلا إذا حدثت بعض التدخلات .

٣. وقد عنيت هذه المدرسة بتدريس الفقه وما يتطلبه من علوم مساعدة بالدرجة الأولى وقلما درست أموراً أخرى ”[1].

والحديث عن المدارس النظامية في تلك المرحلة البعيدة نسبياً تدل على طبيعة النظام العربي والإسلامي الذي كان مدركاً لأهمية التعليم وواعياً بدوره، وقد كان هناك الندوات والصوالين الأدبية التي يحفل به دواوين ومجالس الخلفاء والأمراء وجميعها تعكس حالة اهتمام الحاكم العربي بالتعليم والإبداع الفكري والأدبي والثقافي بصفة عامة ” وتعد المدرسة النظامية ببغداد خير مثال للمدارس الأحادية التي عُنيت بتدريس مذهب فقهي واحد ، وهي واحدة من مجموعة من المدارس التي أسسها الوزير السلجوقي في نظام الملك الحسن بن علي في أنحاء العالم الإسلامي لتنشيط الحركة الفكرية العربية الإسلامية وتوحيد الأمة فكرياً للوقوف بوجه التحديات التخريبية . وقد ابتدأ بناؤها في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ وتم افتتاحها في ذي القعدة من سنة ٤٥٩هـ وكانت تقع قرب شاطئ دجلة فوق دار الخلافة العباسية بينها وبين المستنصرية . ولعل موقعها عند سوق الخفاقين قرب المكان الذي ما زال يعرف بقهوة الشط بين جامع الوفائية شرقاً ونهر دجلة غرباً وخان الباجه جي من الشمال وشارع السؤال من الجنوب ”[2].

(١) المصدر السابق – صـ ٥٠٥
(٢) المصدر نفسه – صـ ٥٠٦

والانتشار الواسع للمدارس النظامية في هذه المرحلة . وظهور الهيئات والجمعيات التربوية والثقافية أحد الأدلة الدافعة على مستوى الحركة الثقافية التي سادت المجتمع العربي والإسلامي وقتها ويروي « ابن جبير» أنه رأى ببغداد نحواً من ثلاثين مدرسة كل منها يقتصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات للانفاق على العلماء والمدرسين بها وللإجراء على الطلبة ، ولقد قيل أن ما كان ينفقه نظام الملك بلغ ستمائة ألف دينار وكان وقف النظامية ببغداد خمسة عشر ألف دينار سنوياً ونظامية أصفهان عشرة آلاف . وهكذا ، وكذلك فعل نور الدين حين أوقف على المدارس النورية أوقافاً يكفي ريعها الوفير للإنفاق على الطلاب والمدرسين انفاقاً متصلاً سخياً ، وكذلك كانت أوقاف التعليم في مصر ، فمنذ أواخر القرن الرابع في عهد العزيز بالله أصبح الأزهر معهداً علمياً أكثر منه مسجداً ، وقد أوقف الحاكم بأمر الله على الجامع الأزهر وبيت الحكمة أوقافاً عظيمة ، يقول المقريزي «إن الحاكم كان يؤكد أن هذه الوقفية دائمة للأبد ، لايوهنها تقادم السنين»[1].

جاء نشوء المدارس الإسلامية كضرورة اجتماعية وسياسية وعلمية ودينية ارتبطت بتوجهات وتطلعات المجتمعات الإسلامية الجديدة التي أحدثت ثورة في مختلف مجالات الحياة ، ولكي يتمكن التعليم من مواكبة هذه الثورة ، لا بد من بناء المؤسسات التعليمية وبالمفهوم الذي تشكل حديثاً « ... وقد نشأت المدارس النظامية نسبة إلى منشئها نظام الملك في العراق . وكانت غاية في الجلال والعظمة كما أنشأ نورالدين المدارس في سورية . وامتاز عهد الأيوبيين في مصر بأن الأمراء والأميرات والتجار وغيرهم اشتهروا في إنشاء المدارس وفي رعاية العلم ، وتكاد تجمع المصادر العربية مثل الأصفهاني وابن الأثير ، وابن الجرزي، والسبكي وغيرهم . على عظمة المدارس النظامية وكثرتها ووفرة ما أغدق عليها من أموال ، وما بها من كتب ، حتى قيل أنه أنشأ في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ويلاحظ أن مدارس الطب كانت قليلة نوعاً ما وذلك لأن الطب كان يدرس أغلب الأمر في المستشفيات ليمكن التطبيق العملي للنظريات الطبية والعلمية ، التي يلقيها الأساتذة على الطلاب وعلى ذلك كان بالمستشفى ايوان (قاعة محاضرات) ليستمع فيها الطلاب إلى الدرس ثم ينسابون بين المرضى ليروا الأمراض ويعالجوها باشراف أساتذتهم .

---

(١) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه - صـ ٤٨ - ٤٩

ويروي ابن أبي أصيبعة أن الطبيب» أبا المجد بن أبي الحكم «، كان يتردد على البيمارستان الكبير أنشأه الملك العادل نور الدين محمود في دمشق فيأتي ويجلس في الإيوان الذي بالبيمارستان وكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون إليه ، ويقعدون بين يديه، ثم تجري مباحثات طبية ويقريء التلاميذ ، ولا يزال في اشتغال بمباحثه ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ، ومثل ذلك حدث في مارستان المنصوري بالقاهرة حيث كان يجلس رئيس الأطباء في مكان معين ليحاضر في الطب يقول «ابن جبير» عن المدرسة النورية الكبرى (٥٦٣هـ) : انها أحسن مدارس الدنيا مظهراً وهي قصر من القصور الأنيقة به كل ما يحتاجه معهد علمي للدراسات العليا وبه قسم داخلي مكتمل المرافق»[(١)].

وهكذا نجد أن المدارس النظامية المتخصصة مثلت خطوة متقدمة في مسار تطور العملية التعليمية .. باعتبار التعليم الجامعي الاكاديمي الذي دأب في هذا المعهد تحديداً على تخريج كوادر علمية مؤهلة تلبي حاجات ومتطلبات المجتمع العربي المسلم .. وتطوير المؤسسة التعليمية صاحبه تطوير مماثل في بناء المرافق السكنية التي شكلت هي الأخرى أحد الضروريات الأساسية للمجتمع الإسلامي الحديث .

وقد رافق هذه الحركة التعليمية الصاعدة نشوء وتكوين المكتبات العامة والمتخصصة التي لعبت دوراً اساسياً في تقدم العلوم وقد كسرت هذه العملية احتكار العلم من قبل الميسورين ، وبالتالي نزلت الثقافة والعلوم المختلفة من الطبقات الأرستوقراطية الكبيرة ، والحكام إلى المريدين من عامة الناس وفي هذه الفترة أسست العديد من المكتبات التي نالت شهرة واسعة وفتحت ابواب هذه الجامعات للراغبين « كما فعل البطالمه في مكتبة الاسكندرية وكانت نواة لجامعتها ، وفعل العباسيون في إنشاء بيت الحكمة في بغداد ، وكذلك فعل الفاطميون بإنشاء دار الحكمة في القاهرة ولقد اتفق المؤرخون على أن هذه المكتبات كانت تؤدي ما تؤديه معاهد العلم والجامعات والجمعيات العلمية في الوقت الحاضر »[(٢)].

والمكتبات في العصر الإسلامي لم تكن مجرد دار لكتب يأتيها الناس للاطلاع وانما كانت مؤسسات ثقافية وتعليمية تضطلع بدور ثقافي متميز فكان فيها المترجمون والنساخ وكانت عبارة عن مؤسسات تعليمية يأتون إليها الناس ليتعلموا منها وينهلون العلم بمختلف اتجاهاته .. ولكي تستطيع هذه المكتبات من تأدية

---

(١) تاريخ العلم – صـ ٣٩ – ٤٠
(٢) المصدر السابق – صـ ٤٠

رسالتها العلمية وتواصل رسالتها بصورة طبيعية سجلوا لها وقفاً يضمن لها الاستمرارية في رسالتها العلمية ومن أبرز المدارس الإسلامية في هذه المرحلة الآتي .

١. المدرسة النورية الكبرى :

« أنشأ هذه المدرسة نور الدين محمود الزنكي سنة (٥٦٣هـ) في مدينة دمشق وقد ضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الأيوان الذي يرادف قاعة المحاضرات بالتعبير الحديث والمسجد ومساكن الطلبة وقام نور الدين بإنشاء المدارس في مدن سوريا وأنشأ الأيوبيون مدارس عديدة في مصر ودمشق وقد أشار بن جبير في احصائيته أن هناك ثلاثين مدرسة في بغداد ونحو عشرين مدرسة في دمشق وفي الموصل ست مدارس وفي حلب مدرسة واحدة»(1).

وابن خلدون كغيره من المفكرين الإسلاميين الذين درسوا التربية وأبدعوا فيها وهو يعطينا فكرة متواضعة عن طبيعة المؤسسات التربوية التي كانت قائمة وقتها ويبدأ بحثه « بصناعة التعليم ، أو في نقل العلم إلى الولدان داخل الكتاب في تلك « المؤسسة التعليمية» الأولى حيث تطور الوعي التربوي وتنوع وتحجج المؤرخون المعاصرون في دراسة أنواع الكتاتيب ، والأمكنة التي كانت تقام عليها وأثاثها ، ومولجيها من معلمين ومتعلمين كما دُرست أيضاً قضاياها : عمر الذهاب إلى الكتاب ، مهام المعلم ، الخصال المطلوبة منه ، أدبيته ، تغيبه ، أجره ..الخ ... ومن الطريف أن الاهتمام أحياناً كثيراً بالنواحي الصحيحة للمتعلم بأدبيته ، وتنظيم التعليم كان ملحوظاً من حيث المستوى .

ولعب المسجد كمؤسسة تعليمية دوراً كبيراً لم يستطع أولم يشأ ابن خلدون التنبيه إليه فالمسجد أداة ومكان ، معلم وطريقة في التربويات وما يزال لكن بدرجة « مدرسة عالية « والحلقة فيه ليست مكرّسة للموضوع التعبدي أو الديني وحدة أكانت الحلقات تهتم باللغوي والفقهي وحتى بالطب ، والفلك ... وطلابها منتظمون ومنهم من هو غير مقيدين بعمر محدد ولهم آدابهم حيال الذات والمكان كما حيال الآخر والمجتمع والكتب ولا سيما حيال « فضل العلم وشرفه» .

وتتميز بعد ذلك المدرسة فهناك مؤسسة مشهورة وهي معروفة قبل النظاميات التي تعددت وأثبتت نفعها للدولة والمعرفة الموجهة أو المشرف عليها (المراقبة)لأن الدولة هي التي تنفق وتتولى وتختار وتحبس الأوقاف ... وسنرى ان ابن الأزرق يثني على المدارس النظامية واستطاع المؤرخ العربي المعاصر للفكر التربوي

---

(١) الإكليل – العددين (٢٠ ، ٢١) – ١٩٩٠م – صد ٤٣

العربي الإسلامي تقديم صورة واضحة عن رواتب المعلمين ومواعيد التدريس ومدة الدراسة والأوقاف والسكن «الداخلي» والمعدات ، ونوع الدراسة، والإجازة والعطلة .

٢. المدرسة المستنصرية

وتعد المدرسة المستنصرية في بغداد من أشهر وأهم المدارس « والتي ما يزال بناؤها قائماً . وقد شرع المستنصر بالله العباسي ببنائها سنة (٦٢٥) على شط دجله مما يلي دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد »[١].

وقد كلف بناء المدرسة المستنصرية الكثير ، وكانت على مستوى رفيع من التنظيم والدقة ، وتشير المصادر التاريخية بأن الخليفة المستنصر نظم هذه المدرسة تنظيماً لم يسبق إليه من حيث الإدارة والتدريس والطلبة وشئونهم فجعل ادارتها بيد (ناظر) أو «وال» يختار من بين كبار موظفي الدولة ويساعده مشرف وكاتب وجعل فيها معماية وعشرة فراشين ، وثلاثة بوابين ، وحمامي ، ومزين ، وقيم ، وطباخ ، ومساعد له ، ومدير مخزن ، ومزملاتي ، ومؤذن ، ونفاط وعدد من الموظفين الآخرين »[٢].

« وقد زودت بساعة من نوع المزولة وجهزت بالحمامات والمطابخ كما كان فيها مستشفى ودار للكتب وتعتبر هذه المدرسة من أجمل المدارس الإسلامية في القرن الثالث عشر وكان يدرس فيها الفقه والمذاهب الدينية الأربعة»[٣].

٣. مدرسة أبي حنيفة :

تعتبر هذه من أوائل المدارس « التي احتلت مكانة بارزة في تاريخ الحركة الفكرية في العراق أنشأها أبوسعد ابن المستوفي بجوار مشهد ابي حنيفة ، وتم افتتاحها قبل النظامية بنحو خمسة أشهر سنة (٤٥٩) مع أنه بدأ بتشييدها بعد البدء بتشييد النظامية ، وكان وقفها أكثر أهمية من وقف النظامية .

وكانت الهيئة الإدارية والتدريسية لهذه المدرسة تتكون من مدرس للفقه وهو الذي يدير أوقافها ، ومن دونه معيدون ، وإداريون مساعدون ثم إمام يقيم الصلوات كما كان لهذه المدرسة مكتبة خاصة بها يشرف عليها خازن ، وبذلك فهي لا تختلف عن النظامية من حيث الإدارة والتنظيم .

---

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥١٠ وفي مصادر أخرى عام (٦٢٩ هـ / ١٢٣٤م)
(٢) المصدر نفسه – صـ ٥١١
(٣) مجلة الإكليل – العددين (٢٠ ، ٢١) – ١٩٩٠م – صـ ٤٣

وأول من عين للتدريس فيها أبوطاهر إلياس بن ناصر بن إبراهيم وهو من كبار الفقهاء درس على الصيمري وأبي عبدالله الدامغائي وكان مدرس الفقه بواسط ، ورأس حلقة بجامع القصر ، ثم صار مدرساً في مسجد الصيمري وقد بقى أبو طاهر إلياس مدرساً بها إلى أن توفي سنة (٤٦١هـ) فخلفه فيها مدرساً إلى أن توفى سنة (٥١٢هـ) أي قرابة اثنين وخمسين عاماً» وكان من أعظم علماء عصره .

وتولي بعد ذلك عدد من المدرسين لتدريس في هذه المدرسة ممن عرفوا باتساع معارفهم الفقهية . ومكانتهم البارزة منهم اسماعيل بن عبدالرحمن اللمغاني (ت ٥٣٦هـ) وأبوالقاسم الزينبي (ت ٥٤٣هـ) والنسفي (ت ٥٦٦هـ) ، وأبو المحاسن ابن الكيال (ت ٦٠٥هـ) وضياء الدين التركستاني (ت ٦١٠هـ) وغيرهم »[1].

وتؤكد المعطيات التاريخية على أن هذه المدرسة هي « أطول مدارس بغداد عمراً على الإطلاق لأنها ما زالت موجودة إلى يومنا هذا بالرغم من الظروف القاسية التي مرت بها بغداد بعد سقوط الدولة العباسية ولم تكن أقل شأناً من النظامية وإن كانت كثيرة أشارت المصادر التي تعيين وتعزل المدرسين بالنظامية قد يوحي من أول وهلة إلى أهميتها لكن ليس من دليل تاريخي يثبت أنه ميز النظامية على هذه المدرسة »[2].

فالعملية في تقديري لا تؤخذ بهذا المفهوم الساذج وانما المدارس بحد ذاتها تعبر عن حالة الإزدهار الواسع في الحركة الفكرية ، وانها نتاج طبيعي لهذا الازدهار وإلا لما حدث تطور في الحركة الفكرية العربية والإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين وقبل أن تشكل المدارس بصورتها التي ظهرت فيما بعد .

والمدارس فقط ساعدت على حرية التعليم والتعدد في المناهج وفي الدراسة الأكاديمية الأكثر توجيهاً « .. فضلاً عن الفوائد الكثيرة التي يوفرها التعليم الحر الذي يستطيع المدرس فيه أن يدرس ما يشاء وأن يُقبل عليه الطلبة بسبب منزلته العلمية فقط سنة (٦٤٥) طلب إلى مدرسي المستنصرية ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء (أي الطلبة بحفظ شيء منها بل يذكروا كلام المشائخ . فمثل هذا النص يشير من غير شك إلى حق صاحب المدرسة التي يقوم بالصرف عليها أن يطلب توجيه الدراسة فيها التي يبتغيها وهو الذي يستطيع تعيين المدرس الذي يرضى عنه كما يستطيع عزله متى يشاء .

---

(١) المصدر السابق – صـ ٥٠٧ – ٥٠٨

(٢) المصدر نفسه – صـ ٥٠٨ –٥٠٩

إن كثرة انتشار المدارس في القرنين السادس والسابع الهجريين لم يؤثر على استمرار الحركة الفكرية الحرة في المساجد والجوامع والبيوت وغيرها فقد استمرت الدراسة الحرة تكون الغالبية العظمى من العلماء .

إن الإحصائيات التي أجريناها على العلماء في كتب التراجم لهذه الحقبة قد بينت أن العلماء الذين تلقوا علومهم في المدارس كانوا قلة قليلة قياساً بمن تلقى العلم خارجها»[1].

وكان انشاء المدرستين النظاميتين المستنصرية ، وأبي حنيفة في تلك الفترة التاريخية مؤشر جيد على تنامي العلوم وتطور الفكر الإنساني الذي وجد نفسه في ظل الدولة الإسلامية متسعاً جداً ، والسمعة الجيدة التي كونتهما هاتان المدرستان أدى إلى بناء العديد من المدارس في المرحلة التي أعقبتها .. بل إن ذلك أصبح إلتزاماً أدبياً وأخلاقياً للحاكم ومؤشراً لنجاحه ونالت بعضها أو غالبيتها الشهرة نفسها وعلى وجه الخصوص « مدرسة أبي بكر الشاشي التي أنشئت قبل سنة (٤٨٢هـ) والمدرسة التاجية التي أنشئت سنة (٤٨٢هـ) والمدرسة الكمالية التي أنشئت سنة (٥٣٥هـ) والمدرسة الثقتية سنة (٥٤٠هـ) والمدرسة البهائية سنة (٥٦٣هـ) والمدرسة الفخرية سنة (٥٦٨هـ) ومدرسة زمردخاتون سنة (٥٨٩هـ) والمدرسة الأصهبذية سنة (٦٠٤هـ) والمدرسة الشرابية سنة (٦٢٨هـ) .

كما أسست مدرسة تركان خاتون قبل سنة (٤٨٧هـ) ، ومدرسة جامع السلطان ملك شاه بعد سنة (٥٠٢هـ) والمدرسة التتشية قبل سنة (٥٠٨هـ) والمدرسة الغياثية قبل سنة (٥١١هـ) والمدرسة المغيثية بعد سنة (٥١١هـ)والمدرسة الموقفية قبل سنة (٥٣٣هـ) ومدرسة السلطان محمود قبل سنة (٥٦٦هـ) ومدرسة سوق العميد سنة (٥٧٣هـ) ومدرسة ابن بكروس الحراني قبل سنة (٥٧٣هـ) .

وبالاضافة إلى ما ذكر فقد أنشئت في بغداد المدرسة القادرية سنة (٥١٣هـ) ومدرسة ابي شجاع سنة (٥٢٠هـ) ومدرسة ابن الشمحل سنة (٥٥٦هـ) ومدرسة ابن هبيرة سنة (٥٥٧هـ) ومدرسة ابن البل قبل سنة (٥٦٠هـ) ومدرسة ابن الجوزي سنة (٥٧٠هـ) ومدرسة بقشا وهي المدرسة الشاطئية سنة (٥٧٠هـ) أيضاً ومدرسة ابن العطار قبل سنة (٥٩٥هـ) والمدرسة الشاطئية قبل سنة (٦٠٣هـ) والمدرسة المجاهدية سنة (٦٣٧هـ) كما انتشرت المدارس في مراكز الحركة الفكرية في العراق مثل البصرة وواسط وأربل والموصل وغيرها »[2].

---

(١) المصدر السابق – صـ ٥١٧ – ٥١٨

(٢) العراق في التاريخ – صـ ١٠٩ – ١١٠

الفصل الثالث

الفصل الثالث

التعليم في المدارس الإسلامية

إن الإنتشار الواسع للمدارس خطوة نحو التعبير عن المشهد الثقافي والفكري وازدهاره في تلك المرحلة .. فالإزدهار الثقافي والفكري الذي شهده العالم العربي والإسلامي والمتمثل بالتطورات الكبيرة الواسعة في مجالات العلوم المختلفة وعلى وجه الخصوص المنطق والفلسفة وعلم الجمال والرياضيات والطب والموسيقي والنحو والصرف واللغة والشعر والأدب وغيرها من العلوم التي وصلت ذروتها في الموروث الثقافي والفكري الذي تركوه لنا حتى اللحظة وقد أدت هذه المرحلة إلى نشوء المدارس واتساعها لتكون قادرة على الإلمام بطبيعة التغييرات التي حدثت في هذا الإطار

« وقد حظيت المدارس في العالم العربي بالاهتمامٍ والدارسةٍ إذ أثارتٍ انتباه المؤرخين كظاهرة حضارية أثرت في المجتمع علمياً واجتماعياً وسياسياً وقد تعددت الآراء حول نشأة المدارس وأصولها وتطورها ودورها ، وبقدر ما كان الإختلاف في الأصول كان الاختلاف في تاريخ النشأة وأسبابها ومكانها ونسبتها على أنه بإمكاننا هنا التمييز بين ثلاثة أنواع من المدارس بحسب نشأتها وهي لا تختلف إلا بأهمية مواردها .

١. المدارس التي أنشأها الأفراد وعلية القوم وتتمتع بدعم رسمي .

٢. المدارس الرسمية التي أسسها الولاة والحكام وتتمتع بدعم رسمي من قبل المؤسسين .

٣. المدارس الخاصة المستقلة »[1].

والمسجد في المرحلة الأولى للاسلام استخدم كمدرسة لتعليم الصبيان أبجدية القراءة والكتابة وتعليم الناس أصول الدين الإسلامي الحنيف والتفكير العلمي والعلاقة بين الدين والعلم وغيرها وكانت في أروقة المساجد تقوم حلقات الدرس والمناقشات العلمية متعددة الاهتمامات والاتجاهات .. ونشأت المدرسة في

---

(١) الموسوعة اليمنية – ج١ – صـ ٢٦٢ – ٢٦٣

مرحلة لاحقة بخصائص انشائية وتعليمة جديدة أكثر تخصصاً في هذا الاطار . ومن أهم هذه المميزات تتمثل بوجود إيوان التدريس وسكن للطلاب وهذه العملية ميزت إلى حد كبير بين المدرسة وبين المسجد وهي عنصر وظيفي بحت .

"ومن المعروف أن الدرس والتدريس نشأ بنشأة الإسلام ، وقد استخدمت المساجد للتدريس منذ العهد الأول . فكان هناك حلقات الدراسة في المساجد منذ نشأتها واستمرت كذلك على مر السنين والقرون وفي مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع .

لذلك نجد المساجد قد قامت بدورها العلمي منذ القرن الأول الهجري إلى جانب دورها كأماكن للعبادة ومراكز تدار منها شئون الدولة ، ومع مرور الزمن زاد اقبال الناس على حلقات العلم . فزادت حلقات الدرس كما ترتب على تقدم العلوم وتقدم المعارف وجود مواد تستدعي دراستها كثيراً من الحوار والنقاش والجدل كعلم الكلام وعلم الجدل والمناظرة مما أفسد هدوء المسجد والجلال الذي يجب أن يكون عليه حتى يتمكن المصلي من الخشوع أثناء تأدية الصلاة .

لذلك جاءت الحاجة إلى بناء منشأة تعليمية متخصصة تقوم بهذه الوظيفة عرفت بالمدرسة، وأصبحت في أوائل القرن الخامس الهجري مؤسسات تعليمية على مستوى عال هدفها التفقيه في الدين حسب المذاهب السنية والتبحر في العلم ونشر الإسلام وتسهم في إنشائها الدول الإسلامية "(١).

والإيوان والمساكن من المرافق الأساسية التي دأب على إلحاقها بالعديد من المدارس والكثير من المساجد اليمنية احتوت على إيوان للتدريس باعتبار أن للمسجد والمدرسة وظيفة تربوية وتعليمية واحدة .. ومثال على ذلك « الجامع الكبير بمدينة ثلا ، ومسجد السيد بمدينة ذي السفال ، جامع الهادي ، جامع صبيح ، مسجد الشيبان ، ومسجد التراري بمدينة صعدة ، جامع محمد بن الهادي بمدينة ثلا .

بل يمكن القول أن طراز تخطيط الأواوين المتعامدة الذي يعتبره الباحثون من سمات تخطيط المدارس في العصر المملوكي ، تجده قد استخدم في المنشآت التي أطلق عليها بنص الإنشاء «جامع» أو « مسجد» مثل منشآت جاني بيك الأشرفي (٨٣٠هـ) ، وقجماس الإسحاقي بالقاهرة ، مسجد آل ملك الجو كندار (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ، مسجد أحمد المهمندار (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) ، جمال الدين

---

(١) مجلة الإكليل – وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – العدد (٢٨) ٢٠٠٤م – صـ ٧٢ – ٧٣

يوسف الاستدار ، جامع جوهر شاه الكبير في مشهد ، الجامع الكبير بالموصل (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) ، المسجد الجامع في يزد (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) ، ومسجد قوة الإسلام بالقرب من دلهي (٥٤٩هـ / ١١٩٣م) كما نجد الجامع الكبير بمدينة حيس قد جاء تخطيطه أشبه بتخطيط المدرسة الإيوانية وإن كان إنشاؤه في الأصل مسجداً ومدرسة حسبما ورد في النص التأسيسي للمنشأة ، ويشبه في تخطيطه المدرسة القاسمية بماردين ، والنورية بدمشق (٥٦٧هـ / ١١٧٢م)، مدرسة كوموشتكين في بصرى (٥٣٠هـ / ١١٣٦م) ، المدرسة الظاهرية بحلب (٦١٦هـ / ١٢١٩م) ... وهذا التخطيط المرتبط بالجوامع نجده قد استخدم في تخطيط مدرسة نصر الدين بمدينة فوه بمحافظة كفر الشيخ في مصر والمدرسة الأسدية بمدينة إب ، بل نجد أن مسجد راجين السيفي (٨٥٧هـ) من المساجد القليلة النادرة التي بنيت في العصر المملوكي على غرار المساجد ذات الأروقة بدلاً من الإيوانات »[1].

وهناك توجد مدارس كثيرة في اليمن لا تحتوي على مساكن للطلبة وهناك جوامع كثيرة فيها مساكن .

المدارس المتخصصة في تدريس المذاهب الفقهية :

ظهرت في بغداد العديد من المدارس المتخصصة في تدريس المذاهب الفقهية المختلفة كتعبير عن واقع الحركة الفكرية التي تميزت بها آنذاك بغداد التي كانت تعيش عصرها الذهبي كمركز للفكر الإنساني وظهرت أيضاً بصورة موازية مدارس من نوع آخر تجمع في تدريسها أكثر من مذهب فقهي وهذا يدل على حالة الوعي الفكري الذي وصلت إليه بغداد ووعي المجتمع البغدادي الذي وصل حد التعايش بين مختلف المذاهب والتيارات التي وصلت في بعض الأماكن حد التقاطع والاختلاف .

« ومنذ نهاية القرن الخامس الهجري حينما أنشئت مدرسة الأمير سعادة الرسائلي ثم أنشئت المدرسة الأتابيكية العتيقة بالموصل التي أنشأها سيف الدين غازي ابن عماد الدين زنكي المتوفي سنة (٥٤٤هـ) ومثلها المدرسة العزية التي أنشأها عز الدين مسعود ابن قطب الدين مودود ابن عماد زنكي بين سنتي (٥٧٦، ٥٨٩هـ) بباب دار المملكة ثم انفردت بغداد في النصف الأول من القرن السابع الهجري لجمع المذاهب الإسلامية الأربعة في مدرسة رباعية واحدة

(١) المصدر السابق – صـ٧٣ – ٧٤

لأول مرة في تاريخ المدارس الإسلامية وذلك عند إنشاء المدرسة المستنصرية وافتتاحها سنة (٦٣١هـ)»[١].

فالدولة الإسلامية أدركت مبكراً الأهمية الكبيرة للعلم والتعليم .. باعتباره نتاج تراكم تاريخي في خبرات الناس وحاجاتهم له تجلي في أول أمر إلهي يحث الناس على التعليم وفي ظل التنافس الذي شق طريقه في الدولة العربية الإسلامية في بناء المؤسسات التعليمية والاهتمام بالعلم زادت الأهمية لبناء المدارس التي أصبحت أحد الضروريات الأساسية في المجتمع العربي الإسلامي.

ولهذا أصبح من الملحقات الأساسية للمدارس وتوفير بعض المتطلبات الأساسية مثل السكن الداخلي والأكل والشرب وغيرها ولهذا « نظمت المدارس التعليم بشكل أفضل مما كان عليه سابقاً . فقد أصبح الطالب مستقراً في مكان واحد ولمدة طويلة يستطيع بها أن يتزود بعلم جم من غير عناء التنقل وأصبحت أسس بعض العلوم مستقرة في كتب معتمدة ، وقد سهل وجود تراث كتابي ضخم «أتخاذ المقررات التدريبية فكان المدرس عادة يدرس أحد الكتب المعتمدة أو يقوم بإعداد محاضرات بموضوع الدرس تسمى (تعليقه) تشمل جميع المدة التي يقضيها الطالب في المدرسة »[٢].

وربما أن هناك آراء مختلفة حول دور المدارس في تطوير الحركة الفكرية.. وبدأت في هذه المرحلة المبكرة دور المدرسة في تلبية حاجة المجتمع من التخصصات العلمية وتحصين الدارسين من الأفكار التي أصبحت بعض الفرق الإسلامية تجسدها على أرض الواقع ولهذا أصبح المتخرج من المدارس النظامية «يصل إلى مرحلة معينة من دراسته وتخصصه فيعين من قبل الدولة كخطيب وإمام للمسجد أو في القضاء أو الافتاء أو الكتابة في الدواوين »[٣].

ولعبت المدارس المتخصصة دوراً هاماً في تطوير المعتقدات الدينية وتطوير مفاهيم الجدل بين مختلف المذاهب والتيارات الثقافية والفكرية والمذهبية ومن هنا جاء مفهوم المدارس المتخصصة .

«ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين ظهرت المدارس المتخصصة كمدارس الحديث والفقه وعلم الأصول وعلم الكلام والتصوف وغيرها . كما ظهرت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين المدارس الخاصة بالمذاهب فظهرت المدارس

---

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥١٠
(٢) المصدر السابق – صـ ٥١٧
(٣) تاريخ التعليم في عدن – صـ ١٠١

المتخصصة في تدريس المذهب الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي كما استغلت الأربطة والزوايا وراح كل منهم يحدد المناهج التربوية كما يريد والطالب يدرس هنا في مرحلة واحدة تعليمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث ظهرت مدارس ذات مراحل عملية متفتحة فظهر لنا علماء في الفلسفة والعلوم الطبيعية وعلماء خصوا التربية بأبحاث خاصة ، ومن أمثالهم الحارث المحاسبي وابن سحنون والأجرى »[1].

وتوالى ظهور المدارس في العصر العباسي الثاني في ظل استقلال بعض الأقاليم وتكوين دويلات اسلامية ، واستمرت المدارس في ظل هذه الوضعية تؤدي رسالتها التربوية بحرية وبعيداً عن التأثيرات المركزية سيما فيما يتعلق بالمناهج الدراسية والسياسات التعليمية التي كانت متبعة وقائمة حينها .

الأقسام الملحقة بالمدارس :

تتفاوت الأقسام الملحقة بالمدارس أومكوناتها البنائية والعلمية من مدرسة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر فالمدرسة المستنصرية « ألحق بها المستنصر « دارا للقرآن الكريم اعتنى ببنائها فكانت احدى المعالم المعمارية ببغداد آنذاك وطلب أن يكون فيها ثلاثون صبياً أيتاماً يتلقون القرآن على شيخ مقرئ متقن صالح يعاونه معيد يعيد للطلبة ما يلقيه عليهم الشيخ ويحفظهم التلاقين .

وكان من جملة الأقسام العلمية بالمدرسة المستنصرية دار الحديث «أو دار السنة النبوية» وقد طلب المستنصر أن يتولى مشيخة الحديث فيها شيخ عالي الأستاذ يعاونه قارئ للحديث وينظم فيها عشرة من الطلبة يشتغلون بعلم الحديث النبوي .

وكانت رواية الحديث تجرى ثلاثة أيام في الأسبوع هي : السبت ، الإثنين والخميس . واشترط المستنصر أن يكون بمدرسته (نحوي) يدرس العربية ، والظاهر أن له معيداً أسوة بغيرة . ولما لم تكن للعربية بناية خاصة في هذه المدرسة فالظاهر أن دراسة اللغة كانت تعقد في رواقها أي في صحنها . وأواوينها . فقد عقد ابن الصيقل الجزري المتوفي سنة (٦٧٦هـ) عشرة مجالس برواق المستنصرية لمدة شهرين حضرها مئة وستون سامعاً»[2].

وهذه تعطينا صورة واضحة على بعض مكونات ومرافق المدرسة الأكاديمية في العصر الإسلامي المزدهر ، ومع هذا تظل بعض المرافق الأكاديمية تقدم نفسها

(١) المصدر نفسه – صـ ١٠١ – ١٠٢
(٢) – العراق في التاريخ – صـ ٥١٢

كأهم مرفق تعليمي وعلى وجه الخصوص المكتبة فقد عنى المستنصر « عناية بالغة بمكتبة هذه المدرسة فقد ذكر صاحب الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة أنه نقل إليها يوم افتتاحها « من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مئة وستون حمالاً وجعلت في خزانة الكتب سوى ما نقل إليها فيما بعد ، وقد ذكر ابن الغوطي - وقد تولى إدارتها مدة - إنه لم يوجد مثلها في العالم . وقد قرنها الإمام الذهبي المؤرخ بخزانة الرصد التي أنشئت فيما بعد بمراغة فقال « وليس في البلاد أكثر من هاتين الخزانتين »ولا بد أنه لمكتبة ظلت تغنى بالكتب بعد تأسيس المدرسة . فضلا عن قيام بعض العلماء بوقف كتبهم عليها ، ورتبت الكتب حسب موضوعاتها ليسهل تناولها والإفادة منها .

وقد اشترط المستنصر أن يكون فيها خازن للخزانة (أمين مكتبة) يعاونه مشرف ، ومناول للكتب ، وأن تجعل الخزانة برسم من يطالع ويستنسخ من الطلبة ووفر الورق والأقلام لمن يريد النسخ »[1].

والمدرسة المستنصرية كانت عبارة عن « مدرسة داخلية توفر لرجال إدارتها ومدرسيها وطلبتها المأكل والمسكن ، فضلا عن رواتب شهرية جارية ، فقد اشتملت البناية على حجر وغرف لسكنى الطلبة ، وكانت الأطعمة توزع يومياً مطبوخة في مطبخها على طلابها الذين أثبتوا فيها وهم (٢٤٨) طالباً في مدرسة الفقه وثلاثون في دار القرآن وعشرة في دار الحديث وعشرة في مدرسة الطب . إضافة إلى الأخباز والحلوى والفاكهة ، وهيئت لهم الحصر والسراج والزيت والفرش والصابون كما هيئت الأحبار والورق والأقلام للاستنساخ وحمام حار في الشتاء ، وماء بارد للشرب صيفاً ، فضلا عن المعالجة المجانية . وكان يوزع على رجال الإدارة والتدريس يومياً كميات كبيرة من الخبز واللحم والخضر والحطب تكفي لهم ولعيالهم وضيوفهم .

وكان الموظفون والتدريسيون فوق كل ذلك يتقاضون مرتبات شهرية نقدية من الدنانير الذهبية فكانت رواتب الناظر ومدرس الفقه (١٢) ديناراً ، وكان مشرف الناظر وكاتبه يتقاضيان سبعة دنانير ، وأمين المكتبة عشرة دنانير ، والمشرف على المكتبة ثلاثة دنانير والمناول دينارين أما شيوخ القرآن والحديث والعربية والطب فكان راتب كل منهم ثلاثة دنانير وكان وحيد الحديث يتقاضى دينارين وعشرة قراريط ومعيد شيخ دار القرآن دينارا وعشرين قيراطاً ، بينما كان طالب الفقه

---

(١) المصدر السابق – صـ ٥١٢

يتقاضى دينارين ويتقاضى طلبة القرآن والحديث والطب ثلاثة عشر قيراطاً وحبة . وهذه الرواتب جيدة إذا عرفنا القوة الشرائية للدينار يومئذ »[1].

السياسة التعليمية في هذه المدارس :

تبنى السياسة التعليمية لكل مدرسة وفقاً للإتجاهات العامة للدولة أو الخليفة أو الفقيه الذي قام بتشييد هذه المدرسة أو تلك وهناك أيضاً مواد مشتركة وهي المتعلقة بقضايا الدين واللغة وغيرها . ومن خلال تناولاتنا المختلفة لقضايا التربية والتعليم في العصر الإسلامي يتردد تناولاتنا لمثل هذه المواد،ولكل مذهب من المذاهب الإسلامية طريقته في التدريس واختيار المواد الدراسية ولو أخذنا المدرسة المستنصرية نموذجاً لذلك سنجد أن لها أسلوبها وفلسفتها التعليمية الخاصة « إن دراسة الفقه على المذاهب الأربعة بأماكن مستقلة داخل المدرسة المستنصرية والعناية بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية وعلوم العربية والطب والفرائض في مؤسسة واحدة يشير إلى تطور كبير في نظام التعليم ويحق للباحث عندئذ أن يشبه هذه المؤسسة بالجامعة ـ فكان العراق سباقاً إلى هذا الأمر ، فشرع الناس بتقليده والسير على نهجه في اصقاع العالم الإسلامي فيما بعد فبنوا المدارس على صفة المستنصرية .

ويرى الأستاذ جورج مقدسي أن إنشاء المدرسة المستنصرية هو اتمام « لدورة التطوير في مؤسسات العلم ببغداد ، فالجامع مؤسسة عامة يضم حلقات تمثل جميع المذاهب . والمسجد ثم المدرسة كلاهما خاصان مختصان بمذهب واحد .

وأخيراً المدرسة التي أنشأها الخليفة أصبحت مرة أخرى عامة تغير من خصائص المدرسة الخاصة »[2].

والمناهج التعليمية لكل مدرسة تحدد طبيعة السياسة التعليمية لكل مؤسسة ولكل مرحلة من المراحل .. ويذكر أخوان الصفاء الذين تبلغ رسائلهم اثنتين وخمسين رسالة ورسالة مقسومة على أربعة أقسام رياضية تعليمية وجسمانية طبيعية ونفسية وعقلية وناموسية إلهية ، وتليها الرسالة الجامعية « وقد ذكروا أن مصادر علومهم كتب مختلفة . هي كتب الحكماء من الرياضيات والطبيعيات ، والكتب المنزلة من توراة وإنجيل وقرآن ، والطبيعة وما تحوي من صور الموجودات من أفلاك وبروج وكواكب ، والكائنات من نبات وحيوان ومعادن . ويتضمن القسم

---

(١) المصدر نفسه – صد ٥١٣ – ٥١٤
(٢) المصدر السابق – صد٥١٤

الأول من رسائلهم الرياضيات لما للعدد من مقام في فلسفتهم ولعلهم تأثروا في ذلك بالفيثاغوريين وللعدد أربعة . شرف الصدارة عندهم «لأن الطبائع أربع والعناصر أربعة والأمزجة أربعة والمكونات أربعة والرياح أربعة والجهات أربع والفصول أربعة وهكذا .

وكذلك تكلموا في العدد والهندسة والنجوم ، وتدخل الموسيقى في القسم الرياضي فتكلموا عن صناعتها وأصلها ، وفي امتزاج الأصوات وتنافرها وفي أصول الألحان وقوانينها ، وفي القسم الثاني من رسائلهم تحدثوا في الطبيعة وكانوا في أكثره مشايعين لأرسطو وفي أقله شايعوا الفيثاغوريين والأفلاطونيين . فتكلموا عن الهيولي والصورة والزمان والمكان والحركة والآثار العلوية وعن المعادن والحيوانات والإنسان والنفس واللذة والألم والأصوات وإدارة القوة السامعة لها »[١].

وتكلموا كذلك في التطور والإرتقاء وفي مختلف الفلسفات والعلوم «والحق أن رسائل أخوان الصفاء : كما يعتقد دي بور . إنما هي أشبه بدائرة معارف لاشتمالها على خلاصة ما انتهت إليه علوم الأقدمين وعقائدهم في غير تعمق في عرض المسائل وبحثها ، مع ما يتخللها من رموز وأحاجي ، ويقول أبوحيان التوحيدي : لقد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية، إلا أنها كتبت بلغة أنيقة جذابة جميلة الصور والتشابيه ، فلا يضيق مطالعها ذرعاً وإنها لتستاهل التحقيق العلمي الرصين»[٢].

وبما أن هذه الإتجاهات العامة للفلسفة التربوية عند أخوان الصفاء تحدد معالم التوجه الفكري لأخوان الصفاء والذين استطاعوا بعبقرية فذة عكسه في الواقع وفي مناهجهم الدراسية .. وهذه الإتجاهات تختلف إلى حدما عند المذاهب الاعتقادية الأخرى .

والسياسة التعليمية التي اتبعتها المدرسة المستنصرية تؤكد الفارق الكبير بين هذه التيارات والمذاهب العقائدية المختلفة فالمستنصرية تقدم لنا مثالاً رائعاً لما كانت عليه الأمور الإدارية حينها .. وربما أن النظام الذي كان قائماً فيها يندر وجوده حتى في الكثير من مدارس اليوم « ولما كانت المستنصرية قد أنشئت لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، فقد اشترط المستنصر أن يكون لكل طائفة من الطوائف الأربع مدرس (أستاذ كرسي الفقه) وأن يكون لكل مدرس أربعة معيدين ، وكان الخليفة هو الذي يعين المدرسين بتوقيع (مرسوم جمهوري) يصدر

---

(١) تاريخ العلم – صـ ٥٠
(٢) المصدر نفسه – صـ ٥١

عنه ، ثم يخلع عليه بدار الوزارة خلعة التدريس ويسير في موكب مهيب فيه الولاة والحجاب والصدور ، وأرباب المناصب احتراما له واحتفاأ به ويحضر الأئمة والفقهاء محاضرته الأولى ، وغالباً ما يبقى في منصبه مدى الحياة أما طلبة الفقه (الفقهاء) فقد كانوا (٢٤٨) طالباً ، اثنان وستون طالبا لكل طائفة يتخيرون من بين النابهين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي . أما مدة دراستهم فيظهر أنها بين (٤-٦) سنوات »[1].

وكانت مدة الدراسة في المساجد والمدارس الأحادية تقدر بأربع سنوات . فالمدرسة المستنصرية في بغداد كانت كغيرها من المؤسسات التعليمية متقدمة في أسلوبها ورسالتها التربوية ، وعلاوة على ذلك فهي تمتلك نظاماً تدريسياً واضحاً لا تختلف عن أي كلية أو جامعة في هذا العصر .

والدراسة أيضاً تتفاوت من مدرسة إلى أخرى . ففي المدرسة البدائية أوالمعلامات يتلقى الطالب فيها أبجدية التعليم العام . وتنتهي بحفظ القرآن الكريم . وفي المساجد تقتصر الدراسة على إلقاء المحاضرات ، وأحياناً المناقشات والتفسيرات والإيضاحات المختلفة.

ولا يخضع هذا النوع من الدراسة لزمان محدد .. ولكن المدرسة النظامية مختلفة كثيرا فهناك نظاماً تعليمياً خاصاً تتبعه حيث « كانت الدراسة بالمدرسة النظامية تمتد قرابة أربع سنوات يدرس فيها الطالب الفقه وأصوله وبعض العلوم المساعدة . ولاسيما اللغة العربية . وقد أصبحت هذه المدرسة قبلة أنظار طلبة العلم من مختلف الأصقاع الإسلامية ، تورد إليها الطلبة ، ودرسوا فيها ونهلوا من معين علمائها »[2].

التخصصات العلمية في المستنصرية وفترة الدراسة فيها :

كانت المدرسة القديمة أشبه ما تكون بالجامعة في الوقت الحالي لما تحتويه من دراسة التخصصات العلمية الرفيعة ، وكانت الدراسة التي تقدمها مثلا المدرسة المستنصرية في بغداد نموذجاً للدراسة الأكاديمية في الوقت الحاضر وأكثر تخصصاً . فقد كان « علم الطب من العلوم التي تدرس بالمستنصرية إذ اشترط المستنصر أن يكون في مدرسته طبيب حاذق مسلم . وأن يكون بها عشرة طلبة من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب . وكان من واجب هذا الطبيب أيضا

---

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥١١

(٢) المصدر نفسه – صـ ٥٠٧

معالجة المرضى من رجال الإدارة والمدرسين والطلبة في هذه المؤسسة العلمية وأن يعطي المريض ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة والسكر والفراريج وغير ذلك وقد ذكر ابن العبري وغيره أنه كان بالمستنصرية مخزون فيه أنواع الأشربة والأدوية والعقاقير ، أي أنها ضمت صيدلية أو مذخراً طبياً»[1].

فكل ما تناولناه يؤكد حقيقة أن الدراسة في المستنصرية كانت عبارة عن دراسة مؤسسية وكل شيء فيها مبني على احتياجات الواقع من التخصصات العلمية المختلفة وكذا للجامعة المستنصرية إذا أحسنا اطلاق هذا الاسم عليها نظاماً دقيقاً متبعاً في سياسة القبول والطاقة الاستيعابية للجامعة وفي مختلف التخصصات العلمية . كما أن كلية الطب الملحقة بالجامعة كانت عبارة عن مؤسسة تعليمية وعلاجية تصنع الأدوية وتصرفها للمحتاجين والمرضى وغيرهم .. ونظراً للضغط على الجامعة في هذا الاطار شعر الخليفة « بضرورة وجود بناية خاصة بالطب لهذه المدرسة وذلك لتسهيل مراجعة المرضى من جهة ، ومعالجة المرضى من غير المستنصرية من جهة ثانية ، لذلك قام بإنشاء بناية خاصة بها تقع تجاه المدرسة أي مقابل باب المدرسة الرئيسي وافتتحت سنة (٦٣٣) ، قال صاحب العسجد المسبوك (وفي ثاني جمادى الآخرة ، كملت عمارة أيوان الساعات الذي أمر الخليفة بإنشائه قبالة المدرسة المستنصرية . وعمل تحته ضفة فاخرة ، فجلس عليها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم ، وذكر ابن العبري أن طبيب المستنصرية كان يتردد على مرضاه في بكرة كل يوم يتفقدهم »[2].

نوعية الدارسين :

لا شك أن الطلاب الملتحقين بالمدارس يختلفون من مدرسة إلى أخرى .. فلكل مدرسة لها سياسة قبول خاصة بها . وبإمكان أي من الأشخاص أن يلتحق في أي مدرسة من المدارس المهم أن يكون لدى هذا الدارس أو ذاك رغبة في ذلك ولكن الأمر بالنسبة للمدرسة النظامية مختلف كثير « لقد تولى تدريس النظامية أكابر العلماء ممن كانت لهم اليد الطولى في تطور الحركة الفكرية العربية وانعاشها بما تركوا من مؤلفات نفيسة أصبحت من أمهات الكتب المعتمدة . وبما ألقوا من محاضرات معمقة وبما خرجّوا من طلبة نجباء كان للنظامية الفضل الأعظم على تكوينهم الفكري وعلو منزلتهم العلمية فمن هؤلاء المدرسين : أبو

(١) المصدر السابق – صـ ٥١٢ – ٥١٣
(٢) المصدر نفسه – صـ ٥١٣

اسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦) وأبو سعد المتوفي (ت٤٧٨)هـ والشريف القاسم الدبوسي العلوي (ت ٤٨٣)هـ والخطيب التبريزي (ت٥٠٢)هـ والهراسي (ت ٥٠٤) هـ والإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥)هـ وأبوبكر الشاش (ت ٥٠٧)هـ ومعين الدين الرازازي (ت ٥٣٨)هـ وموهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٣٩)هـ وأبو الوقت السَّجزي (٥٥٣)هـ وأبو النجيب الشهروردي (٥٦٣)هـ ويوسف بن بندار الدمشقي (ت٥٦٣)هـ وأبو البركات الأنباري النحوي (ت ٥٧٧)هـ وابن فضلان (ت ٥٩٥)هـ وغيرهم كثير زخرت بهم كتب التراجم »[1].

المستوى العلمي لهيئة التدريس :

اشتغل الكثير من العلماء في مهنة التدريس وكان كل عالم يستقل أحد الزوايا العامة في المساجد أو منازلهم للتدريس وتعليم الناس أصول الدين والعلوم الإنسانية المختلفة .. وعلى أيديهم ازدهر الجدل والأدب والعلوم وغيرها .

«ومن العلماء من كان يتخذ التدريس مهنته ، ومنهم من كان يعمل تطوعاً لتثقيف الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تعليمية أو « بتأليف الكتب ونشرها، وكانوا أغلب الأمر موضع تقدير العامة والخاصة ، وقد نصح أحد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها : واعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك نبذل الضياء وتحلو بنورها صور الأشياء وقيل لأحد الخلفاء هل بقيت لك بقية لم تنلها ؟ فقال : بقيت واحدة هي أعلى من جميع ما نلته ، وأفخم من كل ما باشرته ، بل لم تقرب منها فضلاً عن أن تساويها منحة أومرتبة هي أن أجلس مجالس العلماء أمل وأشرح وأفيد وكان أبوالأسود الذؤلي يقول : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك»[2].

وقد حرصت المدارس بمختلف تنوعاتها واتجاهاتها عن انتقاء أفضل الكفاءات العلمية علماً وأدباً ومكانة بين الناس ، والمدرسة المستنصرية أولت هذه العملية أهمية خاصة حيث «كان المستوى العلمي للشيوخ والمدرسين والمعيدين والطلبة في المدرسة المستنصرية أعلى من مستويات المدارس المعاصرة أو التي أنشئت قبلها ، تدل على الأمور الآتية :

---

(١) المصدر السابق – صـ ٥٠٧
(٢) تاريخ العلم – صـ ٤٤

١. كان المدرسون يتخيرون من بين كبار المدرسين في العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية ممن انتهت اليهم رئاسة العلم ، وقد اضطر القومة على هذه المدرسة في بعض الأحيان على استقدام المدرسين من خارج العراق ، فقد استدعى المستنصر الشيخ أحمد بن يوسف الحلبي لتدريس الحنفية بها سنة (٦٣٣) كما استقدم في السنة نفسها الشيخ سراج الدين عبدالله بن عبدالرحمن الشار مساحي من الاسكندرية لتدريس المالكية وصحب معه جماعة من الطلبة سجلوا في المدرسة وظل فيها إلى حين وفاته سنة (٦٦٩) .

٢. ان المعيدين كانوا ينقلون أحياناً إلى مدرسين في المدارس الأخرى مثل شافع الجيلي ، والمحب البغدادي ، ومجد الدين ابن الساعاتي وغيرهم . كما أن المدرسين في غيرها لا ينقلون إلا إلى الإعادة فيها .

٣. لا يقبل أي طالب للدراسة فيها ما لم يكن من النابهين الذين أصبحت لهم شهرة تؤهلهم للدراسة فيها .

٤. كانت نسبة عدد المدرسين المعيدين إلى عدد الطلاب نسبة ممتازة تضاهي الجامعات الراقية في العصر الحديث وكان في كل من مدرستي الطب والحديث

٥. توفير مستلزمات التعليم العالي والبحث العلمي الذي يتمثل في وجود مكتبة ضخمة تحوي آلاف المجلدات تساعد الأساتذة والطلبة على الدراسة والبحث والتأليف . كما أن معالجة شيخ الطب للمرضى يعد مجالاً تطبيقياً حيوياً لدراسة الطب ، فضلاً عن توفير المتطلبات المادية المجانية التي تجعل الأستاذ والطالب في مأمن من المشاكل التي تعترض سبيل دراستهم "[1].

وبتطور العملية التعليمية تطورت وسائل اختيار المدرسين .. وأصبح الخليفة أو صاحب المؤسسة المعنية يختار أفضل الكفاءات العلمية .. ولكن العملية في صدر الإسلام كانت مختلفة إلى حد كبير حيث "كان الوالد يقوم بتحفيظ ولده القرآن الكريم وتعليمه أمور دينه ولما انتشر الإسلام واستقر المسلمين تقرر أن يوجد من الناس من يتطوع لتعليم أبناء المسلمين .

١. لذا اتخذ المسلمين لأولادهم معلماً يختص بهم ويداويهم ويرعاهم . ويحمل عن آباء الصبيان تأديبهم ويبصرهم استقامة أحوالهم وما ينمي لهم من الخير .

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥١٥ – ٥١٦

إذاً لو انتظر المسلمون من يتطوع بمعالجة تعليم الصبيان في القرآن لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون الفائدة في السقوط في فقدان القرآن الكريم من الصدور والداعين إلى تثبت أطفال المسلمين على الجهالة .

أرسل المسلمون أولادهم إلى الكتاتيب واسندوا تعليمهم إلى المعلم حيث يحفظون القرآن الكريم . إن المعلمين في الكتاتيب لم يعدوا اعدادا مهنيا وانما من يجد في نفسه الكفاءة يقوم بمهمة التدريس من تلقاء نفسه لقاء الأجر والثواب .

والنوع الثاني من المعلمين هم المؤدبون ، وقد جرت العادة أن ينتدب الأغنياء والأمراء أصحاب الجاه معلمين خاصين لأبنائهم بدلاً من ارسالهم إلى الكتاب وعرف هؤلاء المؤدبين ، والمؤدب يقوم بمثل عمل معلم يرعى الصبيان ويعلمهم فأبو "داود بن سهل" كان مؤدب سيف الدولة الحمداني كان المؤدب يعلمهم بالإضافة إلى القرآن الكريم والعربية وعلوم أخرى. وقد جرت العادة أن يشترك المؤدب ووالد الطفل في تحديد المنهج الذي يراد تعليمه .

وهناك العلماء الذين امتهنوا مهنة التدريس" وقد أصبح التعليم في القرن الرابع الهجري صناعة وفناً اختصت به طائفة من العلماء والتي تمتعت بكثير من الإجلال والتقدير خاصة الناس وعامتهم [1].

والمدرسون أو المعلمون في العصر الإسلامي كان لهم ألقاب مختلفة من هذه الألقاب:

أ . المعلم : كان أقل الرتب العلمية وأعمها ولم يكن يدل على كثير من العلم والأدب أو المقدرة أو المقام الاجتماعي .

ب. المؤدب : كان معلماً خصوصياً يذهب إلى بيوت الخاصة لتأديب أبنائهم كما هو الحال اليوم في تدريس الخصوصي لقاء ثمن وتدفع له مبالغ طائلة ، وهناك صفات للمعلم في نظر الغزالي :

١. الشفقة على المتعلمين وأن يعاملهم معاملة طيبة .

٢. أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم فلا يطلب على افادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولاشكورا بل يعلم الطلاب لوجه الله وطلباً للتقرب إليه .

(١) انظر مجلة الإكليل – العددين (٢٠ ، ٢١) – ١٩٩٠م – صـ ٤٣ – ٤٤

٣. ألا يدع من يضع المتعلم شيئاً .

٤. أن يواجه المتعلم عن سوء الخلق بطريقة التعريف لا التصريح وبطريقة الرحمة لا بطريقة التوبيخ .

٥. أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه اقتداءً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم " نحن معشر الأنبياء أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم" .

٦. ألا يلقي على المتعلم القاصر إلا الجلي اللائق به .

٧. أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذبه في قوله أو فعله حيث أن مثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل الظل من العود فكيف يستوي الظل والعود أعوج "(١).

مراحل التعليم :

في هذه المرحلة المبكرة من التعليم بدأ التخصص التعليمي . « ويمكن أن يقال بصفة عامة إن مراحل التعليم المختلفة قد عرفت في هذه العصور . فثمة مرحلة تقابل الابتدائية يتعلم فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتابة والدين والرياضة ، ثم مرحلة تقابل الدراسة الثانوية وثالثة تقابل الدراسة العالية ، ورابعة تقابل الدراسات العليا والبحوث .

صحيح أنه لم تكن هناك حدود فاصلة بين هذه وتلك ولكن من المؤكد أن ثمة مراحل متميزة المناهج ، حتى ما نسميه بالنظام الداخلي قد عرف بشكل واضح، وقد أطنب في وصفه الرحالة والمؤرخون»(٢).

نستطيع أن نقطع بالقول بأن هذه المرحلة كانت من أهم المراحل التي ازدهرت فيها العلوم . ووجد فيها العلماء العظام . وانتشرت فيها المدارس والمعاهد العلمية، ومجالس العلم والثقافة في قصور الخلفاء ومنازل الأمراء ، وفي المساجد والمدارس ، وفي المكتبات ، وازدهرت أيضاً حركة النقل والتأليف والترجمة ، وقدمت المنح والمرتبات لدور العلم وأهل العلم انها مرحلة التأسيس والانطلاقة الكبرى عصر ازدهار وتطور وتقدم وبناء .

(١) المصدر نفسه – صـ ٤٤
(٢) تاريخ العلم – صـ ٤٩

وتعتبر جماعة أخوان الصفاء من أهم وأبرز الجماعات التي وجدت حينها وانتشرت واشتهرت بصورة واسعة وهي « أقدم جمعية علمية عربية بالمعنى المعروف . وقد نشأت في البصرة في القرن الرابع الهجري وكان لها فرع في بغداد تبادل أعضاؤها الرسائل العلمية التي عرفت باسم رسائل أخوان الصفاء، وقد اشتهر أعضاؤها بالآراء العلمية الحرة ، واتخذوا لأنفسهم مذهباً ، زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله . وقالوا أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية الإسلامية فقد حصل الكمال ويقول المستشرق «دي بور» لقد أفلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق وذلك عن طريق أخوان الصفاء »[1].

ويعد المقدسي ، والزنجاني ، والمهرجاني ، والعوني ، وابن رفاعه .. من أبرز مؤسسي وقادات هذه الجماعة التي سطع نجمها وبرز بريقها « وقد دعوا إلى تثقيف العقول والنفوس ، ونشر العلم والعرفان بمذهب يجمع بين الفلسفة والدين . وقد قسموا جماعتهم إلى أربع مراتب .

الاولى : من الشباب حتى الخامسة عشرة وهي مرتبة ذوي الصنائع .

الثانية : ممن أتموا الثلاثين وتسمى مرتبة الرؤساء .

الثالثة : ممن أتموا الأربعين وتسمى مرتبة الملوك .

الرابعة : وهي المرتبة العليا من الذين أتموا الخمسين ولم يحل اضطراب الأمور السياسية في عهدهم دون تقدم الفكر العلمي الإسلامي »[2].

تمويل التعليم :

التعليم في المراحل الإسلامية كان حقاً عاماً عبرت عنه مختلف الجهات والمؤسسات الرسمية والشعبية ، ورصدت له الأوقاف والأموال الثابتة والمحمولة. ويعتبر الوقف بما مثله من قوة رافدة للعلم شكل من أشكال النظام الإسلامي الأساسي الذي تقوم عليه المؤسسات التعليمية والضمان الأكيد لاستمرار هذه المؤسسات في تأدية رسالتها العلمية وفي اليمن وإلى ما قبل الثورة كانت هناك مدن العلم المعروفة والتي يردها طلاب العلم من كل أرجاء اليمن ، وربما من خارجه .. وكان هؤلاء يقومون ويعيشون على حساب دخل هذه المؤسسات من الوقف .

---

(١) المصدر نفسه – صد ٤٩

(٢) المصدر السابق – صد ٥٠

وفي المدرسة المستنصرية في بغداد كانت هناك أوقافاً متعددة .. فقد « أوقف المستنصر على مدرسته وقفاً جليلاً حصل المؤرخ ابن الساعي أمين مكتبتها على نسخة منه فدونه في خمسة كراريس وقد اطلع عليه المؤرخ شمس الدين الذهبي، ونقل مختصره في كتابه (تاريخ الإسلام) وقال : « ثم رأيت نسخة كتاب وقفها في خمسة كراريس ، والوقف عليها عدة رباع وحوانيت ببغداد ، وعدة قرى كبار وصغار ما قيمته تسع مئة ألف دينار فيما يحال إليَ ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلا سوى أوقاف جامع دمشق وقد يكون وقفها أوسع» وقال بعد أن سرد أوقافها : « فالمرتزقة من أوقاف هذه المدرسة على ما بلغني نحو خمس مئة نفر ، المدرسون فمن دونهم »[١].

فالتعليم إذاً حفل كما أسلفنا باهتمام الحكام والعلماء على حد سواء . بل أصبح جزءاً من التزامات الدولة الإسلامية الأدبية والأخلاقية ، وتواصلت اهتمامات المؤسسات الحكومية في هذا الاطار « وفي بعض الحالات كانت تدفع نفقات التعليم من خزانة الدولة ، وقد روي عن أحد الحكام أنه كان يقسم الخراج ثلاثاً ويجعل الثلث للتعليم»[٢].

إذاً كانت الدولة الإسلامية على مستوى عالي من الوعي والإدراك بأهمية التعليم ، ولهذا كانت تخصص له من ميزانيتها (الخراج) الثلث وهذه ميزانية كبيرة إذا ما قورن بما تخصصه الدول اليوم للتعليم .

واعتمدت المدارس الإسلامية على الوقف الذي مثل المصدر الأساسي لبقاء هذه المدارس في تأدية رسالتها العلمية .. وهو الأسلوب الذي ظل سائداً ومتوارثاً في عموم أرجاء الدولة الإسلامية ، ولا يزال الوقف يشكل أحد أبرز مصادر بقاء العديد من المؤسسات القائمة ، ولاتزال الطريقة الأمثل السائدة في الريف والحضر .. وفي بلادنا تمتلك الأوقاف جزءا كبيرا من الأراضي والمؤسسات والمنازل.. وفي بغداد قديماً « أوقف نظام الملك على مدرسته كتباً وضياعاً وأملاكاً وسوقاً بنيت على بابها ، وجعل ادارتها بيده وفي أيدي أبنائه من بعده وقرر أن يكون فيها مدرساً ، وواعظاً ومدير مكتبة ، ومقرئ للقرآن الكريم ، ونحوي يدرس العربية ، ولكل من هؤلاء قسط من الوقف وجعل للطلبة مخصصات يعيشون عليها »[٣].

(١) العراق في التاريخ – صـ ٥١٤ – ٥١٤
(٢) تاريخ العلم – صـ ٤٩
(٣) العراق في التاريخ – صـ ٥٠٦

الفصل الرابع

الفصل الرابع
المدارس الإسلامية في اليمن

مرت اليمن بمراحل تاريخية معقدة حددت ملامح المشهد الثقافي والفكري فيها .. وهي تختلف من مرحلة إلى أخرى وربما أن المشهد الثقافي والفكري تأثر إلى حد كبير بالمشهد الثقافي والفكري العربي الذي ازدهر في ظل الدولتين الأموية والعباسية وانحسر في ظل الصراعات السياسية والقبلية التي سادت في بعض المراحل وتطورت في مراحل أخرى .

وفي ظل تطور هذا المناخ العلمي العربي وازدهار الحركة الثقافية العربية اصطبغت الحركة الثقافية بالعلمية ونبغ الكثير من الأدباء والعلماء والمؤرخين وفي هذا الإطار سارت الحركة التعليمية ، وأنشئت المدارس العلمية وتطور التعليم وتحدد في ضوئها المناهج العلمية وطرق التدريس ووسائلها .

وقبل الحديث عن المدارس في اليمن .. ينبغي أولاً البحث في كلمة المدرسة وماذا تعني؟ .. فالمدرسة « من الألفاظ المؤكدة المشتقة عند العرب قد ورد في قولهم «هذه مدرسة النعم» أي طريق النعم فهو يأتي بمعنى قرأ كما ورد في القرآن الكريم « ودرسوا ما فيه » واشتقت من كلمة دَرَسَ.

والمدرسة هي مؤسسة اجتماعية وبواسطتها ينتقل التراث الثقافي والحضاري ويمكنها المحافظة عليه ، وهي المكان الذي يدرس فيه عدد من التلاميذ على أيدي معلمين متخصصين في التدريس وفي التاريخ الإسلامي .. يقصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم وتدر عليهم فيها الأرزاق ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء يوضع عليهم في الرزق ويختارون بحسب شروط المواقف ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا إليه ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الإلهية والبشرية »[1].

---

(١) مجلة الإكليل – وزارة الإعلام والثقافة – العددان الأول والثاني (٢٠، ٢١) السنة الثامنة – ١٩٩٠م – صـ ٤٠

والتعليم بالمفهوم الرسمي ظهر في اليمن مبكراً شأنها شأن بقية الأقطار الإسلامية . فالإسلام حمل إلى البشرية أول أمر إلهي : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » فالأمر إقرأ هو الأمر الإلهي الأول الذي يأمر الناس بالقراءة ، وقد اقترن هذا الأمر الرباني بالقلم الذي يعد الأداة والوسيلة الأولى للتعليم في الإسلام «إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ».

وهذه الآية حملت معها فلسفة التعليم الأولى .. ومن هذا المنطلق أصبح التعليم من أولويات الدين الجديد ، لهذا نشطت حركة التعليم ، والترجمة والتواصل بين الثقافات .. فأصبح عامل الرسول وموفده إلى الأقطار الأخرى يعلم الناس كتاب الله ، وظهرت هنا البذور الأولى للمدارس فأصبحت المساجد مدارس رسميةٍ لتعليم المسلمين أسس كتاب الله . ثم في وقت لاحق أصبحت هذه المدارس أيضاً تعلم السنة النبوية ، ثم الفقه وهكذا ولدت علوم جديدة أصبح لها خصوصياتها العلمية ، والفلسفية والأدبية والعلمية ، ولكن « لم يكنٍ لليمن نصيب يذكر من المدارس الإسلامية بمفهومها المتعارف عليه اصطلاحياً إلا منذ الربع الأخير من المئة الهجرية السادسة / المئة الثانية عشرة للميلاد ، وذلك حينما امتد نفوذ الدولة الأيوبية إلى اليمن سنة (٥٦٩- ٦٢٦هـ ، ١١٧٤-١٢٢٩م) فحمل سلاطينها وأمراؤها وملوكها معهم إلى اليمن فيما حملوا من مظاهر الحضارة الإسلامية التي اقتبسوا كثيراً منها من الدولة السلجوقية -فكرة تأسيس المدارس التعليمية، والتي قصد من إنشائها بادئ ذي بدء تدريس مذهب أهل السنة للتصدي للمذهب الإسماعيلي الذي كان قد انتشر في المغرب العربي بعد قيام الدولة الفاطمية العبيدية التي امتد نفوذها إلى مصر ثم إلى الشام فاليمن والذي كانت تسعى لنشره بالترغيب والترهيب في الأقطار التي تمكنت من السيطرة عليها لتضمن لنفسها ولاء الشعوب التي تحكمها ولكنه لم يتحقق ظهور المدارسِ في اليمن إلا في عهد الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب المتوفي قتيلاً في باب زبيد سنة (٥٩٨هـ /١٢٠٢م) فقد بنى مدرستين احداهما في تعز وأسماها (المدرسة السيفية) نسبة إلى لقب والده سيف الإسلام طغتكين بن أيوب المتوفي في منصورة خنوة في اليمن سنة (٥٩٣هـ /١١٩٧م) وكانت في الأصل داراً لسيف الدين الأتابك سنقر ثم اشتراها منه المعز وحولها إلى مدرسة، ونقل إليها رفات والده من المنصورة ووقف أموال وادي الضباب ، والأخرى في زبيد وقد بناها سنة (٥٩٤هـ /١١٩٨م) وسماها (مدرسة المعز) نسبة إليه ، ويقال لها (المدرسة المعزية) وهي التي عرفت فيما بعد (بمدرسة الميلين) ، فكان المعز أول من بنى المدرسة في اليمن »[1].

---

(١) الموسوعة اليمنية - الجزء الثاني - صد ٨٤٦- ٨٤٧

ثم أخذت المدرسة منذ ذلك التاريخ في الظهور والانتشار على التوالي ولا سيما في عصر الدولة الرسولية .كانت هذه الفترة هي فترة ظهور المدارس التعليمية التي ظهرت في اليمن وأصبحت في عهد الدولة الرسولية أحد الالتزامات الأساسية للدولة .

ولا يستطيع أحد أن يحدد بالضبط أول ظهور للمدارس في اليمن نظراً لتضارب الآراء في هذا الإطار .. ولعدم وجود رصد دقيق لهذه العملية « ولعل أول إشارة عن ظهور مصطلح المدرسة في اليمن ، تلك الإشارة التي أوردها الجندي في كتابه (السلوك) عند ترجمته لزيد بن عبدالله بن جعفر اليفاعي المتوفي سنة ٥١٤هـ /١١٢٠م) في مدينة الجند حيث : « كانت مدرسة الفقهية عن يمين المنبر ، وربما إتكأ وقت التدريس علي المنبر وكان أصحابه فوق ثلاث مئة متفقة في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة ... وهذا يخالف ما ورد في كتاب المدارس الإسلامية في اليمن للقاضي اسماعيل الأكوع الذي جاء في مقدمته : «يعود تاريخ ظهور المدارس في اليمن إلى أواخر حكم الدولة الأيوبية لليمن ، وذلك حينما شرع الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ببناء أول مدرسة له بزبيد سنة (٥٩٤هـ /١١٩٨م) وسماها المدرسة المعزية» ويؤكد ما ذهبنا إليه أيضاً بأن المدارس ظهرت في اليمن في وقت أبكر من سنة (٥٩٤هـ /١١٩٨م) ما جاء في كتاب المدارس الإسلامية في اليمن نفسه ، حيث جاء في موضوع آخر « «إن مدرسة بن أبي النهى قد أنشئت في القرن الخامس الهجري، وإن مدرسة ابن أبي الأمان قد أنشئت سنة (٥٥٨هـ / ١١٦٣م) . ويضاف إلى هذا ما أشار إليه المغفور له عمارة في -مفيده - عند الكلام عن (مَنَّ الله الفاتكي) حيث قال : « هو الذي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم» ، ومعروف أن (من الله) هذا قد عاش في القرن الخامس وبداية السادس الهجريين ، بل إن أفضل من هذا ما أورده (أحمد محمد الشامي) في كتابه (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) عن ابن سَمُرة في معرض كلامه عن (أحاظة) في عهد بني وائل -القرن الخامس - عند الكلام عن السلطان (أسعد بن وائل بن عيسى) إذ قال : « وكانت مدرسة هذا الإمام في الجعامي -وهي قرية من أحاظة - مدة حياته ومات بها وعنه أخذ أولاده تلك كانت إحاظة في القرن الخامس والسادس الهجريين مدينة عامرة بالحدائق والبساتين والمساجد والمدارس والأدباء والعلماء»[1].

---

(١) المصدر السابق - الجزء الأول - صـ ٢٦٤

ومثلت الكثير من المدن اليمنية مراكز علمية حيث كان يأتي إليها طلاب العلم من مختلف الأصقاع . واليمن في هذه المرحلة كانت منطقة صراع ونفوذ لبعض المذاهب والتيارات الفكرية .. « وهذا تأكيد قاطع بأن المدارس في اليمن كانت قد وجدت في القرن الخامس الهجري ، واذا كانت قد وجدت في أحاظة « وهي مدينة صغيرة إذا ما قيست بغيرها من المدن اليمنية العامرة الواسعة آنذاك (كونها تقع في أعلى جبل حبيش شمال غرب إب) فكيف بالمدن الأخرى مثل صنعاء وزبيد وصعدة وتريم وعدن وذمار وجبلة وإب والمكلا وسيئون ، وغيرها من المدن اليمنية التي كانت مراكز علم مثل كوكبان والطويلة وشهارة ..

والعلم آنذاك لم يكن منتشراً في المدن اليمنية فحسب ، وانما كان موجوداً في القرى أيضاً ، نظراً لوجود ما يسمى بالهجرة ووجود العلماء وأصحاب النظريات والعقائد المتباينة والأفكار المتعارضة ، كالمطرفية التي خرجت عن عقائد الزيدية وباينتها وجاهرت بمعارضتها -ومن أشهر القرى التي كانت مراكز اشعاع ومنابع اجتهاد قرى بيت حنبص ، وبيت بوس ، ووقش ، وحدة وسفاع . وقد استمرت مراكز علم وأدب وفقه حتى ارتفعت في وجهها سيوف ومعارك الإمام عبدالله بن حمزة كما ذكر الشامي ، وكان هذا في أيام – مطرِّف الشهابي -الذي ولد ونشأ في القرن الرابع الهجري ، وخرج على ما درج عليه أئمة الزيدية»[1].

وتؤكد بعض المعطيات والمؤشرات بأن المدارس في اليمن ظهرت قبل هذا بكثير.. خاصة إذا ما عدنا إلى ظروف تلك المرحلة ، حيث كانت اليمن حينذاك «محط أنظار العلماء والمفكرين وملتقى المجتهدين والمستجيرين» وساحة تجاذب وتصارع الآراء المختلفة : العقائدية والمذهبية الدينية والسياسية والفلسفية . ولا يستبعد أن تكون تلك الفرق والطوائف المجتهدة قد أنشأت لها مدارس لتدريس عقائدها ونشر أفكارها واذا كنالم نعثر على مدونات عنها تعضد هذا الرأي . فإن القرائن وشواهد التاريخ بعامة تؤكد ذلك »[2].

ازدهرت الحركة الثقافية في بعض الفترات التاريخية وبلغت أوجها في العهد الرسولي . جاء القرن الثامن الهجري والدولة الرسولية كانت لا تزال نابضة بالحياة ولا تزال تمثل عنفوان الثقافة العربية الإسلامية « وكانت المدارس في هذا القرن أجنحة أو أقساماً متدرجة -غالباً -ضمن الجوامع وكانت لها أوقاف تنفق دخولها على الصرف على الأيتام من الطلبة الذين لهم داخليات . وكان للصوفية أربطة خاصة كرباط الصوفية في زبيد وفي عدن وفي تعز وفي

(١) المصدر السابق – صـ ٢٦٤

(٢) المصدر نفسه – صـ ٢٦٤

حضرموت وكانت الإجازة تعطى للطالب الذي بلغ درجة ممتازة في المعارف . وكانت الدروس التي تلقى موزعة على فنون مختلفة ، وكان المدرسون مختص كل واحد منهم بالفن أو العلم الذي يتولى فيه نقل المعلومات إلى أذهان طلابه فهناك مدارس للقرآن بالقراءات السبع ومحدث يشرح ويفسر الأحاديث النبوية ومدارس في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ومدرس في الفرائض -علم المواريث -كما تدرس علوم العربية من نحو وصرف وبيان وبديع وبلاغة، كذلك يدرس علم الفلك والحساب والهندسة»[1].

ولا يمكن أيضاً الحديث عن المدارس في اليمن بمعزل علن العملية التعليمية.. فالتعليم في اليمن مورس عن طريق العديد من المؤسسات الثقافية التي ازدهرت وأصبح لها في مراحل مختلفة مؤسسات قائمة بحد ذاتها . ولا بد أيضاً من التمييز هنا بين ظهور المدارس بشكلها الحالي وبين ظهور التعليم .. وهناك فرق كبير بين الإثنين .

فالتعليم قديم قدم البشرية وظهر كحاجة بشرية وضرورة اجتماعية ولا توجد أي معلومات حول عملية التعليم التي كانت تجرى في القدم حتى عندما وجدت مؤسسات الدولة النظامية ، وبلغت ما بلغت به من القوة والتطور في أكثر المجالات الحياتية ، والمدارس التي نحن بصدد الحديث عنها هي تلك الحركة الثقافية والعلمية التي وجدت في العصر الإسلامي الأول وارتبطت بالمؤسسات الرسمية ، وأصبحت في ظل المأمون والرشيد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم تكتسب أولوية خاصة ، ولهذا تميزت المدارس في العصر الإسلامي بوجود مباني خاصة بها . والمدارس الإسلامية في اليمن عبرت عن جوهر ازدهار الحركة الثقافية والفكرية ، وعن حالة التنافس الذي وجد بين المؤسسات المتخصصة الأخرى «منذ بداية العصر الإسلامي وحتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان الأطفال من سن ست إلى عشر سنوات في اليمن يتعلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم في غرف صغيرة مربعة التخطيط أو مستطيلة تلحق بالمساجد ، وكانت تعرف بالمعاملات (مفردها معلامة وتسمى الكتّاب) أما طلبة العلم الذي تجاوزوا العاشرة من العمر فكانوا يدرسون العلوم الدينية المختلفة في حلقات الدرس التي كانت تعقد يومياً بداخل المساجد خصوصاً الجامعة منها أو في منازل بعض الفقهاء الذين كانوا يفضلون القيام بالتدريس في منازلهم »[2].

(١) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور – صـ ٢٢٣ – ٢٢٤

(٢) مجلة الإكليل – العدد (٢٧) وزارة الثقافة – صنعاء – صـ ٦٧

ويعني هذا أن المعلامة شكلت الأساس المعرفي في اليمن . فقد كانت المعلامة تقوم بعملية تشكيل وعي الطالب في الخمس السنوات الأولى من عمره وتكسبه معارف أساسية تمكنه بعدها من البحث عن المعرفة في المؤسسات التعليمية المتقدمة في مدارس أخرى ، وعلى يد فقهاء وعلماء مشهورين ، والطالب هنا وبالتحديد بعد أن يدرس بعض العلوم والمعارف يستطيع أن يحدد الجماعة ، والمدرسة أو الحلقة التي ينبغي أن يلتحق بها « وتؤكد المصادر التاريخية بأن ظهور المدارس في اليمن تزامن مع ظهورها في بقية مناطق العالم الإسلامي، وتشير نفس المصادر بأن أولى مدراس العلوم الإسلامية ظهرت في اليمن ، كمنشأت تعليمية مستقلة عن المساجد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي »[1].

وقد أورد المؤرخ عمارة اليمني (ت . سنة ٥٦٩هـ - ١١٧٣م) في كتابه تاريخ اليمن المسمى «المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد» بما مفاده بأن السناجاح جياش بن نجاح قال وهو يتحدث عن خروجه إلى المهجم لقتل الملك علي محمد الصليحي سنة (٤٧٣هـ / ١٠٨٠م) وكانت الأخبار قد سبقتنا للصليحي بخروجنا والأسماع يومئذ قد امتلأت في الجبال والتهائم أن هذا وقت ظهور سعيد الأحول بن نجاح حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق والطرقات تخلومن الخوض في ذكر ذلك »[2].

وهذا النص التاريخي يؤكد وجود عدد من المدارس في اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

والتعليم السلفي هو المسجد . وهناك علاقة تاريخية بين المسجد والمجتمع الإسلامي في اليمن ككل . فمنذ أن وصل العمال الثلاثة للدولة الإسلامية الجديدة إلى اليمن ، وتمركز الأول في صنعاء (وسط غرب اليمن) والثاني في الجند (جنوب غرب اليمن) والثالث في حضرموت (شرق اليمن) أخذوا في تأسيس المساجد كمراكز تربوية تعليمية دينية . تقام فيه الصلوات ويتلقى فيها الناس تعاليم الإسلام . وكان على رأس هؤلاء العمال (وهم يمنيون في معظمهم معاذ بن جبلٍ الأنصاري الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمن متنقلا في المناطق اليمنية داعياً وشارحاً لتعاليم العقيدة الجديدة) .

---

(١) المصدر السابق – صـ ٦٧
(٢) المصدر نفسه – صـ ٦٨

وهكذا تعددت وظائف المسجد من وظيفة تعبدية حيث يصلي فيه المسلمون ويقرأون القرآن . ووظيفة وعظ وإرشاد حيث تعقد فيه الدروس التوجيهية العامة والتي يستمع إليها جمهور الناس إلى وظيفة تعليمية حيث نشأت حلقات التعليم للصغار وحلقات الدرس للكبار »[1].

ولعب المسجد دوراً تربوياً مهماً كمؤسسة تعليمية . . بل إن المسألة التعليمية أصبحت جزءاً مهماً وأساسياً من وظائف المسجد . ففي المسجد « نشأت الكتاتيب لتعليم الصغار والزوايا لتفقيه الكبار بعلم الشريعة الإسلامية واللغة العربية وقد عمرت المساجد بكبار العلماء اليمنيين المتخصصين في الفقه والنحو وغيرهما من فروع الشريعة واللغة بل في الفلك والرياضيات والتاريخ كما عمرت بأمهات الكتب والمخطوطات المرجعية . هذا وقد مر هذا النشاط الفكري والتربوي الذي يتولاه المسجد بمراحل مختلفة من قوة وضعف ، ومن ازدهار وجمود . ومن ثورة على الظلم والاستبداد الاجتماعي والسياسي »[2].

المدارس النظامية في اليمن :

ظهر هذا النوع من التعليم لاحقاً . بعد قيام الدولة الإسلامية والتي فتحت آفاقاً واسعة أمام الحركة الثقافية والفكرية والعلمية « والمدرسة النظامية أنشئت كضرورة فردية ، واستجابة اجتماعية ، فالفرد يحتاج إلى التربية لأسباب جوهرية ثلاثة هي : أن العلم لا ينتقل من جيل إلى جيل بالوراثة ، الطفل مخلوق كثير الاتصال قابل للتكيف ، ولأن البيئة البشرية كثيرة التعقيد والتبديل والمجتمع أيضاً يحتاج إلى التربية لأنها تساعده في سد حاجتين من حاجاته الأساسية ، هما الاحتفاظ بالتراث الثقافي لنقله من جيل إلى جيل وتعزيز التراث الثقافي وتجديده »[3].

والمدرسة مؤسسة تعليمية وثقافية مهمة ، ولها وظائف اجتماعية وتربوية غاية في الأهمية ، وهي « تعلم المعرفة ولا تعلم التفكير أو بمعنى آخر المدرسة تقوم بالتكوين المعرفي دون تنمية مهارات التفكير الناقد أولا ثم تنمية التفكير التوليدي (التفكير التوليدي الذي يفتعل الأحداث ويصطنع المشكلات ثم يبادر إلى معالجتها والتفكير في ايجاد حلول ملائمة لها) وهذا النوع من التفكير يعتبر عملياً ، ويمكن تطبيقه في الواقع وهو تفكير مبدع خلاق ، ويمكن المفكرين من

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ح١ – صـ ٤٨
(٢) المصدر نفسه – صـ ٤٩
(٣). قضايا العصر – السنة الثانية عشرة – يونيو ١٩٩٢م – صـ ٢١

التعامل مع الواقع الذي يحيط به حتى لو كانت المعرفة أو المعلومات المتوفرة عن المسألة التي يجرى التفكير فيها ناقصة ، ولا تعطي صورة دقيقة عنها »[1].

ومدارس العلوم الإسلامية في اليمن تعد خطوة متقدمة عرفتها اليمن ، وهي تعبير عن ازدهار الحركة الثقافية وعن المناخات السياسية التي كانت قائمة على تشجيع العلم ، وحرية المذاهب الفقهية القائمة وقتها .. وكذا حرية البحث والانفتاح على الآخر .. وتعني أيضاً أن المدارس التربوية الإبتدائية قد تمكنت من تلقين الطلاب وإكسابهم المعارف الأساسية لهذه النهضة التي عمت ربوع اليمن . ويمكن تقسيم مدارس العلوم الإسلامية في اليمن تاريخياً إلى ثلاث مجموعات .

أ. مدارس بنيت في العصرين النجاحي والصليحي (٥ -٦ هـ ، ١١ -١٢م) ظهر هذا النوع من المدارس على ما يبدو في منتصف القرن الخامس الهجري، وقد بنيت تلك المدارس ، بهدف نشر المذاهب السنية ومحاربة المذاهب الشيعية، وهو نفس الغرض الذي من أجله أنشئت المدارس في بقية أقطار الدولة الإسلامية في العصرين السلجوقي والأيوبي . لا سيما وأن المذهب الزيدي ، أحد المذاهب الشيعية ، كان الخطر الأكبر الذي يهدد السنيين من بني نجاح حكام تهامة ، انتشرت هذه المدارس في منطقة تهامة ، وخصصت بعضها لتدريس المذهب الشافعي والأخرى لتدريس المذهب الحنفي منها .

مدرسة ابن الأبَّار :

أنشأها في مدينة زبيد الفقيه أبو عبدالله محمد بن القاسم الأبار ، وخصها لتدريس المذهب الشافعي في زبيد ، بل في اليمن على حد قول المؤرخ عمارة اليمني الذي درس الفقه الشافعي على يد هذا الفقيه . ويبدو أن هذه المدرسة كانت في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من أهم مدارس العلم في مدينة زبيد ، ويتضح ذلك من الإقبال الشديد على طلب العلم فيها وكثرة عدد الدارسين فيها . حيث يذكر المؤرخ عمارة بأن الشاعر الغرنوق دخل مدرسة ابن الأبار (قبل سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م) وقد تضايقت المجالس لكثرة طلبة العلم . تعتبر هذه المدرسة أقدم المدارس المذهبية التي أنشئت في اليمن « لم يرد ذكر هذه المدرسة في كتاب « المدارس الإسلامية في اليمن »

(١) المصدر نفسه – صـ ٢١

مدرسة اليفاعي :

تقع قرية يفاعة بالقرب من مدينة الجند الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة تعز يذكر الشرجي بأن مؤسسها الإمام زيد بن عبدالله بن جعفر ابن ابراهيم اليفاعي ، كان إماماً كبيراً عالماً ورعاً زاهداً ، تعلم الفقه في الجند وارتحل إلى مكة المكرمة ودرس على يد جماعة من أهلها ثم رجع إلى الجند ونشر العلم هنالك ، وذاع صيته وانتفع به الناس وارتحلوا إليه من مناطق عديدة درّس في مدرسته في الجند ، ودرّس قبل وفاته في منزله ، توفي الإمام زيد سنة (٥١٢هـ)

مدرسة ابن ابي النهى :

كانت في الشوافي في محافظة إب ـ باني هذه المدرسة هو الشيخ حسن بن عيسى بن عمران بن أبي النهى ، وليس الحسين بن علي بن عمر بن أبي النهى ، كما ورد في كتاب المدارس للوالد القاضي اسماعيل الأكوع .

تولى التدريس في هذه المدرسة الفقيه محمد بن ابراهيم بن الحسن ، كان مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، استقر في الشوافي وتفقه به عدد من الفقهاء أوقف مجموعة من الكتب منها كتاب البيان ، توفي في آخر المائة السادسة للهجرة / نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، ودرس بها أيوب بن سلمان بن فتح. مولده الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

مدرسة ابن أبي الأمان :

أنشأها في مدينة جبلة الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم بن أبي الأمان سنة (٥٥٨هـ /١١٦٣م) »[1].

(١) انظر الإكليل – صـ ٦٨ – ٦٩

الفصل الخامس

الفصل الخامس

مدارس العصر الأيوبي

في اليمن (النصف الثاني من القرن (6هـ / 12م)

« يذكر بعض المؤرخين كالخزرجي وابن الديبع ، وغيرهم نقلاً عن المؤرخ الجندي بأن المدارس ظهرت في اليمن في العصر الأيوبي على يد الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وقد اعتمد على هذه الأقوال كل من كتب أو تطرق لهذا الموضوع مؤكدين أن المدارس اليمنية ازدهرت في الفترة المذكورة ... وقد اعتمد هؤلاء الكتاب على ما ذكره الجندي ، انشغل الملوك الأيوبيون ونوابهم خلال فترة حكمهم التي استمرت قرابة السنة والخمسين عاماً (٥٦٩ -٦٢٦هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٩م»[١] بالمقاومة المستعرة في كل مكان.

ويعود هذا النشاط التربوي في ظل الدولة الايوبية إلى طبيعة المقاومة الشعبية العنيفة التي قوبل بها الأيوبيون .. فقد كانت المقاومة للوجود الأيوبي واسعة ومؤثرة .

فعلى مدار ستة وخمسين عاماً من الوجود الأيوبي تقريباً والمعارك والحروب التي تستهدفهم كانت مستمرة ومشتعلة على الدوام وفي مختلف المناطق اليمنية .. ولما أصبح القضاء على هذه الحروب والانتفاضات الشعبية أمراً صعباً ، وفشلت كل محاولتهم للسيطرة عليها أو اخضاع هذه المناطق لسيطرتهم .

«وإن تمكن بعض الملوك من وقف نشاط تلك القوى لفترة قصيرة شهدت فيها اليمن نوعاً من الهدوء السياسي ، في فترة حكم كل من توران شاه (٥٦٩ -٥٧٣هـ/ ١١٧٣ -١١٧٧م) ثم في أيام طغتكين ابن أيوب (٥٧٩-٥٩٣هـ / ١١٨٣ -١١٩٦م) وأخيراً في أيام الملك المسعود (٦١٢-٦٢٥هـ / ١٢١٥ -١٢٢٧م) آخر ملوك الدولة الأيوبية في اليمن »[٢].

وعلى الرغم من اسهام الأيوبيين المتواضع في تأسيس وتطوير العملية التعليمية إلا أن عدم الاستقرار الأمني لم يساعدهم على احداث حركة ازدهار

(١) المصدر نفسه – صـ ٦٩

(٢) المصدر نفسه – صـ ٦٩

وتطور اجتماعي واقتصادي وثقافي وعمراني ، وهذه مسألة طبيعية فالاستقرار السياسي والأمني يخلق مناخات جيدة للعمل والبناء والتطور ، ولهذا لم يستطع الأيوبيون المشاركة في النهضة العمرانية التي صنعها غيرهم في الفترة التي سبقت أو لحقت الوجود الأيوبي .

وتؤكد المصادر التاريخية « بأنه لم يكن للدولة الأيوبية وملوكها ونوابهم على اليمن دور فعال أو نشاط يذكر في بناء مدارس العلوم الإسلامية ونشرها في اليمن . فالملك المعز اسماعيل الذي اعتقد الجندي والخزرجي ومن نقل عنهما بأنه أول من أحدث المدارس ونشرها في اليمن ، لم يبن سوى مدرسة واحدة فقط هي المدرسة المعزية (مدرسةٍ المسيلين) في مدينة زبيدَ ، أما المدرسة السيفية في تعز فكانت في الأصل منزلاً اشتِراه وحوله إلى مدرسة وضريح أعاد دفن جثة والده الملك طغتكين فيه ، وفضلا عن ذلك لم يبن أي من ملوك بني أيوب الذين حكموا اليمن ونوابهم مدارس في اليمن باستثناء المدرسة المذكورة التي بناها الملك المعز في مدينة زبيد »[1].

ويعتقد المهتمون أن الأسباب التي دفعت المؤرخ الجندي ، ومن نقل عنه من المؤرخين إلى الإعتقاد بأن الملك المعز هو أول من بنى ونشر المدارس في اليمن ويرجع ذلك إلى التحولات الجديدة التي ظهرت في فترة حكمه ، والمتمثلة في تدخل السلطة السياسية المباشر وغير المباشر في التعليم في المدارس وإدارة شئونها وفي تعيين أو عزل المدرسين والطلبة والعاملين فيها والتصرف في الأموال الموقوفة عليها .. وخلاصة القول بأن عدد المدارس التي أنشئت في اليمن في فترة حكم الأيوبيين بلغت خمسة عشر مدرسة هي:-

المدرسة الأشرفية بمغربة تعز والمدرسة الياقوتية في ذي السفال التي أمر ببنائها ياقوت الجمالي والي حصن تعز في عهد الملك طغتكين بن أيوب والمدرسة المجيرية التي بناها في تعز مجيد الدين كافور أحد خدام طغتكين بن أيوب ، والمدرسة السيفية التي بناها محمد بن أحمد السيفي المرادي في قرية السآتي في يريم ، وثلاث مدارس ابتناها الفقيه على بن محمد بن غليس (ت ٦ -٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) في عزلة بني شعيب في مديرية وصاب العالي في سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٦م) ومدرسة الميلين أو المعزية التي بناها الملك المعز اسماعيل بن طغتكين في مدينة زبيد ، ومدرستان أنشأهمها فاتن المعزي أحد موالي الملك المعز في مدينة جبلة وقرية المسانيف التي تقع في الشمال الغربي من مدينة جبلة وخمس مدارس

(١) المصدر السابق – صـ ٦٩

بناها الأتابك سنقر بن عبدالله الأيوبي (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م) هي الدحمانية والعاصمة في مدينة زبيد والأتابكيه في قرية هزيم في الجنوب الغربي من مدينة تعز، ومدرسة في مغربة تعز والمدرسة الأتابكية في مدينة خنفر بمحافظة أبين ووفقاً لما ذكره الشرجي (ت - ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) لا تزال هذه المدرسة عامرة (في أيام الشرجي) لكنها كانت تعرف بجامع خنفر »[1].

والدولة الأيوبية (٥٠٩هـ / ١١٧٣م) من الدويلات اليمنية القليلة التي أهتمت ببناء المدارس وأحدثت تحولاً لا ينبغي تجاهلها أو التقليل من شأنها .. سيما في مجال التعليم . حيث يجمع بعض المؤرخين على أن الأيوبيين بنو ما يزيد عن ثلاث عشرة مدرسة ومنها « المدرسة المعزية في زبيد ومدرسة الميلين التي كانت تقع شرق الدار الناصري الكبير في زبيد أيضاً ، وقد بناها الملك المسعود ابن الملك الكامل ، وكانت مخصصة لفقهاء الشافعية . أما المعز اسماعيل فقد بنى مدرسة أخرى في تعز عرفت بالسيفية وفي رواية أنها كانت داراً للأتابك سيف الدين سنقر اشتراها منه المعز وجعلها مدرسة وأوقف وادي الضباب على مصالحها .

أما الأتابك سنقر بن عبدالله الذي كان أحد مماليك طغتكين بن أيوب وتوفي عام (٦٠٨هـ / ١٢١١م) فقد أنشأ خمس مدارس في كل من هزيم جنوب غرب تعز وأخرى في مغربة تعز ، ومدرسة في أبين ، ومدرستين في زبيد سميتا (الدحمانية ، والفاطمية) ولم يتخلف موالي بني أيوب عنهم في بناء المدارس ، فها هو فاتن بن عبدالله المعزي مولى المعز اسماعيل بن طغتكين يبني مدرسة في قرية المسانيف شمال غرب ذي جبله . عرفت بالمدرسة الفاتنية ، وأوقف مصالحها أموالاً كثيرة كما بنى (جمال الدين ياقوت) وكان والياً على حصن تعز أيام طغتكين مدرستين في كل من مغربة تعز وعرفت بأشرفية وذي السفال وعرفت باليا قوتية.

وقام القاضي الرشيد المشهور بذي النون بن محمد المتوفى عام (٦٦٣هـ/ ١٢٦٣م) ببناء مدرسة في ذي عُدينة (أحد أحياء تعز) عرفت بالرشيدية ، وأوقف عليها وقفاً جيداً وعدداً كبيراً من الكتب ، وبني شمس الدين أبو محمد ميكائيل مدرسة بالجند عرفت بمدرسة ميكائيل وأوقف عليها وقفاً كبيراً ، أما شيخ الحديث (مجير الدين كافور التقوي) فقد بنى مدرسة في غرب مدينة تعز عرفت بالمجيرية وقد درس فيها وقبر في فنائها »[2].

---

(١) المصدر نفسه - صـ ٦٩ - ٧٠
(٢) الموسوعة اليمنية - ج٢- صـ ٢٦٥

مدارس العصر الرسولي (٦٢٦ -٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م)

مما تذكره المصادر التاريخية عن فترة بني رسول نستطيع أن نقول أن هذه الفترة هي من أزهى فترات التاريخ فقد استطاع بنو رسول أن يحدثوا ثورة على الرتابة والجمود في مختلف المجالات .

وقد حذا بنو رسول في اليمن حذو بني أيوب في بلاد الشام في انشاءٍ وعمارةٍ مدارس العلوم الإسلامية التي انتشرت في عصر بني رسول انتشاراً كبيراً ، واهتم ملوكهم وأمراؤهم ببنائها في مناطق مختلفة في اليمن خصوصاً في مدينتي تعز عاصمتهم السياسية وزبيد عاصمة اليمن الثقافية والاقتصادية خلال فترة حكمهم لليمن التي دامت مائتين وتسعة وعشرين سنة .

وقد أنشأ أول ملوكهم المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦ -٦٤٧هـ/ ١٢٢٩-١٢٤٩م) سبع مدارس هي مدرسة للفقه في مكة المكرمة ومدرستان في مدينة تعز ، وثلاث مدارس في مدينة زبيد ومدرسة في عدن ، وأخرى في حد المنسكية . كما قام الملوك والأمراء الرسوليون الذين توارثوا الحكم من بعد المنصور ببناء المدارس وحرصوا على ترميم واصلاح ما تخرب منها ، وساهمت الأميرات الرسوليات في انشاء المدارس في عدد من مناطق اليمن المختلفة وخاصة في تهامة ومحافظتي تعز وإب »[1].

في العهد الرسولي انتشرت المدارس بصورة كبيرة ، وحدث ازدهار واسع في مجال النشاط التعليمي لا سيما في تعز والجند وذي جبلةٍ ، وعدنٍ وظفار الحبوظي وغيرها من المناطق التي كان نفوذ حكمهم فيها راسخاً ومستقراً وحتى مكة المكرمة ، إذ ما من ملك من ملوكها المشهورين إلا وقد بنى له مدرسة أو مدرستين ، ومنهم من بنى أكثر من ذلك فالمنصور عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية بنى ست مدارس : مدرستين في تعز هما (المدرسة الغرابية ، المدرسة الوزيرية) ومدرستين في زبيد هما :(المدرسة المنصورية العليا ، والمدرسة المنصورية السفلى) (والمدرسة المنصورية في مدينة الجند) (والمدرسة المنصورية في عدن) على الرغم من قصر مدة حكمه .

ولم يقتصر تشييد المدارس على الملوك فحسب بل سار على سنتهم أولادهم وأمراؤهم ووزراؤهم ونساؤهم وإماؤهم وبعض سراة اليمن وأعيانهم في عصرهم حتى صار بناء المدارس وأربطة العلمٍ وتشييدها والتفنن في زخرفتها وإتقان بنائها سمة من سمات دولتهم ومظهراً بارزاً من مظاهر حضارتهم »[2].

(١) المصدر السابق – صـ ٧٠
(٢) الموسوعة اليمنية – ج٢ – صـ ٨٤٧

وهكذا أصبح التنافس على التعليم وبناء المدارس والمؤسسات العلمية حقيقة واقعة ، ولم يقتصر بناء هذه المؤسسات التعليمية وتطويرها وتعميمها مهمة يضطلع بها فقط الملوك والأمراء وانما الكثير من الميسورين ساهما بفعالية في هذا الإطار .. وكذا النسوة من أميرات ومتعلمات أسهمن مساهمة فعلية في هذه العملية .

ويضيف الدكتور عبده على عثمان بأن اليمنيين قد تعمقوا بالعلوم الدينية والفقه وغيرها من العلوم التي تدرس الآن في المعاهد العليا وخاصة في فترة دولة بني رسول حين أنشئت جامعة الأشاعر بزبيد .. ومن المؤرخين المعاصرين الذين تتبعوا نشأة جامعة الأشاعر ونظامها في التعليم الأستاذ / عبدالرحمن بن عبدالله الحضرمي في كتابه « جمعة الأشاعر زبيد « ويتحدث عن نظام جامعة الأشاعر بقوله « تبنى نظام الأشاعر في الدراسة على غرار الأنظمة المتبعة في الجامعات الإسلامية على مرحلتين هامتين وكل مرحلة لها منهجها .

وتشمل دراسة العلوم الشرعية ، وأصول الدين والعربية ، والعلوم الطبيعية كالطب والكيمياء والفلك والبيئة ، الرياضيات كالجبر والمقابلة والحساب والأشكال الهندسية ويذكر الحضرمي أن المرحلة الأولى تعتبر فترةٍ للتحصيل يدرس فيها الطالب المتون وشروحاتها المطولة ومدتها اثنا عشر عاماً .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة المناقشة والتخصص الأكاديمي ، وتسمى فترة الإجازة العامة وينال الطالب بعدها الإجازة في العلوم وقد برز عدد من العلماء في مجال الطب والزراعة وفي مجال اللغة العربية والفقه والجبر والمقابلة . فقد ألف الملك المظفر كتاباً في الطب أسماه «المعتمد» كما ألف ابنه الأشرف كتابه «الجامع في الطب« كما ألف الملك المجاهد الرسولي كتاباً في علم الزراعة أسماه «بغية الفلاحين» ومن علماء الفقه أبو الحسن عبدالله ابن المبارك الزبيدي في مؤلف «تجريد صحيح البخاري» وكذلك العلامة محمد عبدالله الريمي مؤلف كتاب (التفقيه على شرح التنبيه) ومن أئمة اللغة العربية الذين أنتجتهم جامعة الأشاعر محمد بن المرتضى الزبيدي مؤلف « تاج العروس في شرح جوهر القاموس» وهناك علماء آخرون اهتموا بمشاكل الري أمثال موسى بن محمد الفجاعي وعبدالرحمن بن عبدالكريم ابن زياد في كتابه «مزيل الضافي في أحكام ما أحدث في الأراضي المزروعة من العنا»[1].

---

(١) مجلة الغد – العدد الثاني ١٩٧٧م – صد ١٢

هذا النظام التعليمي الرصين هو نموذج لما كان عليه التعليم في تلك المرحلة وظل هذا النظام قائماً .. فالدراسات العليا والبحثية كانت جادة وكاملة وهي جامعة لجميع العلوم والتخصصات العلمية ، وهو لا يبتعد كثيراً عن النظام التعليمي الجامعي في العصر الراهن .. باستثناء أن التعليم في السابق كان كيفي ونوعي ومتميز ، ويتم تحت أكفاء الأساتذة وعلماء تلك الفترة ، وفترة بني رسول هي من أخصب وأزهى الفترات التاريخية في هذا المجال .. حيث انتشرت المدارس وازدهرت الدراسات المتخصصة العليا وأصبحت مؤسسات علمية مشهودة أسست للمراحل اللاحقة وتمتعت المرأة في هذا العهد بدور متميز ، وشاركت بوعي في المسيرة البنائية « وقد ذكر المؤرخ الحضرمي أنه في عهد الملك الأشرف اسماعيل الرسولي بلغت المدارس والمساجد بزبيد ثلاثمائة وستة وثلاثين مدرسة ومسجداً وأن مجموع الفتيات العالمات في الفقه الإسلامي والدراسات أربعة آلاف فتاة ، ومن الفتيات اللاتي قمن بالتدريس في القرن العاشر الهجري في علم التفسير والحديث أسماء بنت موسى الضجاعي »[1].

وهذه المرحلة الزاهية من تاريخ اليمن ، والتي ا[illegible] والتفوق العلمي لم تأتي من فراغ وانما نتاج معرفة حقيقية بطبيعة [illegible] وعي واحتياجاته التعليمية والثقافية والفكرية والدينية « ولا تقل في أ[illegible] عن محاولات البحث العلمي وصور الإزدهار الفكري التي عرفت في مصر أو بغداد أو الأندلس في العهد الإسلامي ولم يعرف الغرب هذه الأشكال من الدراسات الأكاديمية في القرن الخامس عشر أي في بداية عصر النهضة »[2].

وهكذا أصبح التنافس على التعليم ، وبناء المدارس والمؤسسات العلمية حقيقة واقعة ، ولم يقتصر بناء هذه المؤسسات التعليمية وتطويرها وتعميمها مهمة يضطلع بها فقط الملوك والأمراء وانما الكثير من الميسورين ساهموا بفعالية في هذا الإطار .. وكذا النسوة من أميرات ومتعلمات ساهمن مساهمة فعلية في تحقيق النهضة التعليمية الواسعة التي تحققت وترسخت ، وفي العهد الرسولي توسعت كذلك مدينة تعز بصورة كبيرة .. وأصبحت عاصمة الدولة ، وكانت المدارس في هذه الفترة من أهم مميزات المدينة « امتدت المدينة وتوسعت ، وكانت أشهر أحيائها أو جميعها تعج بالمدارس والمساجد ودور الضيف التي كانت بديلاً للخانات وتدر عائدات جند أغلب ريعها للمعلمين طيلة الحقبة الرسولية »[3].

---

(١) المصدر السابق – ص ١٢

(٢) المصدر نفسه – ص ١٢

(٣) المجاهد / محمد محمد – مدينة تعز – غصن نضير في دوحة التاريخ العربي – الطبعة الأولى ١٩٩٧م

« كانت المدارس والمساجد في هذه الفترة تؤدي نشاطاً تعليمياً وتربوياً بالغ الأهمية ، وسنورد هنا رصداً يحتوي على ما أورده القاضي اسماعيل الأكوع عن المدارس في العصر الرسولي ، ولكن خارج هذا الرصد عرفنا مسجد الخازندار في عين الدهمة، ومسجد ابن العماد في الحميرا ، وكلا الحارتين في المغربة، وكذلك القبة الجمالية التي لا زالت باقية حتى الآن داخل السوق القديم ، وتعرف باسم (مسجد الجمالي) وكلها مارست نشاطاً تعليمياً حتى المساجد غلب عليها هذا الدور كحد يمكن معه اعتبار كل مسجد مدرسة أيضاً ، وأخذ هذا في الاعتبار سيؤدي إلى عدد لا حصر له من المنشآت التعليمية حتى تكاد تكون صحيحة مقولة أن في تعز ثلاثمائة وستين مدرسة في تلك الفترة وتميز البناء في العصر الرسولي بهندسة معمارية متميزة .. وجميعها تميزت بدقة البناء وتنوع زخرفتها ، وظل بنو رسول يتفننون ببناء هذه الروائع المعمارية إلى آخر أيامهم « وكان الملك الأفضل عباس ابن المجاهد قد أنشأ المدرسة الأفضلية في ناحية الحبيل ـ شرق الحصن ـ ميزتها منارة ذات ثلاث طبقات ، الأولى مربعة الشكل قائمة الأركان ، والثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف ، والثالثة مسدسة الشكل ، لم يكن في البلاد مثيلاً لها اطلاقاً . بعد ذلك بسنوات طويلة أنشأ الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل المدرسة الظاهرية ، زينها بمنارتين أحدهما بدرجتين »[1].

ويورد الباحث (٣٢) مدرسة وبيانات مختلفة حولها من حيث اسم المدرسة وموقعها ، وبانيها . بينما الموسوعة اليمنية أوردت (٣٩) مدرسة وسنوردها هنا كما وردت في الموسوعة لأهميتها الفائقة . وللتدليل على أهمية هذا العصر « يعتبر حكم بني رسول من أخصب وأسعد فترات الحكم في اليمن على كل المستويات. أما مجال التعليم فقد حظي بأكبر قدر من اهتمامهم ، إذ أخذت المدارس تتكاثر ، وازدهرت اليمن في عهدهم بالعلم والعلماء ، ولم يكن إنشاء المدارس قاصراً على ملوك وسلاطين وأمراء بني رسول ، بل حذا حذوهم رجال دولتهم وأتباعهم وسراة اليمن وأعيانهم والقادرون في عصرهم على بناء المدارس كما اسهمت نساؤهم من الأميرات والزوجات والشقيقات والأمهات في اقامة العديد من المدارس. وكانوا جميعاً يتباهون في بناء المدارس حتى لقد صارت سمة من سمات عصرهم ، ومظهراً بارزا من مظاهر حكم الرسوليين . ولم يكتفوا بالبناء فحسب وانما أوقفوا عليها كرائم أموالهم ووهبوا خزائن كتبهم الزاخرة بنفائس الكتب ونوادرها في شتى العلوم والفنون .

(١) المصدر نفسه – صـ ٢٧

وقد غطت مدارس الرسوليين معظم مدن اليمن ومراكزه وقراه الكبيرة ، وامتدت إلى مكة المكرمة [1]. وهذا مؤشر على أن دولة بني رسول كانت تمتلك مشروعاً وحدوياً ثقافياً وتعليماً .. فليس من السهل أن تبلغ مشاريعهم التعليمية كل مدن ومراكز وقرى اليمن .. فقد أحدثوا نمواً وازدهاراً واسعاً في مجال الثقافة ونشط المثقفون والعلماء وأصبحوا يتمتعون بمكانة خاصة ، والجدول التالي يعكس هذه الحقيقة .

أسماء بعض المدارس التي بناها الرسوليون : الجدول رقم (١)

م	اسم المدرسة	مكان بنائها	البـانـي	ملاحظـات
	المنصورية العليا	زبيد	المنصور نور الدين عمر بن رسول	خصصت لتدريس الفقه الشافعي
	المنصورية السفلى	زبيد	المنصور نور الدين عمر بن رسول	خصصت لتدريس الفقه الحنفي والحديث والحديث
	المنسكية	زبيد	المنصور نور الدين عمر بن رسول	
	المنصورية	الجند	المنصور نور الدين عمر بن رسول	
	العوزيرية	تعز	المنصور نور الدين عمر بن رسول	
	الغرابية	تعز	المنصور نور الدين عمر بن رسول	
	المنصورية	عدن	المنصور نور الدين عمر بن رسول	
	العلوية	زبيد	محمد بن يوسف العلوي	خصصت لتدريس النحو
	الناجيات	زبيد	تاج الدين بدر الدين المظفري	خصصت لتدريس الفقه الشافعي
	المظفرية	زبيد	تاج الدين بدر الدين المظفري	
	الأسدية	إب	أسد الدين محمد بدر الدين بن رسول	
	الأسدية	قرية الخيالى قرب جبلة	أسد الدين بدر الدين محمد بن رسول	
	الشمسية	إب	شمس الدين أبوبكر بن فيروز	
	العمرية	زبيد	أبوحفص عمر بن محمد العلوي	خصصت لتدريس المذهب الحنفي
	المؤيدية	مغربة تعز	الملك المؤيد داود بن المظفر	

(١) الموسوعة اليمنية – ج١ – صـ ٢٦٥

م	اسم المدرسة	مكان بنائها	البـــانـي	ملاحظـــات
	المظفرية	شرق تعز	الملك المؤيد داود بن المظفر	
	دار العدل	حي ذي عدينة (تعز)	الملك المؤيد داود بن المظفر	
	المجاهدية	تعز٧٣١هـ١٣٣١م	السلطان المجاهد على بن المؤيد	
	العباسية	تعز	العباسي بن علي بن رسول	
	مدرسة جوهر	تعزية تعز	الطواشي أبو الدر جوهر الرضواني	
	الطواشيه	زبيد	الطواشي أبو الدر جوهر الرضواني	
	الأشرفية الكبرى	تعز٨٠٠هـ١٣٩٨م	السلطان الأشرف	
	الظاهرية	تعز	السلطان الظاهر يحيى بن الملك الأشرف	
	الجبرتية	زبيد	الشيخ اسماعيل بن عبدالصمد	كان طلبتها من المتصوفين
	الطاهرية	عدن	الجبرتي	
	السابقية	زبيد	السلطان الطاهر يحيى بن الملك الأشرف	وعرفت بالعفيفية
	ذي عقيب	ذي عقب عزلة وارف	مريم زوج السلطان المظفر	شمال غرب جبلة
	الجديد	مغربة تعز	مريم زوج السلطان المظفر	
	الصلاحية	زبيد٧٣٠هـ ١٣٣٠م	مريم زوج السلطان المظفر	وعرفت المدرسة بالمؤيدية
	السلمية	قرية السلمية	آمنة بنت اسماعيل والدة المجاهد	وعرفت بمدرسة أم السلطان
	الفانتية	زبيد	آمنة بنت اسماعيل والدة المجاهد	
	سلامة	مغربة تعز	ابنة السلطان الملك المؤيد	
	الفرحانية	زبيد٨٣٦هـ١٤٣٣م	سلامة ابنة الملك المجاهد علي بن رسول	
	الياقوته	رباط البريهي ذي السفال	زوج السلطان اسماعيل	كان ناظرها محمد بن أبي السرور البريهي
	العومانية	ذي جبلة لؤلؤة زوج الأمير علي بن رسول	زوج الملك الظاهر يحيى	
	النجمية	ذي جبلة	الدار النجمي ابنة علي بن رسول	هي أخت الملك المنصور عمربن علي بن رسول

م	اسم المدرسة	مكان بنائها	البـاني	ملاحظـات
	الشهابية	ذي جبلة		نسبتها إلى أخيها شهاب الدين
	الشرقية	ذي جبلة	الدار النجمي ابنة علي بن رسول	نسبتها إلى أخيها شهاب الدين

(١).

هذه المدارس تعكس وضع الدولة الرسولية ثقافياً واجتماعياً وفكرياً وتهتم أيضاً بالتعدد المذهبي الشافعية والحنفية والصوفية وغيرها ، وهذا دليل على سعة الأفق الفكري لهذه الدولة التي مثلما ازدهرت في إطارها العلوم والثقافة الفكرية والتعليمية لعبت المرأة أيضاً فيها دوراً متميزاً في استنهاض الواقع التعليمي ونشره .

وهناك أورد محمد المجاهد عدد من المدارس الرسولية نوردها للأهمية هي:-

المدارس التي بناها الرسوليون الجدول رقم (٢)

م	المنشـأة	المـوقـع	خلال حكم – أو الباني	ملاحظـات
	المدرسة الأشرقية (بالقاف)	المغربة	طغتكين	
	المدرسة المجبرية	غرب تعز - قبلي المحاريب	طغتكين	
	المدرسة السيفية	تعز	المعزبن طغتكين	
	المدرسة الرشيدية	ذي عدنه	نور الدين عمر بن علي رسول	
	المدرسة الغرابية	المغربة	نور الدين عمر بن علي رسول	
	المدرسة الوزيرية	المغربة - حافة الملح قرب الحصن	نور الدين عمر بن علي رسول	
	مدرسة أم السلطان	تعز	أم الملك المظفر	
	المدرسة النظامية	ذو هزيم	المظفر يوسف بن عمر	
	المدرسة المظفرية	أعلى المغربة	المظفر يوسف بن عمر	
١٠١	المدرسة العمرية	المغربة - حافة الملح	المظفر يوسف بن عمر	
	المدرسة الأسدية	المغربة - حافة الميهال	المظفر يوسف بن عمر	
١٠٢	المدرسة الشمسية	ذو عدينه	المظفر يوسف بن عمر	

(١) الموسوعة اليمنية – ح٢ – صد ٢٦٦ – ٣٦٧

م	المنشأة	الموقع	خلال حكم - أو الباني	ملاحظات
	المدرسة النجاحية	شرق المغربة	المظفر يوسف بن عمر	
	المدرسة الجديدة (السابقية)	المغربة ـ الحميرا	الأشرف عمر بن يوسف	
	المدرسة الأشرفية	المغربة ـ حافة الملح	الأشرف عمر بن يوسف	
	المدرسة المؤيدية	حافة القماطين غرب المغربة	المؤيد داود بن يوسف	
	المدرسة المظفرية	المحاريب - غرب تعز	المؤيد داود بن يوسف	
	المدرسة المجاهدية	راس راحة - الشريف - جبيل المجلية	المجاهد علي بن داوود	
٣٠ م	مدرسة دار العدل (دار الوعد)	سوق الأحد - عدينة	المجاهد علي بن داوود	
	مدرسة جوهر	المغربة - حافة الملح	المجاهد علي بن داوود	
	المدرسة الأفضلية	جبل المجلية - جوار المجاهدية	الأفضل عباس بن علي	
	المدرسة العباسية	نجد راحة الشريف	الأفضل عباس بن علي	
	مدرسة سلامة (المؤيدية)	نجد راحة الشريف	الأفضل عباس بن علي	
	مدرسة تقي الدين بن معيبد	المحاريب	الأفضل عباس بن علي	
	المدرسة الأشرفية الجديدة	تعز؟	الأشرف اسماعيل بن عباس	
	المدرسة الفرحانية	ملحقة بجامع ذي عدينة	الأشرف اسماعيل بن عباس	
	مدرسة الجبرتي	حي المداجر	الأشرف أو ابنه الطاهر	
	المدرسة الظاهرية	عدينة	الظاهر يحيى بن اسماعيل	
	مسجد الخازندار	المغربة - عين الدهمة		
	مسجد ابن العماد	المغربة - الحميرا		
	المدرسة المجاهدية	تعز؟	المجاهد علي بن طاهر معوضة	
	المدرسة العامرية	تعز	السلطان عامر بن عبدالوهاب(١)	

الدولة الطاهرية (٨٥٨-٩٢٣هـ / ١٤٥٤-١٥٢٦م)

جاءت الدولة الطاهرية إثر زوال الدولة الرسولية وكانت امتداد لها في المجال التعليمي ..

فالدولة الرسولية بكل عظمتها وانجازاتها تركت بصمات واضحة على مسار الدويلات التي أعقبتها ، وهذا واضح في أسلوب تعاطي الطاهريين مع الأوضاع التعليمية . حيث اقتفى «ملوكها وسلاطينها وبعض أمرائها ووزرائها أثرها في بناء المدارس وتشييد معاهد العلم ورباطه ، وكانت هذه المدارس خاصة بتعليم المذهب الشافعي لأنه مذهب الدولة الطاهرية ، وقد انتشرت مدارسها في تعز وزبيد وجبن ورداع والمقرانة .

ولما قضي على الدولة الطاهرية بتغلب الجراكسة عليها برز الإمام شرف الدين (٨٧٧-٩٦٥هـ / ١٤٧٣ - ١٥٥٨م) المحالف للجراكسة ضد السلطان عامر بن عبدالوهاب في الميدان ، فأنشأ أربعة مساجد في كوكبان ، وثلاء ، وذمار، وصنعاء. وأطلق عليها اسم مدارس جرياً على ما كان مألوفاً في عهد الدولتين الرسولية والطاهرية ، وقد اهتمت هذه المدارس بتدريس المذهب الزيدي الهادوي »[1].

فظاهرة بناء المدارس والاهتمام بالتعليم أصبحت من الأمور الشائعة في الفترة التي أعقبت العهد الرسولي ..

فبعد سقوط الدولة الرسولية ظهرت عدد من المدارس التي أنشأها سلاطين الدولة الطاهرية نذكر منها المنصورية في مدينة جبن والمنصورية في مدينة المقرانة والمدرسة العامرية في مدينة رداع ، والمدرسة الوهابية في مدينة زبيد وغيرها من المدارس الأخرى»[2].

ويقال بأن الملك المجاهد ابتنى مدرسة وخلف الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب مدرستين وكانت المساجد مدارساً والمدارس مساجداً ، وهذا يؤكد أن رسالة المسجد فهمت منذ الوهلة الأولى على أنها رسالة تربوية ، وأن التربية والتعليم جزء من رسالة المسجد الأساسية ولهذا استمر اهتمام اليمنيين ببناء المدارس ففي هذا العهد «عهد الطاهريين» وجهوا اهتمامهم إلى انشاء المدارس ورعاية شؤونها ، وايقاف الأموال على مصالحها . ومن أشهر مدارسهم مايلي:-

(١) الموسوعة اليمنية - ج٢ - صـ٨٤٨
(٢) الإكليل - العدد (٢٧) - صـ٧٠

أسماء المدارس التي بناها الطاهريون

م	اسم المدرسة	المكان والتاريخ	البـانـي	ملاحظـات
	المنصورية	جُبَن(٨٨٧هـ/١٤٨٢م)	السلطان المنصور / عبدالوهاب بن داؤود داوود	
	العامرية	رداع عام٨٩٤هـ١٤٨٩م	السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داوود	
	الظافرية	زبيد عام (٩٠٠هـ/١٤٩٥م	السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داوود	
	العامرية	تعز	السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داوود	
	الشيخ/ عبدالملك عبدالملك	رداع	عبدالملك بن عبدالوهاب	
	النظارية	إب	جمال الدين محمد بن معان النظاري(٢)	

وبالمثل شهدت بعض المدن اليمنية بعض المؤسسات التعليمية في «عدن وسيئون وتريم وغيل باوزير وفي حضرموت الأربطة كمؤسسات تعليمية لعبت دورا هاما في نشر العلم والمعرفة وظلت الوسيلة الوحيدة تقريباً للتعليم لقرون طويلة ، وكان من أهمها (رباط العلامةعلي بن علي الحبشي) بسيئون ، ورباط (تريم) الشهير بأزهر حضرموت ثم رباط (غيل باوزير) .

وتعتبر الكتاتيب (المعلامات) أكثر مؤسسات التعليم انتشاراً في مختلف المناطق حتى بعد وقوع بعض هذه الأجزاء تحت الاحتلال البريطاني وظهور التعليم النظامي»(١).

وهناك مدارس متعددة ومختلفة كانت موجودة هنا أو هناك واختفت لسبب ما .. وهناك مدارس قائمة وأدت وظائف تعليمية في الماضي وتم تجاهلها من قبل هذا أو ذاك المؤرخ .

فهناك مدارس متعددة ومتنوعة يذكرها المؤرخون .. البعض منها ذكرت بمسميات مختلفة نسبياً ، ومن أبرز هذه المدارس مدرسة ابن مرتضى الزبيدي للحديث ، وقد ثبت هذا في وقفية بني الخليل (بزبيد) المحفوظة لديهم ... وقد أوقف عليه الشيخ العلامة عبدالله بن عمر الخليل ووسع حيث أدخل الغرفة الغربية للمقدم في المقدم وجعل له الممر الجنوبي »(٢).

---

(١) المصدر نفسه – صـ٢٦٨
(٢) الإكليل – العدد (٢٧) – صـ١٨٨

والمؤرخ الجندي أورد ذكر ذاك المسجد المعروف بفخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي رسول في ترجمة الشيخ العلامة محمد بن أبي بكر بن أبي القسم بن عبدالله الزوقري المعروف بأبي الخطاب بما نصه . وكان لا يكاد يوجد إلا مدرساً للعلم أو مقبلاً على صلاة وغالب تدريسه في مسجد الأشاعر ونادرة في مسجد عند بيته يعرف بفخر الدين أبوبكر بن حسن بن علي رسول الذي جددته الحرة ماء السماء ابنة الملك المظفر»[1].

«ومسجد ابن حسان من المساجد العامرة بداخل مدينة زبيد وموقعه غربي منزل الأستاذ محمد سليمان خليل ، وشرقي بيوت بني حمادي الحدادين في ربع الجامع وما يزال معروفا بهذه التسمية حتى وقتنا المعاصر سنة (١٤٢١هـ) وكان مدرسة فيما قبل عرف بالمدرسة الحسانية ولم نعرف لها مؤسساً أو تاريخاً لإنشائه «[2].

«ومسجد جاوة من المساجد العامرة بمدينة زبيد ، وكان يعرف بمدرسة وجيه الدين الريمي ... ومن ابتناء العلامة عمر بن علي بن محمد بن أبي بكر العلوي في عهد الدولة المؤيدة الرسولية . وخصصها للفقه الحنفي وكانت تعرف حينذاك بالمدرسة العمرية»[3].

وأما المدرسة «التي ابتناها العلامة عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي العلوي الحنفي بجوار داره فهي موجودة - عامرة - وتشتهر بالعلوية السفلى وما زالت عامرة بالمصلى وبحلقات العلم والذكر حتى تحرير هذا سنة (١٤٢١هـ)»[4].

« ومسجد الريمي من المساجد العامرة بمدينة زبيد ويقع في ربع الجزع من المدينة والأصل أنه كان مدرسة عرف حينذاك بمدرسة جمال الدين الريمي . وهي من ابتناء جمال الدين الريمي المذكور ، وما ذكري لهذا إلا تنبيهاً للقارئ من انها مدرسة تبعاً لما أورده القاضي اسماعيل الأكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن «[5].

(١) المصدر السابق – صـ١٦٨
(٢) المصدر نفسه – صـ١٨٨- ١٨٩
(٣) المصدر نفسه – صـ١٨٩
(٤) المصدر نفسه – صـ١٨٩
(٥) المصدر نفسه – صـ١٩٠

التعليم في ظل دولة بني نجاح :

حكمت الدولة النجاحية تهامة خلال الفترة من (٤١٢- ٥٥٤هـ /١٠٢٢-١١٥٩م) واهتمت بصورة خاصة بالعملية التعليمية وربما أن هذا الاهتمام ناتج عن طبيعة صراع بني نجاح مع الدولة الصليحية وعلى الرغم من أنٍ بني نٍجاح حكمت من قبل والي من أصول حبشية .. إلا أنهاخاضت صراعا عنيفا مع الدولة الصليحية ساندها في ذلك أبناء تهامة .. وربما أٍن ذلك يعود إلى رفض المذهب الإسماعيلي الذي تبنته الدولة الصليحية خلافاً للمذهب السني الذي كان مذهب حكام بني نجاح .. وربما أن لهذه العملية دوراً في تحقيق التفاف حول الدولة النجاحية من قبل علماء معروفين باحترامهم للعلم والعلماء .. وهو الأمر الذي أدى إلى الإهتمام بالعملية التعليمية ، وشيدت عدد واسع من المدارس « ولكن مع ما واجهته تلك المنطقة في ذلك العصر من صراع واضطراب إلا أن التعليم قد ازدهر بجميع مدارسه ، وعلى اختلاف مذاهب تلك المدارس وذلك بفضل التنافس في نشر العلم واكتساب العلماء بين حكام تلك الدولة ووزرائها أو من قبل الدولة الصليحية التي كانت في الغالب تتعامل مع علماء تلك المنطقة بروح التسامح والتشجيع »[١].

وتعتبر «المدرسة العصامية المشهورة بمسجد النور ومسجد الدارة من أكبر المدارس وأشهرها في العهد النجاحي ـ برزت في مجال العلم بعلماء القرن الخامس أبرزهم العلامة محمد بن اسماعيل الابار»[٢].

وتبرز أهمية هذه الدولة من خلال المستوى التعليمي الذي كان سائداً في ظل هذه الدولة . والذي سنتعرف عليه من خلال استعراضنا للمناهج والمقررات الدراسية التي كانت معتمدة في ظل هذه الدولة .

(١) د/حيدر/ فاروق أحمد – المقررات الدراسية في عهد الدولة النجاحية – مجلة الإكليل – وزارة الثقافة والسياحة – العدد (٢٨) – ٢٠٠٤م – صـ٣٥

(٢) الإكليل – العدد (٢٧) – صـ١٩١

الفصل السادس

الفصل السادس

التعليم العالي

هذا النوع من التعليم كان يعبر بوضوح عن ملامح التطور الثقافي والتربوي الذي ساد في ظل هذه الدويلات التي استطاعت أن تمارس دورها الثقافي والفكري بعيداً عن الصراعات وقد يتم هذا في مؤسسات تعليمية عليا تعتمد لها الصدقات والأوقاف لاستقبال واقامة الطلبة الفقراء أو القادمين من بعيد كجامع الأزهر ودار الحكمة والمدارس النظامية والأربطة ... الخ .

يتولى التعليم في هذه المؤسسات العلماء المتخصصون المتضلعون والذين يحترمهم ويجلهم المجتمع . في كثير من مؤسسات التعليم العالي ارتقت طرق التدريس إلى مستوى الأساليب المتبعة اليوم في الجامعات كالمحاضرات والحلقات والمناظرات والتطبيقات العملية ، ويهدف هذا النمط من التعليم إلى :

أ. الحصول على مستوى عال من المعارف والمهارات .

ب. تلبية حاجات المجتمع من قضاة ومفتين ومحتسبة وأطباء وعلماء في العلوم الطبيعية والأدبية .

ت. نشر أفكار المذاهب الإسلامية الكبيرة كمذهب الشيعة أو المعتزلة أو السنة والتي تستند إليها أنظمة سياسية .

هذا وهناك نموذج ثالث من التعليم في ظل الحضارة العربية والإسلامية هو "التعليم الذاتي" الذي بواسطته يطور خريج الكتاب أو المدرسة الأولية أو المدرسة العليا معارفة عن طريق ارتياد المكتبات ومزاملة العلماء أو الفلاسفة أو الفقهاء للتلمذة عليهم أو مناظرتهم ، وكثير منهم يلجأ إلى البحث والتجريب للوصول إلى المعارف والحقائق العلمية ، وبالتعليم الذاتي نبغ معظم المفكرين والعلماء والفلاسفة العرب والمسلمين"[١].

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ج١ – ص١٥ –١٧

فالتعليم بأنواعه ومستوياته المختلفة أحدث ثورة في وعي الناس ، وجميعه ارتبط ارتباطاً موضوعياً بحركة النهوض العلمية والثقافية التي شهدها العالم العربي والإسلامي في هذه المرحلة التي اهتمت بدرجة أساسية ببناء الشخصية العربية والإسلامية والذات العربية المسلمة ..

والتعليم في اليمن اتبع هذا التقليد واستند إلى هذا الموروث الثقافي والفكري والتربوي الواسع .. وأصبح للتعليم في اليمن نظاما وتقليدا يعتز به .. يمتد إلى مئات السنوات .

ولا شك أن هذا الموروث الثقافي الطويل قد أهل المؤسسات التعليمية في اليمن وأصبغها بطابع تربوي وتعليمي خاص .

إدارة المدارس وتمويلها ومناهجها في هذه المراحل :

لا يمكن الحديث عن المناهج الدراسية في هذه المراحل التي ازدهرت بها الحركة الثقافية والتعليمية وبالطريقة المعروفة في عصرنا الحالي .. فقد كانت هنالك أسسا ينبغي أن يتعلمها الإنسان ، ومن هذه الأسس يكتسب المعرفة وتراكم الخبرات .

والمساجد هي مساحة هذا التغيير .. فالمسجد بالنسبة للإسلام وفي مختلف مراحله كان يضيء مركز الحركة العلمية .. وأنشأ العرب والمسلمون بعد ذلك الأربطة وغيرها من المؤسسات لتعليم علوم ذلك العصر ، كالقرآن الكريم والحديث وعلومهما وكذا علوم الأدب واللغة والتاريخ وعلم الكلام والفرائض وسائر مذاهب الفقه وغيرها .

أما في اليمن فقد اشتهرت مساجدها ودواوين علمائها بالعلم والعلماء حيث كان التعليم الشفوي وتعليم القراءة والكتابة أهم أساليب شيوخ الحلقات في المساجد والدواوين»[1].

ومثلما ازدهرت تعز وزبيد وجبلة وتريم ، وحضرموت وغيرها برزت الكثير من المراكز الحضرية التي ارتبط اسمها بالإزدهار العلمي الذي حصل « وكانت صعدة مثل غيرها من المدن كالبصرة والكوفة في القرن الثالث الهجري أهم المراكز اللغوية والمدارس المذهبية والفكرية .

(١). الموسوعة اليمنية – ج١ – ص٢٦٢

كما تعددت الجوامع وظهرت فائدتها. بتكاثر شيوخها وتوافد طلابها من المناطق والآفاق القريبة والبعيدة ، فنشأت الحاجة إلى إعادة هؤلاء الطلاب والمشايخ الأفاقيين ، والمتفرغين لطلب العلم وتعليمه ، لهذا فقد تقدم الكثير من الأغنياء في الأرياف والمدن بوقفياتهم على هذه المساجد ، فكان الغني يوقف بعض مزارعه ومنازله لهذا الجامع أو ذاك من أجل تأثيثها وانارتها وترميمها أو توسيعها وتغطية نفقاتها أو لبناء المنازل والأربطة من حولها لإيواء الطلاب والمدرسين والوافدين من أماكن بعيدة ، وكانوا يعرفون بالمهاجرين تشبيهاً لهم بصحابه الرسول صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة »[١].

ولكي تجد المدرسة مورداً ثابتاً من المال يمكنها من مواصلة رسالتها . جرت العادة على أن يوقف منشؤوها الأوقاف الواسعة لينفق من ريعها على المدرسين والشيوخ والطلاب ، وكان المدرسون يُعينون من قبل الدولة خلافاً للحلقات والكتاتيب ، إذ كان بعض المدرسين ينذرون أنفسهم للتعليم دون إجر أو تعيين من أحد »[٢].

وكان الملك أو الحاكم أو الشخص الذي يقوم ببناء المدرسة في دولة بني رسول يتولى مسئولية إدارتها وتحديد سياستها التعليمية « وعلى اختلاف المستوى في حجم وكيفية هذه المنشآت كان الملك أو الوجيه إذا أنشأ البنية وأتمها يكمل إجراءات المحافظة عليها بتعيين المعلمين والإمام والمؤذن والخدم اللازمين ، ويجري عشر منح لطلبة العلم الذين يكونون قطب حلقات الدرس ، ثم يعين أخيراً وقفاً يفي بالغرض في تسيير شئون المدرسة والمسجد »[٣].

وأنشأ الرسوليون المدارس لكي تؤدي وظائف تعليمية .. وتتأثر السياسة التعليمية لهذه المدارس كما هو في أي مكان آخر بالعقيدة الدينية والمذهبية لهذه أو تلك الدولة التي تولت عملية بناء وتشييد هذه أو تلك المدرسة .. وطبقاً لذلك يتحدد المنهج التعليمي لهذه المؤسسات التعليمية التي لا شك وأنها قد استطاعت أن تحدد المسار العلمي للدولة اليمنية وقتها وبالتالي أحدثت وعياً مبكراً بدور المؤسسات التعليمية وشاركت إلى حد كبير في ازدهار الحركات العلمية ، ولهذا ظهرت شخصيات علمية في منتهى الأهمية . ولأن هذه المؤسسات التعليمية تأسست على أساس ديني . فمن الطبيعي أن تكون المناهج الدراسية المعتمدة في هذه المؤسسات جاءت لكي تلبي احتياجات الدولة والمجتمع الدينية أيضاً لهذا

(١) المصدر نفسه – صـ٢٦٢
(٢) المصدر السابق – صـ٢٦٣
(٣) مدينة تعز غصن نضير – صـ٢٨

عنت هذه المدارس « بتدريس المذهب الشافعي ، وهو مذهب الدولة الرسولية ، وقلة منها خاصة بتدريس المذهب الحنفي ، واشتهرت (المدرسة الدحمانية) في زبيد بتدريس علم النحو اذ كان مدرسوها مبرزين في هذا العلم ، كما اشتهرت (المدرسة التاجية) في زبيد أيضاً بتدريس علم القراءات وعلم الحديث ، وذلك طبقاً لرغبة صاحب المدرسة الذي يحدد نوع مواد الدراسة ويحدد الشروط المتوفرة في المدرس الذي يتم اختياره ، وعدد الطلاب الذين يلتحقون بمدرسته، ويحدد أيضاً ما يُعطى للمدرس من أجور مقابل تدريسه وما ينفق لكل طالب ، ويضمن ذلك كله في وقفيته التي تشتمل أيضاً على ذكر الأراضي الموقوفة على المدرسة ، ووجوه صرف غلولها»[1].

و صاحب المدرسة المعنية ملكاً كان أو أميراً أوفقيهاً أو معلماً هو الذي يحدد طرق التدريس ومناهجها ، وهذا يكشف عن حقيقة أن الدولة لا تمتلك سياسة تعليمة واضحة ، ولا تتدخل في تحديد السياسات التعليمية وانما تلتزم كل مؤسسة تعليمية بالتوجهات الأساسية للدولة ، وبمختلف التوجهات والأعراف والعقائد الدينية والمذهبية .. المهم هو أن لا تمس القضايا العقائدية .. وفي ظل هذه الوضعية وهذه التوجهات تستطيع أي مدرسة أن ترسم سياساتها التعليمية ، ومناهجها وطرق تناولاتها بما لا يمس الثوابت والتوجهات الدينية والمذهبية والانتماء المذهبي السائد هو الأبرز وهو المهيمن .

وربما أن المناهج المدرسية كانت متقاربة ومتشابهة نظراً لوحدة الأهداف العامة . ففي المعلامة كان يتلقى التلميذ أصول القراءة والكتابة .. وعلى وجه الخصوص القرآن الكريم الذي كان يشكل ولا يزال جوهر العملية برمتها ، وعندما يتحول هذا الطالب إلى البحث عن المعارف والمعلومات كان يقوم بدراسة العلوم الشرعية والفقهية ، والثقافات الإنسانية الأخرى ونجد « في موضع آخر من كتاب المفيد يذكر المؤرخ عمارة بأن الوزير أبومنصور من الله الفاتكي الذي تولى الوزارة في زبيد سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) ومات في (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) « تصدّق» على مدارس فقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع »[2].

وهذا يؤكد أيضاً بأن المدارس المتخصصة في تدريس المذاهب السنية والعلوم الدينية الأخرى كانت موجودة في اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وكذا طرق الاهتمام والرعاية والانفاق عليها ..

---

(١) الموسوعة اليمنية – ج٢– صـ٨٤٧ – ٨٤٨

(٢) مجلة الإكليل – العدد (٢٧) – صـ٦٨

فالتعليم هنا أصبح جزءاً من اهتمامات الدولة والقائمين عليها الأخلاقية والأدبية، وأن الجميع كانوا ينظرون للتعليم على أنه ضرورة وحق من حقوق المجتمعات.. وكان الحاكم يحضى باحترام وتقدير المجتمع بما يقدمه لهم من مؤسسات تعليمية ومنشآت دينية وغيرها .

وكما أسلفنا فالدولة الإسلامية أنفقت أموالاً كثيرة على التعليم ، وأوقفت أراضي واسعة كان لها أثر جيد على استمرار رسالة هذه المدارس التي مثلت أحد الضروريات الاساسية في المجتمعات العربية والإسلامية على وجه الخصوص ، ونجد أن العدد الكبير من المدارس التي شيدتها الدولة الرسولية أوقفت عليها «الأموال العظيمة» وأنفقت على المدرسين وطلبة العلم بسخاء ، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشئت ابان العصر الرسولي في مدينة زبيد أكثر من خمسين مدرسة وفي مدينة تعز وضواحيها حوالي ثلاثين مدرسة ، وبنيت في محافظة إب في العصر الرسولي أكثر من أربعين مدرسة منها عشر مدارس في مدينة إب وتسع مدارس في مدينة ذي جبلة .

بالإضافة إلى عدد كبير من مدارس العلوم الإسلامية التي بنيت في عهدهم في أماكن مختلفة من اليمن وفي مكة والمدينة المنورة »[1].

وبخصوص دولة بني نجاح فإن الأمر أكثر وضوحاً وقد تمكن الدكتور / فاروق أحمد حيدر من تقديم ملخص للعملية التعليمية في ظل هذه الدولة التي امتلكت نظاما تعليميا متقدما على الرغم من الحروب والصراعات التي عاشتها مع الدولة الصليحية حيث قام بعملية رصد كامل المقررات الدراسية في عهد الدولة النجاحية ، وقد كان الأوضاع الثقافية والاقتصادية التي سادت في ظل الدولة النجاحية دور رائد في انتشار التعليم وازدهاره حيث مكنت الدولة من استقطاب العلماء والفقهاء والمثقفين من بناء المدارس والمؤسسات الثقافية والتعليمية بما يتناسب وطبيعة كل مدرسة وطبقا لذلك « تنوعت المقررات الدراسية والعلوم التي كانت تدرس في المؤسسات التعليمية في ذلك العصر بين العلوم الشرعية من تفسير ، وقراءات ، وحديث ، وفقه ، وعلوم لغة ، وآداب ، وعروض ، وعلم التاريخ ، والعلوم الرياضية والهندسية ، والمنطق وعلم الكلام وغيرها من علوم ارتبطت بحاجة المجتمع ومتطلباته .

مع العلم أن هذه المواد الدراسية لم تقم بها مؤسسة تعليمية واحدة وانما تعددت المؤسسات التعليمية التي قامت بتدريسها ، وخضع ذلك لعوامل مختلفة منها الضرورة والحاجة وتوفير المدرسين »[2].

---

(١) المصدر السابق – ص٧٠

(٢) الإكليل – العدد (٢٨) – ص٣٩

وطبقاً للتنوع الثقافي والمذهبي كان هناك أيضاً تنوع في المواد الدراسية والموضوعات التي كانت تدرس في ذلك العهد .. وعلى وجه الخصوص المقررات الدراسية التي أوجزها لنا الدكتورفارق حيدر بمجلة الأكليل بالآتي :

أولاً : علوم القرآن الكريم :

كتاب الله هو مفتاح التعليم ، وهو أول المعرفة العلمية .. يتعلم منه المرء أبجدية القراءة والكتابة « فقد كان أول ما يتعلمه الصبيان في مرحلتهم الأولى هي مادة القرآن الكريم والقيام بحفظه وقراءته ، فكان الاهتمام بقراءته وترتيله وتعليمه للأطفال منذ الصغر ، وقد حرص أولياء أمور الصبيان على ذلك في عهد بني نجاح ، مثال ذلك ما ذكر في رسالة الملك جياش بن نجاح إلى مؤدب ولده منها « وعلمه كتاب الله فإنه الحبل المتين ، ولا ترخص في نسيانه ، فإنه الخسران المبين، وعلمه قراءة ابن عمرو فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر ».

ومن علوم القرآن الكريم التي نشأت وتطورت حينها وعمل اليمنيون على التفنن بها هي علم القراءات ، وعلم التفسير ، وكانت هذه العلوم تتم وفق شروط وقراءات خاصة . سيما في منطقة تهامة التي اشتهر فيها الكثير من القراء والعلماء وعلى النحو الآتي :

١. علم القراءات : وهو علم يبحث فيه عن صورة نظم كلام الله تعالي من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، وفائدته صرف كلام الله عن طريق التحريف والتغيير ، ويتضمن عدة فروع منها مخارج الحروف ومخارج الألفاظ والوقف ، علل القراءات ، ورسم كتابة القرآن في المصاحف وآداب كتابة المصاحف ، وهو العلم الذي يتناول قراءة القرآن الكريم بحسب رواية الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بطرق مختلفة في بعض ألفاظه ، كيفية الحروف في أدائها ، وقد عرفت في تلك المنطقة مختلف القراءات ومن أهم ما اشتهر من هذه القراءات هي قراءة عمرو بن العلاء وهي القراءة المنتشرة في منطقة تهامة في تلك الفترة »[1].

---

(١)

٢. علم التفسير : وهو علم يبحث عن معنى نظم القرآن الكريم بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه قواعد اللغة العربية وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الخصوص . ويتضمن تفسير القرآن الكريم فروعاً كثيرة منها معرفة المكي والمدني ، وسبب النزول ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ، وخاصة مجمله ، والتفسير في الاصطلاح : هو توضيح معنى الآية وأسبابها وقصتها ، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة .

وقد نال علم التفسير وشرح أحكامه العناية التامة ، وتنوعت كتب التفسير وكانت الكتب المشهورة في التفسير في العالم الإسلامي مادة التدريس في المؤسسات التعليمية في ذلك العصر ، ومرجعاً يرجع إليه العلماء والدارسون»[1].

وقد كانت غالبية التفاسير المعروفة آنذاك مادة تعليمية مقررة « واختلفت كتب التفاسير التي كان يعتمد عليها من مذهب إلى آخر نتيجة لاختلاف المذاهب السائدة في منطقة تهامة ، بل لقد تنوعت كتب التفسير عند اتباع المذهب الواحد ، فمثلاً اعتمدت الشافعية ذو المعتقد الحنبلي على تفسير « ناسخ القرآن ومنسوخه» لأبي يعقوب اسحاق الصفار (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م) أما الشافعية الأشعرية الذين انتشروا في منطقة تهامة في ذلك الوقت فقد اعتمدوا على تفاسير القرآن للإمام الواحدي لأنها توافق معتقدهم .

ثانياً : علم الحديث

يبحث علم الحديث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث روايتها ضبطاً وعدالة . ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك من الأقوال ، وكذا يبحث عن المعنى العام من ألفاظ الحديث ، وعن المعنى المراد مبنياً على قواعد اللغة العربية ، وضوابط الشريعة الإسلامية ومطابقاً لأحوال النبي عليه الصلاة والسلام ، ويقصد بعلم الحديث ما صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير بمعنى استحسانه شيئاً ، وهو ما اصطلح تسميته ايضاً بالسنة ، وله حجته مثل القرآن الكريم .

وقد اهتم بتعليم هذا العلم في تلك الفترة ، وكثرت مجالسه ، وتوفرت للدارسين كتب الحديث المشهورة .. وكان هذا العلم موضع اهتمام جميع فقهاء تلك الدولة. حيث كان يتوجب عليهم حفظ الأحاديث التي تساعدهم على استنباط الأحكام الفقهية ، فكان لا يكتمل فقه العالم ، إلا اذا أتقن هذا العلم .. وكانت تقام في

---

(١)

مساجد تلك الدولة في تلك الفترة حلقات لسماع كتب الأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحضرها طلبة العلم من جميع فئات المجتمع ، مثال ذلك أن الوزير سرور الفاتكي كان يحضر إلى المسجد بعد الزوال فيسمع المستندات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة العصر »(1).

ثالثاً : علم الفقه

« وهو علم أحكام التكاليف الشرعية كالعبادات والمعاملات ، وما يتصل بالأمور الدينية من أحكام قضائية وسياسية وحربية .

وبالنسبة للمذاهب الفقهية في تلك الفترة ، فقد قلد معظم سكان تهامة في الفروع مذهب الإمام الشافعي ، وقلدوا في العقيدة الإمام الأشعري ، وبعضهم قلد مذهب الإمام أبي حنيفة ، ووجدت في مدينة زبيد بعض الأسر التي قلدت مذهب الإمام مالك .

ولذا فقد كثرت الكتب الفقهية المعتمدة للدراسة ، واختلفت من مذهب إلى آخر فقد استتبع انتشار مذهب الإمام الشافعي في تهامة دراسة أصوله وفقهه من مؤلفات واجتهادات مؤسس المذهب وشيوخ المذهب المشهورين ، سواء من خارج اليمن أو من داخلها ، ومن أهم كتب الشافعية التي كانت تدرس في تهامة في ذلك الوقت هي «الأم» و«الرسالة الجديدة» للإمام الشافعي و «سنن المزني» و « سنن الربيع» و«مختصر المزني» ومصنفات القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨) ومنها « شرح مختصر المزني» وكتب أبي علي الحسن بن محمد بن العباس الطبري الزجاجي (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) وشروح المزني المشهورة ، وبكتب الفروع لأبي الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) ومنها المجرد والتقريب و«الكافي»(2).

وإلى جانب هذه الكتب هناك كتب كثيرة أخرى في هذا الإطار للمالكية والحنفية إلى جانب الكتب الشافعية التي ذكرناها .

رابعاً : الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية

« كانت الحياة الأدبية هي الدعامة الثانية التي مدت الحركة التعليمية في تلك الفترة بالجمع الكبير من الكتب والمؤلفات وساهمت بدورها في نشر المعارف المتنوعة ، وزاد من تأثيرها وفاعليتها وانتشارها أفواج العلماء والأدباء القادمين من خارج اليمن الذين أثروا في الحياة الفكرية .

---

(١)
(٢)

اهتم العلماء والطلاب في تلك المنطقة بعلوم اللغة العربية لأنها وسيلتهم لفهم نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وإبراز علوم اللغة العربية لأنها وسيلتهم لفهم نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة و علوم اللغة العربية التي اهتم بها العلماء هي النحو واللغة والأدب وكان معظم العلماء والطلاب على دراية واسعة بها .

وقد نال علم اللغة عناية خاصة من الدارسين باعتباره العلم الموصل لمعرفة أسرار اللغة العربية . بل كان هذا شرطاً لدراسة كثير من العلوم عند العلماء مثل علم القراءات وعلم التفسير وعلم الفقه وكذا نال النحو عناية كبيرة باعتباره أداة لتقويم اللسان ، وحظي هذا العلم باهتمام كبير من علماء تلك المنطقة خلال فترة الدراسة ، ويعد من المواد المهمة للدارسين ، وكان يتم تدريسه للصبيان منذ المرحلة الأولى للتعليم لاتصاله الوثيق بالعلوم الشرعية ، ولذا أخذ كل دارس بنصيب من علم اللغة والنحو ، حيث كان يفترض فيمن سيدرس العلوم الشرعية، أن يكون ملماً بهما ، حيث لا يكون الفقيه العالم مشاركاً في العلوم إلا بعد أن يتقنها »[1].

أما الأدب من شعر ونثر فقد ازدهر ازدهاراً كبيراً وكان يدرس في المؤسسات التعليمية منذ المرحلة الأولى ، لذا فقد نبغ في ذلك العصر العديد من الشعراء والأدباء المشهورين ، الذين خلفوا ثروة شعرية وأدبية ضخمة ، وتولى بعضهم الكتابة في دواوين الإنشاء في دولة بني نجاح وفي الدولة الصليحية «[2]، وممن اشتهر بالشعر والأدب الكثير من الكتاب والشعراء والأدباء .

خامساً : علم التاريخ والأنساب :

حظي علم التاريخ والإنساب بعناية واضحة من الدارسين والعلماء ، وتوفرت لهم مختلف التراجم والتواريخ التي ألفت من قبل المؤرخين المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية .

وتدل المؤلفات التاريخية والتراجم التي ألفت في تلك الفترة على سعة اطلاع الدارسين اليمنيين في تلك المنطقة ، ومدى توافر المراجع التاريخية .

وقد جاء الاهتمام بدراسة هذا العلم من أجل خدمة العلوم الشرعية ومعرفة رجال الحديث والوقوف على سيرة الرسول صلوات الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ، وخاصة من قبل الفقهاء وعلماء وطلاب الدراسات الشرعية

(١)
(٢)

ومعرفة أخبار الأمم السابقة والحكام السابقين لأخذ العبرة والعظة مما جرى لهم والاستفادة من خبراتهم وذلك لمن يتولى الحكم والإمارة وسياسة الأمور»[1].

وقد برز في هذا الإطار عدد واسع من الكتاب والعلماء والمؤلفين بمؤلفاتهم المهمة التي أضافت اضافات جديدة للحركة العلمية التي سادت وقتها . ويؤكد هذا أن « هذا العلم كان من العلوم المزدهرة في تلك الفترة في منطقة تهامة، ويدل على ذلك غزارة الانتاج العلمي وبروز العديد من العلماء ذوي الانتاج الغزير في علم التاريخ والأنساب مما يدل على سعة اطلاعهم ومقدرتهم العلمية ساعدهم على ذلك توفر الكتب التاريخية التي ألفها العلماء المسلمون من مختلف البلاد نتيجة للاتصال القوي لهذه الدولة مع الدول الإسلامية المختلفة .وكذا يتبين اهتمام الدارسين في ذلك العصر بدراسة هذا العلم لحاجتهم الشديدة إليه وخاصة في علم الحديث وغيرها من العلوم الشرعية وحاجة الحكام والأمراء لمعرفة تاريخ الأمم السابقة والحكام الماضيين لزيادة وعيهم في معالجة أمور الدولة ومقدرتهم السياسية والإدارية»[2].

سادساً : علوم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة :

كانت العلوم الثلاثة الأولى من العلوم المنتشرة في المؤسسات التعليمية لذلك العصر في منطقة تهامة ، ولقيت اهتماماً كبيراً من الفقهاء والتجار ولأهميتها كان يتم تعلمها منذ المرحلة الأولى في الكُتاب وخاصة علم الحساب .

أما الجبر والمقابلة فكان يتم تدريسها في المرحلة التالية لمن يريد أن يتخصص بهما ، وخاصة الفقهاء الفرضيين الذين يتخصصون في علم الفرائض ويحتاجون إلى تعلم المسائل الحسابية التي تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب، كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور ، وكان يطلق على هؤلاء الفقهاء إما العالم الفرضي أو الشيخ الحاسب »[3].

ولهذا العلم أهمية خاصة في العلوم الإسلامية باعتبارها علوم عقلية ومعرفية « العلوم الإسلامية تحتم دراسة كثير من العلوم العقلية كالرياضيات بفروعها، فالمعاملات مثلاً وهي باب من أبواب الفقه « تستخدم الحساب في المبيعات والمشتروات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات « ويصرف في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها وعلم المواريث يحتم دراسة الحساب ، بل ويقود إلى الجبر وكذلك الزكاة وضبط

(١)
(٢)
(٣)

الكيل والميزان ، تفتح الباب لدراسة الأثقال والحجوم والروافع وخواص المواد التي تصنع منها ، ومراقبة الهلال لمعرفة أوائل الشهور ، ودراسة حركة الشمس والظل لتحديد مواقيت الصلاة والعدة وتحرير القبلة .

كما تحتم الاهتمام بدراسة الفلك وتقسيم الزمن ، وتفتح الباب للدراسة عن الضوء والجغرافيا والهندسة وتقود إلى إكتشاف البوصلة .

وهكذا كما يبدو ولا غنى عن دراسة العلوم الكونية بل إن الشريعة الإسلامية تحتم دراستها لأن الحياة لا تستقيم إلا بها »[1].

وكذلك حظي علم الهندسة بعناية بعض العلماء والطلاب وشجعهم على ذلك حاجة المجتمع الشديدة لهذا العلم في مجال البناء والتشييد وقد ساعد على ذلك مجيء بعض العلماء المشهورين بهذا العلم من خارج اليمن منهم القاضي الرشيد من علماء عصره المبرزين في مختلف العلوم ، ومنها علم الهندسة الذي تعلم على يديه بعض الدارسين منهم العالم اليمني المشهور في هذا العلم محمد بن عيسى اليماني (ت حوالي ٥٥٧هـ /١١٦٢م) وقد أجرى العالم المصري في مدينة زبيد قناة تأتي من شرق المدينة في سرب تحت الأرض حتى تقترب من المدينة ثم تظهر فتسقي جميع البساتين فيها »[2].

سابعاً علم الطب :

كان لانتشار الأطباء في تهامة وقتها دليل على أن هذا العلم كان موجوداً هناك وفي مناطق متعددة كما يدل على وجود اساتذة وكتب فيها . وهذه المنطقة « كغيرها من مناطق العالم الإسلامي لا تخلوا من هذا العلم الهام . علماً أن العلاقات القوية لهذه المنطقة وغيرها من البلاد الإسلامية ، شجع بعض علماء هذه الدول المبرزين في علم الطب على زيادة هذه البلاد وافادة الدارسين من علومهم .

ومن دراستنا لأحوال تلك الفترة ، والذي يؤدي بدوره في الغالب إلى انتعاش الخدمات الصحية والاهتمام بالصناعات المرتبطة بالطب مثل صناعة الأدوية ، وإن كان تعلم هذه العلوم والصناعات المرتبطة بالطب كان يتم بواسطة التطبيق العملي »[3].

---

(١)
(٢)
(٣)

ثامناً : علوم الكلام والمنطق والفلسفة :

فقد ساعد انتشار المذهب الأشعري على الاهتمام بهذه العلوم . . باعتبار أن المذهب الشافعي شجع على انتشار علم الكلام والمنطق والمذهب الأشعري من المذاهب التي أنشئت على خلفية الجدل الواسع بين العقلانيين والمذاهب الأخرى .

ومن مظاهر تشجيع الدولة النجاحية لعلم الكلام ومدرسيه ما ذكره عمارة في مفيده أن ما يصرفه الوزير سرور الفاتكي للفقهاء في العلوم المختلفة ومنها علم الكلام اثني عشر ألف دينار في كل سنة وكانت كثيرا ما تقام المناظرات الكلامية بين علماء المذهب الأشعري وغيرهم من العلماء ، وألف بعض علماء هذا المذهب في علم الكلام ومن هؤلاء الإمام أبو بكر بن اسحاق المخير في كتاب في الرد على الحشوية المجسمة .. أما الفلسفة فلم يشتهر بتعلمها وكانت من العلوم النادرة في تلك المنطقة ، وقد تكون درست على نطاق ضيق في أماكن خاصة في فترة استيلاء الصليحيين على تهامة أو عند من يتقن هذا العلم من العلماء الذي وردوا تلك المنطقة »(١).

تاسعاً : علم التصوف :

برز التصوف في ذلك العصر من جانبه الزهدي والسلوكي ولم يدخل كفلسفة ولذلك كانت أكثر الكتب المصنفة والتي تدرس تدور حول الزهد وتصفية النفس من دواخل الآثام ومجاهدة النفس والإكثار من الأذكار ... وزاد من انتشار تعاليم الصوفية الغنى والبذخ الشديد اللذان برزا في ذلك العصر نتيجة لاستغلال الأرض والمال من جانب الفئة الحاكمة في مظاهر الترف والرفاهية والإكثار من الجواري والعبيد والخدم والحشم على حساب بقية أفراد المجتمع »(٢).

عاشراً : علم الكيمياء

وهو علم يقوم أساساً على الصناعة والخبرة المكتسبة والمران الطويل . ولذا يمكننا أن نستنتج على وجود هذا العلم وانتشاره في تلك المنطقة بكثرة الصناعات التي اشتهرت بها في ذلك الوقت والتي تقوم على المعرفة بعلم الكيمياء والصناعة ، مثل اشتهار تهامة بمعالجة المعادن من الذهب والفضة وغيرهما سواء كان لصناعة الحلي أم الأواني أو النقود ، فقد اشتهرت تلك المنطقة بسك النقود منها العشرية والسعيدية .

---

(١)

(٢)

وكذلك اشتهرت منطقة تهامة بصناعة العقاقير والأدوية والعطور الراقية وهذا الصناعات تحتاج إلى خبرة مران طويل ومعرفة بهذا العلم بالاضافة إلى صناعة الثياب والصناعات الجلدية التي اشتهرت بها مدينة زبيد شهرة عالمية والتي كانت تحتاج إلى أصباغ وألوان ومعرفة بعلم الكيمياء .

مما سبق يتبين لنا أن هذه المنطقة قد استفادت من هذا العلم في كثير من الصناعات التي اشتهرت بها شهرة عالمية سواء في الصناعات المعدنية أو الملابس أوصناعات المأكولات والعطور والعقاقير»[1].

«من دراستنا للمقررات الدراسية في تلك الفترة في منطقة تهامة يتبين لنا أن العلوم الشرعية كانت هي الشغل الشاغل للمؤسسات التعليمية ، وأن أغلب رجال العلم هم علماء الفقه والعلوم الشرعية ، كما أن معظم الانتاج الفكري يدور في اطار العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها مثل علوم اللغة والتاريخ وعلم الكلام والعلوم الرياضية أما الفلسفة فكانت من العلوم النادرة بسبب ما واجهته من هجوم ونقد من الفقهاء »[2].

ومن العوامل التي أسهمت في تطور الحركة العلمية في تلك الفترة هي «التنافس السياسي القائم على أساس فكري بين الدول القائمة في اليمن آنذاك كالدولة النجاحية والدولة الصليحية ودولة بني زريع ودولة الأئمة الزيديين .

لقد كان هذا التنافس حاداً إلى الدرجة التي يصبح معها رعاية الفكر أمراً ضرورياً وحتمياً تفرضه طبيعة الصراع السياسي القائم وهذا يفسر لنا مثلا إغداق الدولة النجاحية الهبات والمرتبات على العلماء وإعفاء أراضيهم من ضريبة الخراج»[3].

من هذا الاستعراض نتبين أن الخصائص العلمية والثقافية التي أدت إلى ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في اليمن هي نفسها الخصائص التي أدت إلى إزدهار الحركة العلمية الإسلامية بصورة عامة وتميزت دولة بني نجاح في تقديم نموذج تعليمي جيد .

ومن أبرز نجاحات التعليم في هذه الدولة هو استخدام المجتمع العلوم لحل مشاكله سواء في مجال الفقه أو في غيره من العلوم الأخرى . لا كما يحدث الآن فنجد أن الطالب يحفظ أو يلقن ولا يستطيع التطبيق ، فكم من آلاف مؤلفة من

(١) هوامش الصفحات (١٨٩- ١٩٨) من المصدر السابق .
(٢)
(٣)

الطلبة درسوا نظريات أو قوانين علمية في مختلف العلوم ولكنهم لا يستفيدون منها في الحياة العلمية لأنهم لا يحسنون تطبيقها فالشراكة المجتمعية في التعليم قديمة وفوائدها عظيمة ولا بد من ربط التعليم بالشراكة لكي يتمكن الطالب من البحث والتحليل والاستنتاج والنبوغ .

الفصل السابع

الفصل السابع
دور المرأة في العملية التربوية

المرأة اليمنية كانت جزءاً من حضارة اليمن القديم ، وجزءاً من الحركة الثقافية والفكرية والسياسية التي شهدتها اليمن في مرحلة ما بعد الإسلام ، والدويلات التي أعقبت انهيار الدولة العربية والإسلامية ساهمتٍ إلى حد كبير في بناء نهضة وازدهار تلك المرحلة .. وهو ما سنجده واضحاً في تناولاتنا المتواضعة لتاريخ المرأة في مجال التربية والحركة الثقافية والفكرية التي شهدتها اليمن آنذاك .. « وكانت أسماء بنت شهاب الصليحية المتوفية سنة (٤٨٠هـ /١٠٨٧م) قد أدارت اليمن مع زوجها على بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية في اليمن ، ولفتت انتباه المؤرخين ليس لأنها تمتعت بالسلطة فقط ، ولكن لأنها كانت تحضر المجالس ووجهها مكشوفاً أي بدون حجاب وكانت الخطبة تلقى من أعلى منابر مساجد اليمن باسم زوجها وباسمها ويصفها الجندي بأنها من «أعيان النساء وحرائرهن وكرائمهم ... وحكمت الملكة أروى بنت أحمد الصليحي اليمن حوالي نصف قرن من الزمن وتحدث بعض المؤرخين عن صفاتها بكثير من الإعجاب . والاعتزال والتقدير فيصفها الحبشي في كتابه معجم النساء اليمنيات بأنها عرفت بالحزم والتدبير ودعي لها على منابر اليمن إلى جانب المستنصر الفاطمي والملك الصليحي »[1].

لقد لعبت النساء في العهد الرسولي دوراً مهما و اساسياً في بناء المدارس وإدارة العملية التعليمية وهذا يدل على ما وصلت إليه تعز في العهد الرسولي من مجد وما وجدته المرأة حينها من مكانة حيث « كانت نساء القصور فيها أكثر الناس اهتماماً بالنهضة التعليمية والعمرانية والدينية « وكن ذوات دور ايجابي في مسار الأحداث السياسية بحنكة لا تتوفر إلا عند من امتلك حظاً وافرا من التعليم والتربية النوعية .

(١) المخلافي / سعيد محمد قائد – الحقوق السياسية للمرأة اليمنية – دار نجاد للطباعة والنشر ٢٠٠٧م – ص٥٠

فهذه زوج المظفر تبادر إلى بناء مدرسة بمغربية تعز ، وابنته (ماء السماء) تبني مسجدا في حدبة وتوقف عليه ما يكفي لإمام ومؤذن وأيتام ومعلم . وزوج السلطان المؤيد ابتنت مسجداً بدرجة رأس العزبه وكريمة الملك الأشرف ابتنت مدرسة بحدبه والحرة الشمسية ابنة الملك المنصور أحدثت المدرسة الشمسية بذي عدينه (من مدينة تعز ، والمدرسة الشمسية في زبيد) وما توفيت أي من الأميرات إلا وكان لها سابقة في انشاء مدرسة أو مسجد فالأدر الكريمة جهة الطواشي جمال الدين ووالدة الأشرف توفيت سنة (٧٨٤هـ) وقد ابتنت مسجداً واسعاً حسناً في المغربة ومدرسة حسنة في الميهال والجهة الكريمة جهة الطواشي جمال الدين معتب والدة الملك الناصر توفيت سنة (٧٩٦هـ) بعدان ابتنت المدرسة المعتبية في ناحية الواسطة بمدينة تعز .

وما نشأ من هذه المنشآت إلا وأكملت من تبنية جميع المرافق اللازمة له مثل إيصال الماء إليه وإجراء المعاشات للأئمة والمؤذنين والمعلمين والطلبة ، تم ايقاف الأوقاف اللازمة لضمان استمراره واحيائه»[1].

وللنساء في هذه المرحلة دوراَ مهماً في مختلف الأنشطة الإدارية والسياسية والقضايا العامة ووصل صدى بعض الأميرات حداً يفوق صدى الكثير من الأمراء والسلاطين .. فأنشئت العديد من المنشآت في مختلف الأنشطة الاجتماعية .

وأصبح التعليم في هذه الفترة واسعاً ومنتشراً وذا طابع شعبي يحق لجميع الفئات الإلتحاق بمراكز التعليم ولهذا أصبح للمرأة حضورا سياسياً واجتماعيا واسعاً ولاشك في أن ذلك سيجر نفسه على نساء العامة في التعامل معهن وقد غدا الناس أهل علم وتحضر وهم كذلك حقاً إذ كان عدد المدارس والترغيب في التعليم يجعل المرء يجزم بأنه شمل الجميع حتى الرعاة في الجبال وهن أيضاً وسط أناس غلب عليهم الزهد والعناية باليتيم والضعف حتى أن سابقة لم تتكرر حسب ظننا ظهرت فيهم عندما استحدث أحد القضاة ديدنا عجيباً مع من يتوفى ووراءه أطفالاً صغارا إذ يكلف المؤذن أن يعلن من جامع المغربة المشرف على السوق الرئيسي فيه أن فلاناً قد مات وله من الأولاد كذا وعليه من الدين مبلغ كذا ، وقد تم سداد دينه ووزعت بقية التركة على الورثة حتى أن أهل تعز جميعهم تقريباً يكادون يكونون عالمين بمن توفي وما خلفه ، وما بقي لأولاده وما يتم صرفه من نصيب عنه شهرياً تقريباً »[2].

(١) مدينة تعز غصن نضير في دوحة التاريخ العربي – صـ٢٨– ٢٩
(٢) المصدر نفسه – صـ٣٠

ودهماء المرتضى (ت ٨٣٧هـ /١٤٣٤م) وهي أخت الإمام المهدي أحمد بن المرتضى درست على يديه وعلى يد الإمام المطهر وكانت عائلة بارزة في الفقه والفرائض وعلم الكلام ، وتصدرت للتدريس في مدينة (ثلا) درس على يدها الكثير من طلبة العلم ، ولها عدة مؤلفات منها كتاب (الأزهار) ويقع في أربعة مجلدات . ذكر الإمام الشوكاني أنه من أحسن شروح «الأزهار» وكتاب في الفقه ـ الفرائض (شرح على منظومة الكوفي) ولها كتاب في علم اصول الفقه بعنوان (شرح مختصر النهى) وكتاب في علم الكلام بعنوان (الجوهر) .

وقد كسبت في (ثلا) سمعة طيبة ، ومكانة علمية كبيرة ولذلك تمسك بها اهالي (ثلا) وارتاعوا حين طلبها أخوها المهدي إلى (حراز) مع أهله وتوسلوا إليه بيوسف بن أحمد عثمان كي يبقيها على التدريس في مدينة (ثلا) وظلت على التدريس إلى أن ماتت»[1].

والمرأة أيضاً لعبت دوراً أساسياً في استنهاض العملية التعليمية . حيث شاركت في اقامة المدارس وكذا في التدريس وكانت نابغة في مختلف علوم الدين والفقه وعلم الكلام والتاريخ يحتفظ بأدوار الكثير منهن .

ها هي ذا دهماء المرتضى .. التي اشتهرت بالتدريس وأحبها الناس وطالبوا ببقائها في المدينة التي اقامت فيها تعلم طلاب العلم ، رغم انتقال أهلها إلى مكان آخر وظلت تؤدي رسالتها في التدريس والتأليف والدراسة والبحث إلى أن توفاها الله .

ونبغت المرأة أيضاً في مجال العلم ، ومارست الشعر والأدب والنحو ومختلف فنون العلم .. وتحولت إلى مؤلفة ومدرسة وغيرها .. ومنها زينب الشهاري وتعتبر زينب بنت محمد المؤيدي (ت ١١٤هـ ١٧٣١م) أشهر شاعرة يمنية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين قال عنها الشوكاني بأنها شاعرة مجيدة كانت عالمة بالأصول والنحو والمنطق والنجوم والرمل والسيمياء . وقد ترجم لها عدد من كتاب التراجم في اليمن غير الشوكاني فقال عنها أبوطالب في كتابه (ذوب الذهب) : « كانت أعجوبة الدهر .. لها القصائد المطولة والمقطعات اللطاف» وأشاد بشاعريتها يوسف بن يحيى في كتابه (نسمة السحر) وأحمد الحيمي في (طيب السحر) ... ومع عفتها كانت في بداية حياتها متفتحة درست الكثير من طلاب العلم وتراسلت مع معاصريها من الأدباء »[2].

---

(١) الموسوعة اليمنية – صـ٤٤٥

(٢) المصدر نفسه – صـ٥٠٠

والمدرسة الأشرفية : «ابتنتها الجهة الكريمة جهته دار الدملؤة ـ ابنة الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) والمسماة «نبيلة» في جنوبي مدرسة الميلين ، وكان بناؤها في أيام ملك آخيها الملك (المؤيد دواود) ـ وتوفيت في منتصف المحرم سنة (٧١٨هـ)»(١).

وقامت أيضاً الجهة الكريمة جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرف وهي زوج السلطان الأشرف ببناء المدرسة المعتبية ، وهي من أشرف المدارس صورة طبق الأصل للمدرسة الأشرفية .»وقد بنيت المعتبية لتؤدي نفس غرض المدارس الأخرى وبنفس الكفاءات إلا أنها أيضاً تعكس صدق اهتمام النساء الفاضلات في تلك الفترة بالتعليم وصدق البذل في هذا المضمار»(٢).

(١) الإكليل – العدد (٢٧) – صـ١٩٧
(٢) مدينة تعز غصن نضير – صـ٦٧

٤

المبحث الرابع

المبحث الرابع

التعليم في العهد العثماني

ظلت الحاجة إلى المدارس قائمة بعد تصدع الدويلات اليمنية ووقوع الإقليم اليمني تحت هيمنة الوصاية التركية ، وتظل بعض الإصلاحات في النظام السياسي والتعليمي أمراً لا بد منه لكي يستطيع الأتراك البقاء أطول والتعايش مع الحركات الوطنية المناهضة له .

فظلت التوجهات الاستعمارية التركية تصطدم بعملية رفض مستمر له ، ويتعامل المجتمع معه على أنه مستعمر دخيل ينبغي مناهضته ، ولكي يتمكنوا من البقاء أطول قام الأتراك خلال حكمهم في الفترة من (٩٥٠- ١٠٥٠هـ /١٥٣٨-١٦٣٥م) بإنشاء بعض ولاة الأتراك وأمرائهم مدارس في زبيد وصنعاء فقد بنى كمال بك المدرسة الكمالية في زبيد وبنى مصطفى باشا النشار مدرسة في زبيد ما تزال عامرة ، ومدرسة في صنعاء بالقرب من باب السَّبحه(السبح) وبنى ازدمر باشا مدرسة في حي باب شعوب في صنعاء ، وهي تعرف اليوم بالزمر وبنى مراد باشا المدرسة العادلية (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) المعروفة بالمرادية في قصر صنعاء ، وبنى الوزير حسن باشا المدرسة البكيرية (١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م) في ميدان صنعاء »[1].

ويستطيع المرء أن يشكل فكرة متكاملة عن طبيعة المدارس الإسلامية والتي انتشرت في أنحاء مختلفة من اليمنِ .. فالمساجد كانت عبارة عن مدارس تؤدي وظائف تعليمية مختلفة وهناك أيضاً المدارس التي كانت تقدم علوماً متقدمة لمن نالوا حظاً تعليمياً متقدماً ، وهي أشبه بالكليات والجامعات والمعاهد المتخصصة في الوقت الحاضر .. وهناك الأربطة وغيرها وربما أن الكثير منها وجدت في المراكز الحضرية الكبيرة أو في مراكز الحكم «العواصم» حالياً .. إلا أن المعلامات كانت الأكثر انتشاراً وعمومية . فقد وجدت على مستوى القرى والتجمعات السكانية المحدودة جداً .

(١) الموسوعة اليمنية – ج٢ – ص٨٤٨

إما داخل المسجد أو مقصورات صغيرة ملحقة بها .. أو بالمنازل أو تحت الأشجار وكانت تقدم أسس المعرفة ناهيك عن التعليم الإسلامي ، وهي « غرفة ملحقة - في الغالب بأحد المساجد أو بجواره يأتي إليها الأطفال بعد السادسة من العمر يومياً لتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتدرب على قراءة القرآن الكريم »(١).

في العهد العثماني أنشئت عدد من المدارس أهمها «المدرسة العادلية التي تقع بداخل قصر السلاح جنوب شرق مدينة صنعاء القديمة وقد ابتناها الوالي العثماني مراد باشا سنة (٩٨٤هـ / ١٥٧٦م) ثم المدرسة البكيرية التي بناها الوزير حسن باشا سنة (١٠٠٥هـ /١٦٩٧م) في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء القديمة ، ومدرسة الوالي العثماني مصطفى باشا النشار (ت ٩٦٣هـ /١٥٥٦م) بالقرب من باب السبحة (حالياً باب السبح) البوابة الغربية لمدينة صنعاء القديمة.

وفي زبيد أنشأ هذا الوالي المدرسة البيشية التي تقع في الشمال الشرقي من المدينة .. وقام القائد العثماني كمال بك (قتل سنة ٩٣٠هـ /١٥٢٤م) بترميم واصلاح المدرسة الاشرفية المعروفة في وقتنا الحاضر بالمدرسة الكمالية ، نسبة إليه والتي تقع جنوب قلعة مدينة زبيد في ربع المجنبذ ، كما قام الأمير اسكندر مور بن سولي (ت سنة ٩٤٣هـ /١٥٣٦م) بترميم مدرسة الميلين التي تحتل الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة زبيد ، ومنذ تلك الفترة وحتى وقتنا الحاضر صارت هذه المدرسة تعرف بالمدرسة الاسكندرية نسبة إليه»(٢).

وفترة الحكم العثماني في اليمن هي فترة طويلة نسبياً اتسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار .. وخلال هذه الفترة اهتم الأتراك بالتعليم التخصصي فأنشئت مدارس صناعية ومدارس للبنات والأيتام ، وهذا يعد خطوة متقدمة في تلك الفترة المبكرة وانتشرت هذه المدارس «على اختلاف أنواعها في جميع أنحاء اليمن وكان التعليم مجاناً .. ففي عام (١٣١٥هـ) أسست مدارس ابتدائية ودار المعلمين ومكتب الصنائع (مدرسة الصنائع) فقد كان في صنعاء وعاصمة عسير خمس مدارس للصناعة وتعليم الأيتام والبنات ومدرسة عسكرية كما أقام العثمانيون مدرسة للصناعات في الحديدة وفي عهد حسن تحسين حلمي -افتتحت المدرسة الرعدية في صنعاء لتخريج الموظفين ولإعداد الراغبين في الترقي إلى (دار المعلمين) وكانت مدرسة الرعدية مخصصة لأولاد الذوات من اليمنيين والأتراك .

(١) المصدر السابق - صـ٨٨٧
(٢) الإكليل - العدد ٢٧) - صـ٧٠ -٧١

أما دار المعلمين فكانت بديلاً عن حلقات الجوامع .. وقد خرجت المدرسة الرعدية عدداً من الكتبة والمحاسبين ودار المعلمين خرجت عددا من أساتذة الابتدائية ومن الشيوخ»[1].

ولا نستطيع أن نفصل الواقع التعليمي في هذه المرحلة عن المرحلة السابقة لها والتي تناولناها بالتفصيل من خلال ما كان قائماً من مؤسسات تعليمية متخصصة وأساليب إدارة هذه المؤسسات دون أن نقوم بعملية تحليلية لمضامين واتجاهات السياسية التعليمية في تلك الفترة نظرا لضعف المراجع وندرتها .

وقد جاء العهد التركي ليواصل ما كان قائماً باستثناء ادخال تعديلات محدودة على المناهج الدراسية بما يمكن هذه المؤسسات من معرفة سياسة الأتراك الاستعمارية وربما أن التعليم في ظلهم تطور بصورة محدودة في اتجاه التعليم التخصصي وذلك لربطه أكثر بالمجتمع .. فالتعليم في اليمن قديماً وكما شاهدنا كان يقوم بطرق مزدوجة إما أن يقوم بعملية تشييد المدارس الحكام والأمراء .. أو الميسورين ، والقادرين وكانت الدولة أو هؤلاء الميسورون يقومون بالانفاق عليها من أموالهم الخاصة أو من خلال الأوقاف التي كانت تخصص لتمويل وخدمة هذه المؤسسات .. لكي تستمر رسالتها العلمية .. أما المعلامات فقد كانت تنتشر بطرق تلقائية ، فحينما يوجد في هذا الحي أو ذاك أو هذه القرية أو تلك فقيهاً أو معلماً كان يتولى هذه العملية بنفسه أو بطلب من سكان هذه الأحياء أو القرى .

ويؤكد هذا أن المدارس ظلت متواصلة وبالطريقة ذاتها حتى في ظل أوضاع وظروف أكثر اضطراباً بما فيها العهد التركي ، الذي وجه بمقاومة مسلحة متواصلة ومع هذا تواصلت عملية بناء المدارس « ... فقد استمر بعض زعماء اليمن والقادرون من سراة القوم في بناء المدارس وتوفير متطلباتها خلال فترة الوجود التركي في اليمن ، رغم أنها اتسمت بالحروب والفتن بين اليمنيين والأتراك استمرت نمواً من (٣٨٣هـ) سنة حتى وقع اتفاق «دَّعان» عام (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) بين الإمام يحيى حميد الدين والأتراك ، وقد قام بعض الولاة العثمانيين ببناء عدد من المدارس نأتي على ذكرها في الجدول التالي :

(١) مجلة اليمن الجديد – العدد السادس – السنة التاسعة عشرة – يونيو ١٩٩٠م – ص١١٥– ١١٦

م	اسم المدرسة	مكان وتاريخ بنائها	اسم الباني	ملاحظـات
	الكمالية	مدينة زبيد	كمال بك	
	مصطفى باشا	مدينة زبيد في القرن السادس عشر	مصطفى باشا	
	السكندرية	صنعاء عام ٩٨٤هـ /١٥٧٦م	اسكندر موز	مكانها غير معروف
	العادلية	صنعاء عام ١٠٠٥هـ ١٥٩٦م	الوالي مراد باشا	خصصت لتدريس الفقه الحنفي
	البكيرية	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	حسن باشا	
	دار المعلمين	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	حسين حلمي باشا	
	مكتب الصنائع	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	حسين حلمي باشا	
	(مدرسة صناعية)			
	الإعدادية	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	حسين حلمي باشا	
	الأيتام	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	غير معروف	
	البنات	صنعاء أواخر القرن التاسع عشر	غير معروف	
	العسكرية		غير معروف	
	الصناعية	الحديدة	غير معروف	
	الرشيدية	صنعاء	حسن تحسين باشا	من أجل تخريج المواطنين

(١)

(١) الموسوعة اليمنية - ج١- ص٢٦٨

وظلت الرسالة التعليمية مستمرة من قبل اليمنيين باعتبارها واجباً اجتماعياً ودينياً وأخلاقياً .. وظلت المؤسسات التعليمية تواصل رسالتها التربوية والتعليمية من خلال بناء المؤسسات التعليمية والعلمية المتخصصة أو من خلال الأربطة والمساجد والمنازل وغيرها .

فلم « ينقطع بناء المدارس والمساجد من قبل اليمنيين القادرين وبالذات في مناطق الشمال حتى في أسوأ الظروف ، إلا أن التعليم في الجوامع كان يتراوح بين الإزدهار والتراجع تبعاً للتقلبات السياسية ، والظروف الأمنية التي كانت تسود تلك الحقبة ، وذلك لأن الدراسة في المساجد كانت تعزز الروح الوطنية وتذكي الحماس ، وتنمي روح التضحية والفداء في نفوس اليمنيين ضد الغزاة ، فقد عمل ولاة الحملة التركية الثانية على محاصرتها وبناء مدارس يغلب عليها الطابع التركي .

فقد أنشأ حسن تحسين المدرسة الرشيدية في صنعاء من أجل تخريج الموظفين واعداد الراغبين في الإلتحاق بدار المعلمين التي كانت بمثابة البديل عن حلقات الدرس في المساجد ، وخرجت المدرسة الرشيدية عدداً من الكتبة والمحاسبين، كما خرجت دار المعلمين عدداً من معلمي المرحلة الابتدائية والمدارس العلمية فيما بعد .

وهكذا نجد أن العثمانيين بنوا مدارس معينة لتلبي في الأساس احتياجاتهم الإدارية شأنهم شأن الأوروبيين الغزاة .

وعليه فإننا نلاحظ أن المدارس اليمنية خلال القرون الأربعة الأخيرة قد تقلص عددها وتضاءل عدد خريجيها وانكمش دورها في الحياة الثقافية والاجتماعية مما هيأ اليمن للدخول في مرحلة الانحطاط والتخلف الثقافي والاجتماعي»[1].

ومما تقدم يتضح الإسهام المتواضع للأتراك في العملية التعليمية وهي عملية لا ترقى إلى مستوى المؤسسات التعليمية التي وجدت في السابق وعلى وجه التحديد الأيوبيين والرسوليين والطاهريين .. واعتمد الأتراك على توفير الحد الأدنى من متطلبات وجودهم في مؤسسات تربوية اتجهت إلى حد ما نحو التخصص في أضيق حدوده ولكن ظلت بعض المؤسسات التربوية الجامعية تواصل رسالتها التعليمية في مختلف المراكز العلمية الهامة في زبيد وتعز وجبلة، وصعدة ، وحوث وغيرها من المراكز التي ظلت تؤدي رسالتها العلمية بدعم

(١) المصدر السابق – ص٢٦٩

المجتمع اليمني وعلماء اليمن ومثقفيها ولهذا تواصل تخريج العلماء والأدباء والمثقفين والمبدعين في مختلف مجالات الحياة .

المناهج في المدارس التركية :

لا يختلف التعليم كثيراً عما كان عليه من قبل ذلك إلا فيما يتعلق بإدخال السياسة التركية في الأمر ..«فكانت المدارس العثمانية هذه تُعنى بتدريس مذهب أبي حنيفة»[1].

وكان هذا العدد المحدود جداً من المدارس في الزمن التركي غير كافي ويتركز على فلسفة تعليمية واضحة .. فهي أشبه بمسكنات لحالة غليان الجماهير ليس إلا .. وإلا لما انقطعت نهائياً ولفترة زمنية طويلة من زمن الأتراك وأصبحت في الزمن الإمامي في حكم الندرة والإنقطاع .. وظلت المدارس على قلتها تدرس الفقه الزيدي وعلوم العربية بالإضافة إلى كتب المذاهب الفقهية الأخرى ، وهذا يعكس انفتاح المذهب الزيدي على المذاهب الأخرى بالإضافة إلى علوم تخصصية حددتها الأهداف الأساسية لقيام المؤسسات التعليمية التخصصية مثل المدارس الصناعية ومعاهد المعلمين وغيرها من المعاهد والمدارس التي أنشأها الأتراك ومدت سوق العمل بجزء من احتياجاته الوظيفية في هذا الإطار .

(١) الموسوعة اليمنية – ح٢ – صـ٨٤٨

٥

المبحث الخامس

الفصل الأول

المبحث الخامس

الفصل الأول

الملامح الأساسية للتعليم في عهد الاستعمار البريطاني

عاشت اليمن بعد انهيار الدويلات اليمنية وقبلها بقليل مرحلة طويلة من التخلف عكس نفسه سلباً على المستوى التعليمي الذي كان قد بلغ ذروة تطوره في العهد الرسولي والنجاحي والطاهري وغيرها من الدويلات التي واصلت رسالة الإسلام التربوية ، وحققت مستوى متقدم في إخراج التعليم إلى مستوياته الشعبية ، فأصبح بمقدور العامة الحصول على مستوى تعليمي معين .

حيث أنشئت المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها الدراسية والتحق بها عدد ليس بقليلٍ من مختلف الشرائح الوطنية ولكن ظل التعليم في هذه المرحلة أكثر ارتباطاً بالشرائح الوطنية الميسورة وبعالية القوم ، ولكن التعليم بمستوياته الدنيا ظل حقاً بمقدور العامة الإلتحاق به من خلال المسجد أو من خلال المعلامة التي وجدت هنا وهناك كضرورة لوجود الفقيه في هذا التجمع السكاني أو ذاك.

وبفضل الموقع المتميز لمدينة عدن استقر فيها العديد من العلماء والفقهاء الذين عملوا على استنهاض الواقع التعليمي فيها وتطويره « لذا نجد في عدن الكثير من المدرسين ومن مختلف الدول الإسلامية . ووجدت في عدن بالاضافة إلى المراكز الدينية التعليمية كالمساجد والكتاب والرباط والمدارس كالمدرسة السيفاتية والياقوتية والمنصورية وتطور التعليم ووسائله وأساليبه في عدن أوجد في مدارسها ما يعرف اليوم بنظام الإعادة ، فكان هناك معيدون في مدارسها يقومون بتبسيط المعلومات للطلاب بعد أن يشرحها المدرس ومن هؤلاء سالم بن عمران بن أبي السرور وأبو محمد عبدالعزيز بن أبي القاسم الأبيني .

ولأن المعلمين في عدن استخدموا مختلف طرق التدريس ليصلوا إلى الأهداف المتوخاة من العملية التعليمية فقد استخدموا الطرق التلقينية والجدلية واستخدموا طرق التعليم الفردية والجماعية ومزجوا بين أكثر من طريقة فهذا أبوعبدالله محمد بن أسعد بن عبده سعيد المقري العنسي الفقيه الغواص على

الدقائق العالم العارف بالأصول والفروع كان قبلة مدرسي عدن ومعيديها وسائر الطلاب يأتون كل يوم إلى بيته ويحضرون مجلسه فيتلقاهم بالبشر والإكرام ويلقي عليهم مسائل من الكتب التي يعانون قراءتها»[1].

ومن هؤلاء في عدن والذين وصفهم بامخرمة في كتابه من لهم رئاسة التدريس في عدن : أبوعبدالله سالم بن نصر الحرازي ، له قضاء ورئاسة الفتوى في عدن ومبارك التدريس ، حسن الخلق ، محبوباً عند الناس وقائلاً بالحق ، توفي (٧٥٦هـ) ، وأبوالحسن علي بن أحمد داؤد بن سليمان العامري وصفه بأنه مبارك التدريس .

كما أن من علماء عدن من كان يستخدم أسلوب نقل الطلاب من مكان إلى آخر لزيادة عملية الفهم وترك الملل ، فهذا العلامة محمد بن عبدالله شمس الدين الحرازي أصله من أهل الجزية (فارس) كان أعلم بأساليب التدريس الفقهية عماد الدين عيسى بن عمر اليافعي »[2].

والمعلامة في المرحلة الاستعمارية قضت إلى حد كبير على المؤسسات التعليمية واستطاعت أن تكون مؤسسات اشعاع فكري كتبت تاريخ اليمن ، وواصلت الإبداع الثقافي والفكري والديني .. وأصبح الواقع التعليمي في ظل الاستعمار نادرا جداً وربما أنه أقتصر على المعلامة أو الكتاتيب التي ظلت تؤدي رسالتها التاريخية ولم يتمكن الاستعمار من القضاء عليها نهائياً لانها كانت مرتبطة بالمؤسسات الاجتماعية الواسعة داخل الوحدة السكنية المدينة أو القرية أو الأسرة ، ولهذا أصبحت المعلامة تستمد وجودها من المجتمع ومن المسجد الذي يمثل القيمة الروحية والاخلاقية للمجتمع .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نحدد الإتجاهات التعليمية العامة في هذه المرحلة الطويلة بالمؤسسات التعليمية والتربوية التالية :

أولاً : الكتاتيب « المعلامات»

ثانياً : الأربطة

ثالثاً : التعليم الحكومي .

(١) تاريخ التعليم في عدن - صـ٨٩ -٩٠
(٢) المصدر نفسه - صـ٩٠

رابعاً : التعليم التبشيري

خامساً : التعليم الأجنبي

سادساً : التعليم الأهلي .

وهذه المؤسسات بمجموعها كونت الملامح الأساسية للمشهد التعليمي الذي أصبح يعد أكثر المشاهد التعليمية ضعفاً في تاريخنا اليمني قديماً وحديثاً .. ولكنه كان ضرورياً للتواصل مع الماضي المزدهر ، ومع رغبة المجتمع في التطور والتقدم والمعرفة .

أولاً : الكتاتيب « المعلامات»

الكتاتيب كما أسلفنا هي أقدم أشكال التعليم ، وظلت لقرون طويلة تؤدي رسالتها التعليمية وإلى عصرنا الحالي كمؤسسات تعليمية سلفية يتلقى فيها الصبيان أسس المعارف في القراءة والكتابة وهي أيضاً من أنجح المؤسسات التعليمية وأكثر جدية ولهذا نجحت أيضاً في ايصال رسالتها ، وظلت تحملها طوال هذا الامتداد التاريخي الطويل .

وقد ارتبطت هذه المؤسسات التعليمية بنظام التعليم الإسلامي وشكلت أحد مفرداته الاساسية ، ولا تزال تلعب دوراً مهماً حتى يومنا هذا . سيما في المجتمعات الريفية والبعيدة عن المراكز الحضرية ، ولا تزال أيضاً المساجد تؤدي رسالتها التعليمية في هذا الإطار وهذا دليل قاطع على أن الكتاتيب التي تشكل في العالم الإسلامي روحه التعليمي النابض، تستمد بقائها من طبيعة رسالته التعليمية ومن كونها أكثر ارتباطاً بالمجتمعات البشرية .

«والكتاب مؤسسة تعليمية في مستواها الأدنى أو الإبتدائي ، وارتبطت بالمجتمع الإسلامي ، ونشأت في أحضان حضارة عربية اسلامية وقد وجد الكتّاب منذ أن أسس الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد في يثرب «المدينة المنورة» .

ولذا فقد ارتبطت به حيث بدأ كحلقة تعليمية دينية في المسجد بغرض محو أمية الكبار الدينية واكساب الصغار مهارات أولية في القراءة والكتابة لتمكينهم من تلاوة القرآن الكريم »[1].

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ح١ – صـ٥٠

وتعتبر الوظيفة الأساسية للكتّاب «المعلامات» كما أسلفنا هو الحصول على أبجدية المعرفة ، وتتمثل وظيفتها الأساسية على تحفيظ القرآن فقط دون أن يكون هناك شروحاً لمعانيها ، وكان المدرس أو الفقيه أو سيدنا كما هو معروف في صنعاء يبذل جهوداً كبيرة لتحفيظ الأطفال الذين يكونون في الغالب في السادسة من العمر سور القرآن الكريم .. المهم هو معرفة كلام الله .. وفي الغالب يتخرج الطفل دون أن يكون قادراً على الكتابة ، وبعض المعلامات وربما الكثير منها تعلم إلى جانب حفظ القرآن الكتابة على لوح خشبي فردي صغير - يكتسب الطفل من خلاله مهارات الكتابة .. وكانت بعض المعلامات تعلم الأطفال الإملاء والحساب .. وهذه تشبه إلى حد ما الوظيفة الحديثة للمدارس الحديثة .. وربما أن هذه الوظيفة ألحقت بالمعلامات أخيراً نظراً للتأثير والإحتكاك بالتعليم الحديث واللوح من الوسائل التعليمية التي أدت وظيفة السبورة حديثاً .. وكان يكتب عليه بشرائح القصب«الجرع» الذي كان يستخدم كقلم يبرأ رأسه ثم يغمس في مادة الحبر المحضرة من دم شجرة «الصبر» بعد طبخة بالنار مع قطعة قماش داكنة «سوداء » - يفسخ لونها لمجرد أن تلامس الحبرمع مادة « السابلة» والحطم ، وبعد حفظ الدرس المكتوب على اللوح تزال الكتابة عن طريق محيه بحجرالكلس خاص «المحاية» أو «البحاحه» كما كنا نسميها نحن في محافظة تعز، «وقد عرفت الكتاتيب في الشطر الجنوبي والمعلامات على اتساع واسع شمل انتشارها حتى القرى الصغيرة والتجمعات السكانية الصغيرة جداً .. وهي مهمة جداً في تعليم الأسس الأولى للتعليم ، وهي أشبه بمراكز محو الأمية.

فالمعارف التي كونها الصبيان في المعلامات تؤهلهم للالتحاق بحلقات الدرس العليا في المساجد أو الإنخراط في مراكز العلم الكبيرة في الحواضر الرئيسية المعروفة وقتها ، سيما في زبيد وجبلة ، صعدة ، وحوث وغيرها من الحواضر التي مثلت مراكز علمية متقدمة .. حيث كانوا يتلقون تعليمهم على يد كبار العلماء ومشاهيرهم.

المهم أن هذه المؤسسات التربوية الصغيرة تؤدي رسالتها الإنسانية بهذه الإمكانيات البسيطة .

«ولما كان الكتّاب في كثير من الحالات مرتبطاً بالمسجد كما نوهنا سابقاً فإن معلمه إن كان على مستوى عالي في معارفه الدينية والعربية فهو يوزع نشاطه إلى :

١. تعليم الصبيان في الكتاب صباحاً .
٢. تعليم الكبار في شكل حلقة عصراً أو مساءً .
٣. إمامة المصلين في المسجد عند كل فريضة "[1].

(١) المصدر السابق – صـ١٢٨

الشرط الثالث لا ينطبق على الكتاتيب باستثناء بعض الكتاتيب أو الحلقات المرتبطة بالمساجد .. ففي القرى الأمر مختلفا .. فالكتاتيب هناك تكون في الغالب مستقلة أو تكون في منزل الفقيهِ المعتمد .. وفي الغالب يكون الفقيه ملماً باصول القراءة والكتابة ، والعربية أيضاً . والطفل الذي يتلقى تعليمه داخل هذه المؤسسة الصغيرة يكون أكثر قدرة على معرفة القراءة بأصولها الحقيقية .

والكتّاب إما حلقة بالمسجد أو أنها عبارة عن غرفة صغيرة مستطيلة الشكل ملحقة بالمسجد أو داخل القرية أو عشه بنيت من القش أو الحطب والأخشاب أو أنه مجمع طفولي تحت الأشجار .

المهم أن هذا التجمع يتلقى مفردات المعرفة مِن قبل فقيهٍ معروف في القرية أصول القراءة والكتابة ، وكان كل طِفل يحمل لوحاً صغيراً من الخشب يكتب عليه الدرس بحبر وأقلام مصنعه محلياً .

وللكتاتيب تسميات مختلفة في اليمن . تشتق تسمياتها من مشتقاتها اللغوية والوظيفة وعلى سبيل المثال يطلق عليها في الشطر الجنوبي من اليمن أسماء مختلفة "كالكتّاب ، والعُلمه والمعلامة" كما سمى معلمها الوحيد بأسماء عدة أيضاً مثل المعلم والشيخ والفقيه . وهي ألقاب لرتب عالية في المجتمع الإسلامي إلا أن معلمي الكتاتيب في واقع الحال هم أقل بكثير من مستوى هذه الألقاب تكويناً وعلماً وعطاءً في هذه المرحلة الابتدائية والبسيطة جداً من التعليم"(1).

وذلك حسب المستوى الحضاري لهذه المناطق . ففي النجود والصحاري حيث يتواجد البدو الرحل لا نجد أثراً لها . . وكذا الأمر في المناطق النائية الوعرة حيث التجمعات القبلية .

وبالمقابل تكثر الكتاتيب ويرتفع مستواها نسبياً في المناطق الحضرية كمدن حضرموت وأبين ولحج وعدن . وتندر الكتاتيب ويتدنى مستواها في المناطق الريفية عامة حيث يتجمع الفلاحون والصيادون .

هذا التوزيع للكتاتيب يتفق وتوزيع المساجد في مناطق البلاد نتيجة للعلاقات الدينية والتاريخية بين المسجد والكتاب وبين العلم والإسلام »(2).

وهذه الحالة تقريباً لا تخص الجنوب فقط وانما حالة عامة في عموم اليمن فاستطاع المجتمع اليمني أن يحافظ على معتقداته الدينية والمذهبية وعاداته

(1) المصدر السابق – صـ٥٠

(2) المصدر نفسه – صـ٥٠

الاجتماعية عن طريق التعليم .. المعلامة أو المسجد أو الأسرة التي ارتبطت بالمسجد وحافظت على مستوى معين من التعليم والبحث والدراسة « وللكتاتيب في مدينة تريم والتي يطلق عليها اسم (العُلم) جمع عُلمةتقاليد تربوية خاصة تحت تأثير وتوجيه فئة السادة العلويين في هذا المركز الديني المشهور في الشطر الجنوبي من اليمن .

فلكل معلامة شيخها الذي أسس وأوقف عليها الأملاك الجارية ليكون التعليم فيها مجانياً ، وانتدب لها معلماً يوُرث هذه المهنة في أسرته فعُلمة «بارشيد» مثلاً تنتمي إلى مؤسسها عبدالله بن أبي بكر العيدروس التي غلب عليها اسم عُلمة باحرمي . لأن أسرة آل باحرمي هي التي توارثت مهنة التعليم فيها . وأما عُلمة «باغريب» فتنتمي إلى مؤسسها الشيخ عبدالله أبي بكر العيدروس . وهو ابن مؤسس عُلمة بارشيد . وتتوارث التعليم فيها أسرة آل باغريب »[1].

والحقيقة أن الكتاتيب انتشرت بصورة كبيرة في عددٍ واسع من مناطق اليمن وحتى على مستوى التجمعات السكانية الصغيرة جداً .. ولكن القلة من هذه التجمعات نالت شهرة واسعة ومن الكتاتيب المنتشرة خلال عقد الثلاثينات وبعض أسماء معلميها ومناطقها نذكر الآتي :

١. كُتاب الفقيه عولقي عدن .
٢. كُتاب الفقيهة سعيدة «للبنات»عدن
٣. كتاب أحمد العبادي — الشيخ عثمان
٤. كتاب قاسم — الشيخ عثمان
٥. كتاب الشبلي — حبان بشبوة
٦. علمة باجليدة — المكلا[2]

والتعليم بحد ذاته كان بائساً ومتخلفاً ومحدوداً ولكنه كان ضرورياً لمقاومة الجهل والأمية والتخلف ولتأكيد حق المجتمع في التعليم والمعرفة والظروف الاجتماعية والسياسية والدولية التي كانت قائمة وقتها هي أحد أبرز مظاهر التخلف التربوي .

(١) المصدر السابق – ص٥١
(٢) المصدر نفسه – ص٥١

و من خلال ما استعرضناه يتأكد أن لطبيعة الحياة اليمنية القاسية قبل الثورة وأثناء حكم الدويلات اليمنية المختلفة التي تشكلت على أنقاض الدولة العربية الإسلامية التي وصل نفوذها مشارف الصين وفرنسا وغيرها من بلدان العالم القديم .. ولشدة الصراعات والثأرات والحروب التي رافقت نشوء هذه الدويلات بالإضافة إلى وقوع اليمن ضمن دائرة الأطماع الاستعمارية المختلفة .. كانت الكتاتيب هي البديل الممكن للتعليم ، والشكل الأكثر انتشاراً في الواقع والوسيلة المتبعة في المجتمع .. باعتبارها الوسيلة الممكنة والمتاحة اجتماعياً آنذاك .

وكانت الكتاتيب في الثلاثينات منتشرة في مختلف مناطق الشطر الجنوبي من الوطن . إلا أنها ليست كلها في مستوى واحد كما أنها تكثر في مناطق وتندر أو تنعدم في مناطق أخرى .

« وبعد الحرب العالمية الأولى أنشئت تدريجياً في المدن الرئيسية بعض المدارس والمعاهد الدينية لكنها لم تعمم إلا بعد الثورة في شمال الوطن والاستقلال في جنوبه»[1].

وهذا النوع من التعليم تميز بالقدرة على ايصال رسالته التعليمية في مجتمع يسود فيه الفقر والجهل والتخلف .. وكان هذا النوع من التعليم هو الممكن والمتاح لغالبية أفراد المجتمع .. لأنه ارتبط بدرجة اساسية بالتعليم الديني والعقائدي وعلى وجه الخصوص فهم القرآن الكريم وتعاليم الرسالة المحمدية .

لهذا تابع هذا النوع من التعليم «رسالته التعليمية في عقد الأربعينات من القرن العشرين الميلادي ، وقد انتشرت الكتاتيب في المستعمرة عدن ومدن محميتها الغربية والشرقية »[2].

وعدن المستعمرة التي عاشت واقعاً ثورياً رافضاً للاستعمار ومشاريعه الاستعمارية ، ومنها التعليم وفقاً للأهداف الاستعمارية . ولهذا اتجه المجتمع إلى التعليم التقليدي بأبسط أشكاله وتمثل بداية التعليم في عدن في المعلامة حيث كان يتولى «الفقيه» تدريس القرآن الكريم ، والقراءة والكتابة ، وقد عرفت المعلامة وهي أكثر مؤسسات التعليم التقليدي انتشاراً .

---

(١) الموسوعة اليمنية - ح٢ - صـ٨٨٧
(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من الوطن - ح١ - صـ١٢٨

وهذا يؤكد بأن عدن لم تعرف ما عرفته بعض المدن اليمنية الأخرى من مؤسسات كالأربطة والمراكز الدينية التي وجدت في زبيد وبيت الفقيه ، وسيئون وتريم حيث كانت المعلامة هي الوسيلة الوحيدة للتعليم في عدن قبل ظهور التعليم النظامي»[1].

كانت الكتاتيب هي المؤسسات التعليمية المتاحة في المستعمرة تطورت بعدها تدريجياً وببطئ شديد نحو التعليم المؤسسي الديني ، الأكثر ارتباطاً بالواقع الاجتماعي والموضوعي كخطوة متواضعة نحو التعليم الحديث الذي أصبح واقعاً لا مفر منه لا من قبل المجتمع الذي ظل يرفض المشاريع الاستعمارية والتعاطي معها ، ولا من قبل الاستعمار الذي لم يتمكن من مواصلة سياسة إدارة الظهر أمام احتياجات المجتمع من التعليم باعتباره حقاً انسانياً وأخلاقياً ينادي به الاستعمار جهاراً على الأقل في السلطنات التي كانت تستطع إلى حدما التوجه إلى التعليم الديني والحديث .

« في الأربعينيات برزت معاهد دينية نهارية كالمعهد الفقهي بتريم الذي تولى التدريس فيه عالم اللغة العربية عمر بن علوي الكاف ، وعالم الفقه سالم سعيد بكير . ومعهد النور بالمكلا الذي تولى التدريس فيه الشيخ عوض بلقدى. إلا أن رباط تريم ذا القسم الداخلي ظل هو الأرقى والأكثر ازدهاراً ، وقد بلغ عدد طلبته (١٩٤٤م) (٢٠٠) طالب معظمهم من شمال اليمن والمحمية الغربية المبعوثين من جزر الهند الشرقية من أبناء المهاجرين الحضارم »[2].

والتعليم السلفي أيضاً يمر بمستويات ومراتب مختلفة .. تتفاوت في مستوياتها التعليمية ، وبطرق وأساليب الدرس فيها ولكن المستوى البدائي العادي أكثر انتشارًا وتوسعاً والمستويات المتقدمة تكون في الغالب في المناطق الحضرية المعروفة باهتمامها بالعلم والعلماء .. «وهكذا نجد أن التعليم السلفي قد تضمن مستويات متدرجة كتاب بدائي - كتاب أرقى - معهد ديني - رباط .

ووفقاً لهذه المستويات يتدرج مستوى عناصر العملية التربوية التعليمية الأساسية آلا وهي المبنى والمعلم والمحتوى التعليمي والإدارة . غير أن هذا التدرج لايخضع لسلم تعليمي أي أن هذا التدرج لايعبر عن مراحل دراسية يبنى فيه اللاحقة على السابقة »[3].

(١) مجلة اليمن - العدد (٢٥) - صـ١٠٦
(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن - صـ١٢٨ -١٢٩
(٣) المصدر نفسه - صـ١٢٩

التعليم في المعلامات كان بدائياً وبسيطاً ومكثفاً والهدف منه أولاً هو حفظ القرآن الكريم باعتباره كلام الله عزوجل وثانياً تشكيل وعي الصبيان بأبجدية القراءة والكتابة «والتعليم في المعلامة يتخذ أسلوب التعليم الفردي ، إذ يعلّم كل طفل على حد لاختلاف مسيرة كل طفل عن الآخر في قراءة القرآن . وتفاوتهم في القدرة القرائية وعندما يصل الطفل إلى نهاية (جزء عم) يعمل له أهله (زينة) فيتزين الطفل ويدعو زملاءه لتناول وجبة الغداء في بيته ، وفيها يكافأ المعلم على مجهوده ، وتسمى المناسبة في صنعاء بـ (الرفقاش) [1].

ويختلف أسلوب احتفال الصبيان من معلامة إلى أخرى ، ومن منطقة إلى أخرى أيضاً .. ففي بعض المعلامات عندما ينتهي الطفل من ختم القرآن يقيم حفله متواضعة يسلم خلالها شهادة خاصة يعدها أحد أبناء المنطقة . تكون مزخرفة بألوان متميزة ويحملها الطفل المعني على مقوى ورقي ويطوفوا بها بالقرية أو بجزء منها والأطفال من حوله يرددون الأناشيد . ينتهي بهم الأمر في الأخير إلى منزل الطفل المعني لشرب الشاي والقهوة ، وتناول البسكويت والشوكولاتة .

وليس هناك وقت محدد للدراسة في المعلامة .. فكل معلامة لها ظروف ونظام خاص .. فالبعض منها تفتح أبوابها للأطفال من الصباح الباكر وحتى صلاة الظهر .. والبعض عصراً .. والبعض « منذ الصباح الباكر وحتى وقت صلاة الظهر ، ثم يسمح لهم بمغادرة المعلامة لتناول الغداء في بيوتهم ، وبعد الغداء يعودون مرة أخرى إلى المعلامة ويظلون فيها حتى وقت صلاة العصر ، وفي هذه الفترة يطلب المعلم من الأطفال الكبار تعليم من هم أصغر منهم لغرض مراجعة مادرّسهم في الصباح »[2].

والفقيه أو المعلم لا يتقاضى « أي أجر رسمي مقابل تعليمه للصبيان ، بل يعتمد على ما يدفعه له الصبيان من نقود في آخر الأسبوع غالباً ، وتسمى في صنعاء « حق الخميس»[3].

وقد اتسمت الأوضاع الاجتماعية والثقافية في ظل الهيمنة التركية في الشمال والبريطانية في الجنوب بالرتابة والجمود ، وسادت حالة من الترقب والخوف نظراً لما أحدثه الاستعمار من عزله اجتماعية وسياسية في الواقع اليمني

---

(١) الموسوعة اليمنية – حـ٢– صـ٨٨٧
(٢) المصدر نفسه – صـ٨٨٧
(٣) المصدر نفسه – صـ٨٨٧

الذي كان ساحة علمية وثقافية وابداعية واستقطاب لمختلف الحركات الثقافية والاجتماعية والمذهبية ،وهذا أحدث حالة من التطور الثقافي والفكري .

وأصبحت الكتاتيب أيضاً في هذه المرحلة غير قادرة على تغطية هذا الفراغ الثقافي والفكري ، أو تحيكه بحكم أنه لايؤدي وظيفة تربوية وتعليمية كاملة ، ولا يقوى على ذلك وهذه مسألة طبيعية جداً فالكتاتيب لايمكن أن تؤدي وظيفتها كاملة إلا من خلال حركة ثقافية وفكرية كاملة وهو ما غاب فعلاً عن المشهد اليمني .

اذاً الجمود الثقافي والفكري الذي ساد له مبرراته الموضوعية والذاتية ، «ونظراً للعزلة الجغرافية والحضارية التي عاشتها اليمن عموماً أثناء الوصايا التركية ، ثم الاحتلال البريطاني تجمدت الحياة الفكرية والعملية ، وخمدت شعلة نشاطها التعليمي وأصبحت الكتاتيب وهي مؤسسات تعليم الصغار مجرد خدعة لأذهان الأطفال دون تفتحها . كما أصبحت الزوايا منزوية يرتادها عدد قليل من طلبة العلم.

وعلى الرغم من هذه الوضعية القائمة إلا أن للكتاتيب كان دوراً أساسياً وبديلاً لهذه الحالة القائمة ، فقد ظلت تمارس رسالتها العلمية وتشيع الأمل في بيئة اجتماعية ربما أنها فقدت هذا الأمل .

والكتاتيب ليست موحدة ولم تخضع لسياسة تعليمية واحدة وانما تخضع لرؤية المعلم أو القائم عليها ، وثقافته . وكذا ثقافة المحيط الاجتماعي القائم .

«وليست الكتاتيب كلها في مستوى واحد من حيث المهارات والمعارف التي تقدم للصغار بالرغم من بساطتها ضمن التمكن من قراءة بعض سور المصحف الكريم وآياته ، وحفظ بعض من الأناشيد ـ لا يلبث أن يرتد الصغير بعدها على الآية بمجرد مغادرة الكتاب والإنخراط في الحياة ـ إلى توسع أكثر في تعليم القراءة والكتابة والعبادات وختم القرآن وتعليم بعض العمليات الحسابية البسيطة . حيث تعين هذه الثقافة البسيطة الصغير في حياته العملية ، أو تدفعه لتطوير ذاته في دراسة لاحقة .

وتعدالكتاتيب مؤسسات تعليمية تقليدية انتشرت وفقاً لرغبة المجتمعات المحلية ، وعلى مستوى التجمعات السكانية .. وحينما يوجد الفقيه أو المتعلم توجد الكتاتيب .. وهذا الفقيه هو الذي يحدد السياسة التعليمية لهذه الكتاتيب وفي الغالب يقوم الفقيه فيها بتعليم الأطفال في سن الطفولة وحفظ القرآن الكريم والكتابة والحساب والإملاء في أفضل الحالات .

ثانياً : الأربطة الإسلامية :

الأربطة في الإسلام مؤسسات تعليمية وجهادية ارتبطت بالعلم والعقيدة الدينية والجهادية والإسلامية .. وعلى وجه الخصوص التوسع الذي حدث للدولة الإسلامية ، وللأربطة في الإسلام ، «ولكلمة رباط مفهوم اسلامي ويعني التوجه والإقامة للقيام بعمل جلل وعظيم ويتطلب الصبر والجهد ورباطية الجأش .

فالرباط من أجل الجهاد ، والرباط من أجل العلم ، عملان عظيمان ومتكافآن من وجهة النظر الإسلامية . وذلك لأهميته الكبرى التي يوليها الإسلام للعلم والجهاد . قال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقال تعالى أيضاً : «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزوة في طلب العلم أحب إلى الله من مئة غزوة» .

والجبهتان العسكرية والتربوية تتطلبان المرابطة والسهر الدائمين ، وقد شهد المجتمع الإسلامي مرابطين على الثغور الإسلامية يحمون حدود الوطن الإسلامي، ومرابطين في مواقع يتعلمون ويعلمون »[1].

وللرباط مفهوما أساسيا تربوي وجهادي وكلا المفهومين انطلقا من الأصل اللغوي للرباط والمرابطة سواءً لغرض الجهاد في سبيل الله أو الدراسة والتعليم.. ومن هذا المنطلق أطلق اليمنيون في كل من الشمال والجنوب على المؤسسات التعليمية بالرباط .. « التي يقصدها طالب العلم ويرابط فيها مثابراً ومجداً وملازماً لحلقات الدرس فيها . وحال كثير من طلبة هذه الأربطة الذين تحملوا عناء الغربة والسفر للدراسة يشبه حال المجاهدين المرابطين الذين تركوا ديارهم وأهليهم ويأتون ساهرين يحمون الثغور» [2].

مما تقدم يتضح بأن الأربطة منشآت تعليمية انتشرت في عموم اليمن . يتعلم فيها الطلاب ويقيمون فيها ، تقدم لهم العلم والأكل والشرب والمسكن .. وهي اشبه بالمعاهد أو المدارس الداخلية اليوم .. والرباط في اللغة مؤسسة عسكرية يرابط فيها الجيش وهي المعاهد الموقوفة للفقراء .

«والرباط في اليمن : مدرسة داخلية يشبه الكلية اليوم يدرس فيه الطلاب ويتناول - غالباً - طعامه وشرابه على نفقة الرباط من الوقفيات المخصصة له ،

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي - ح١ - صـ٥٢
(٢) المصدر نفسه - صـ٥٢

وكان ساكن الرباط (وهو المرابط والجمع مرابطون) يتطوع فينذر نفسه للدفاع على دار الإسلام.

وقد تغير مفهوم الرباط كمؤسسة عسكرية واكتسب في بعض البقاع مفهوماً صوفياً أكثر منه عسكرياً . حيث يقوم المرابطون بأداء الرياضة الصوفية الروحية بدلا من التدريبات العسكرية ومن الأربطة ما تحول في آخر الأمر إلى ما يشبه الخانقاة في العصر الرسولي في اليمن وهو وظيفة كل منها ، إذ لم يكن السلاطين يرعون الأربطة كما كان الحال عليه في دار الإسلام عموماً لدى نشأتها ، وانما كانوا يرعون المدارس وينفقون عليها بسخاء ويتركون الأربطة تدير شئونها بنفسها، وبرعاية مشايخها من أهل العلم ورجال الصوفية »[1].

والأربطة أيضاً تجمع بين مفهومين .. مدرسة للعلم والإقامة ، ومعسكرات لإقامة الجند والمتطوعين للدفاع عن دار الإسلام . . مؤسسة تعليمية مدنية ومؤسسة عسكرية ومكان للعبادة والزهد .. وتعتمد في مصروفاتها على المشائخ والإدارة الذاتية لها .

والأربطة انتشرت بصورة ملفته للنظر في عدد من المناطق وعلى وجه الخصوص في العهد الرسولي .. وهو العهد الذي بلغت الحركة الثقافية والتعليمية فيه أوج ازدهارها «ومن الأربطة المعروفة في العصر الرسولي في عدن رباط الشيخ أبي الغيث الذي أوقف السلطان الأشرف اسماعيل أرضاً بوادي لحج على الشيخ القائم بالرباط المذكور ورباط الفقيه الصوفي أبي بكر بن أحمد المخزمي ، ورباط بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق الصوفي ، ورباط الشاذلية ، وفي لحج وزبيد وغيرهما أربطة أخرى .

وأقدم رباط في حضرموت هو رباط العلامة (علي محمد الحبشي) الذي أسسه عام (١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) في مدينة سيئون وكان يعرف برباط سيئون ، ثم تلاه رباط تريم ورباط غيل باوزير .

وكان رباط تريم - يعرف بـ (أزهر حضرموت) - قد أفتتح في ١٤ محرم (١٣٠٥هـ /١٨٨٧م) وتخرج منه العديد من العلماء والطلاب من حضرموت وغيرها من مناطق اليمن . والجزيرة العربية ومن الصومال وزنجبار والملايو واندونسيا .. وغيرها وكان على رأس هذا الرباط في مرحلة من مراحله العلامة عبدالله بن عمر الشاطري .

(١) الموسوعة اليمنية – صـ٤٧٧- ٤٧٨

أما رباط غيل باوزير فقد أنشأه الشيخ العلامة محمد بن عمر بن سالم حوالي عام (١٣٢١هـ /١٩٠٣م) وقد تخرج منه علماء كبار ووعاظ ومرشدون »[(١)].

وهي عبارة عن مؤسسات تعليمية متقدمة كان يصل إليها طلاب العلم بعد مرحلة من التحصيل العلمي والفكري وكان الطالب يتلقى فيها العلوم الفقهية والعلمية المتقدمة ، وهناك الكثير من الأربطة المعروفة والمشهورة .

ويعطي كرامة مبارك مفهوماً أكثر واقعية للأربطة والتي انتشرت في عموم العالم الإسلامي كمؤسسة تعليمية خاصة بتعليم الكبار تعليماً عالياً في علوم العقيدة والشريعة الإسلامية وعلوم اللغة العربية .

وقبل أن تظهر الأربطة كان طلاب العلم بعد أن ينهوا تعليمهم الأولي في مساق تعليم الصغار أي في الكتاتيب وما شابهها يتجهون إلى حلقات الدروس في المساجد أو الزوايا أو في البيوت حيث يتولى التدريس في مثل هذه الحلقات علماء على مستوى عال من المعارف الدينية والعربية والذين يتولون شرح ومناقشة أمهات الكتب المؤلفة في هذين المجالين . ويلجأ الطالب الطموح لإغناء معارفه العلمية وبالتالي رفع مستواه إلى ارتياد أكثر من زاوية وأكثر من حلقة لكي يتتلمذ على أكثر من أستاذ وشيخ وأن يتعلم ذاتياً لتوسيع وتعميق معارفه مستفيداً من المكتبات المتاحة أمامه»[(٢)].

وكانت توجد بين هذه الأربطة علاقات واسعة بحكم العلاقة التي كانت تربط العلماء والمفكرين من علاقات علمية واسعة فهذا الأسلوب من التعليم كان له تأثيره الواسع وثماره المفيدة على الكثير من طلاب العلم .. « هذا النوع من التعليم والتأهيل القائم على التلمذة على يد شيخ .. وهو العالم العارف سواء في حلقة مسجد أو في زاوية ملحقه به من جهة ، وعلى التعليم الذاتي من جهة أخرى هو الذي انتج جيلاً من الفقهاء والأدباء والمؤرخين وعلماء اللغة العربية في الشطر الجنوبي من اليمن قبل الإحتلال البريطاني له .

ولقد كانت هناك علاقات ثقافية وفكرية متبادلة بين المراكز العلمية في اليمن. كـ تريم ، وعدن ، وزبيد ، وصنعاء يتبادل علماؤها الزيارات والمراسلات لإغناء معارفهم وزيادة معلوماتهم حيث يعتبر الواحد منهم نفسه عالماً ومتعلماً باستمرار وقد احتوت المكتبات الحضرمية على مؤلفات علماء الزيدية»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق – صـ٤٧٨

(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – جـ١ – صـ٥٢ –٥٣

(٣) المصدر السابق – صـ٥٣

وتتولى الدولة وأصحاب الخير انشاء هذه المؤسسات التعليمية المتقدمة ، وهي في الغالب تنشأ في المراكز الحضرية ، حيث يدرس فيها أصول الدين والفقه والمذاهب والألوهيات وغيرها من الوسائل التي يتوافد إليها طلاب العلم من كل مكان وتوفر الأربطة لنزلائها من التعليم والسكن والأكل والشرب وغيره .

المدرسة الحديثة في عدن

تحدثنا فيما مضى عن المدرسة الإسلامية التي وجدت مع الإسلام وازدهرت في ظل الخلافتين الأموية والعباسية وأصبحت تتمتع بقوة الحضور الثقافي والفكري في ظل الدويلات التي نشأت في اليمن على أنقاض الدولة الإسلامية الواسعة وعلى وجه الخصوص في ظل الدولة الرسولية والتي ظهرت فيها المدرسة بقوة وأصبحت ذات قدرة واسعة على تحقيق أهدافها العلمية ، وأسهمت في تطوير الحركة العلمية والفكرية بصورة عامة .

ولكن الحديث عن المدرسة هنا مختلف إلى حد كبير سيما هذه المدرسة والتي نقصد بها المدرسة الحديثة والتي تأتي بعد مرحلة طويلة من الرتابة والجمود وانهيار المؤسسات التعليمة بمختلف أشكالها .. إلا أن استمرار المجتمع اليمني بالتمسك بحضارته وقيمه الإسلامية أبقاه على ممارسة بعض الأشكال التعليمية القديمة المتمثلة بالكتاتيب كما أسلفنا والأربطة فيما بعد .. إلا أن هذا النوع من التعليم كان لايفي باحتياجات المجتمع ، ومتطلباته في التطور والتقدم .. الأمر الذي حذا بالمجتمع الاستفادة من الخبرات التي تراكمت لدية من بلدان الإغتراب التي كان يذهب إليها مجبراً ومدفوعاً بالبحث عن الحرية والكرامة و التعرف على المدرسة الحديثة والتي سنتناولها هنا في محاولة للتعرف على بدايتها الأولى ومراحل تطورها .

والمدرسة التي نقصدها هنا هي المؤسسات التعليمية النظامية أو الأهلية وتعتمد على الوقفيات او التمويل المباشر من قبل الدولة أو الأشخاص أو الجمعيات والهيئات الرسمية والخيرية والأهلية وغيرها شأنها شأن المؤسسات التقليدية البسيطة التي تناولتها في الصفحات الماضية والمدارس والكليات على العكس من الكتاتيب تعتمد على كثافة المادة التعليمية ونوعيتها وترتبط بسياسة الدولة أو القائمين عليها .

والمساجد في الغالب تكون عبارة عن مؤسسات تعليمية .. فالمسجد أو الجامع يمكن ان يكون مدرسة والمدرسة مسجداً .. فبينهما روابط جدلية تكونت عبر التاريخ . فالمدرسة عندما ظهرت كانت محدودة وكان الإقبال عليها يتم بصعوبة والمجتمع كان يرفض المؤسسات أياً كان نوعها تعليمية أو غير تعليمية تأتي

عن طريق الاستعمار والمدارس التي وجدت وقتها جاءت بهدف تلبية سياسة الاستعمار الاستيطانية فقد حاول من خلالها الاندماج في المجتمع الذي كان يرفضه بقوة .

ولكن الناس وبفضل التطور والانفتاح على العالم يتطلعون إلى مستوى الحياة التي يعيشها غيرهم في بقية بلدان العالم ، وعلى وجه الخصوص البلدان المتقدمة والتي تعرفوا عليها من خلال الهجرة ومن خلال ما يروى عنها كتعبير عن مستويات التحولات الثقافية والسياسية والفكرية والاجتماعية والإنسانية التي يعيشونها .

ولهذا بادر الكثير من أفراد المجتمعات المحلية إلى انشاء المدارس بامكانياتهم الذاتية . سيما في المناطق الحضرية التي كان الوعي الاجتماعي فيها متقدما أو تلك القريبة من المراكز الحضرية ، وقد أدى الانتعاش التجاري الذي شهدته مدينة عدن منذ عشرينيات القرن الماضي ، وربما من قبلها بقليل بالاضافة إلى الاحتكاك الثقافي بين اليمنيين والوافدين اليها من مختلف الجنسيات والثقافات الإنسانية إلى جانب الهجرة النوعية التي ظهرت آنذاك في أوساط المثقفين والعلماء والفئات التي وجدت في موطن المهجر حركة تعليمية وثقافية من نوع جديد حدث في الواقع العدني ما يشبه هذه الصحوة التي أسفرت عن قيام مجتمع مدني يحمل مقومات التطور وعلى وجه الخصوص تكون عدد من النوادي الثقافيةوالاجتماعية والرياضية والخيرية وغيرها من المؤسسات الثقافية التي نشطت المجتمع وحشدت طاقاته في اطار بناء وتأسيس المدارس التي أسست لمجتمع جديد يتطلع إلى آفاق مستقبلية أكثر وضوحاً ، وتحت هذا العنوان سنتحدث بايجاز شديد عن أربعة أنماط من المدارس هي :

١. المدارس الحكومية .
٢. المدارس الأهلية .
٣. المدارس التبشيرية .
٤. مدارس الجاليات الأجنبية .

باعتبار أن هذه المؤسسات تعكس حقيقة المشهد الثقافي والتربوي القائم آنذاك وكذا التركيبة الاجتماعية والثقافية والدينية لمدينة عدن وتأثيرها الثقافي على اتجاهات المجتمعات المحلية في المحميات . وسوف نتناول هذه المنوعات تباعاً في المواضيع التالية :

١ : التعليم الحكومي :

أسهم الاستعمار البريطاني مجبراً وبحدود ضيقة جداً في الجانب التعليمي وعلى وجه الخصوص التعليم البدائي والتعليم المتوسط لأن هذا النوع من التعليم لايحدث نهضة علمية أو ثقافية أو تنموية وانما يفتح مدارك الناس على أسس لابد من تعليمها لكي يتمكنوا هؤلاء من الإنخراط في الواقع الاجتماعي والتنموي المحدود جداً ، وهو بهذا يحقق أهداف الاستعمار في الحصول على مستخدمين محدودين جداً .

والتعليم في هذا العصر أياً كان شكله أو نوعه فهو لايجري بعيداً عن النظرة الاستعمارية . فالاستعمار لايفكر بالتعليم ولاينزع نحوه لأن التعليم يعني بالنسبة له هو ايقاظ الناس من سبات طويل ، ولكنه لا بد وأن يتعامل مع هذا الموضوع بطريقة تجعله يبدو في نظر الناس بأنه مهتم بالتعليم ، ولكن ينبغي ان تكون المؤسسات التربوية التي سيعمل على إنشائها تحقق له أهدافه الاستعمارية وتمكنه من التعامل مع أفراد المجتمعات المحلية . وفي ضوء ذالك وجدت بعض المؤسسات التعليمية التي أراد من خلالها أن يقول للآخرين بأنه أكثر تحضرا وتطورا وتقدماً وأن ديانته هي الأفضل والأقدر على استيعاب مخرجات الحضارة الإنسانية ، وهذا غير ممكن من دون تعليم اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة وثقافة وحضارة وتاريخ الإمبراطورية العظمى التي لاتغيب عنها الشمس .

والأهداف التبشيرية هي من اقوى الأهداف الاستعمارية. والمدرسة تمهد لهذه الاهداف وأول مدرسة استعمارية « تم افتتاحها من قبل سلطات الإحتلال الإنجليزي عام (١٢٧٣هـ /١٨٥٦م) أي بعد احتلال عدن بـ (١٧عاماً) بناءا على إقتراح المستشرق الإنجليزي (جي - ب - يدجر) وفقاً لأهداف تبشيرية ، وسعياإلى توفير عدد محدود من أبناء المنطقة يجيدون اللغة الإنجليزية لتسهيل مهمة اتصالات البريطانيين بالمواطنين المحليين وتأمين بعض الموظفين للإدارة البريطانية ، حيث كان معظم تلاميذ تلك المدرسة من ابناء جنود الوحدة الهندية وعدد قليل من أبناء المنطقة وقد سميت تلك المدرسة حينها بـ(مدرسة) الإقامة في عدن واستمرت لمدة عامين فقط ولم يكن اسم المدرسة صدفة وانما مرتبط بالأهداف الاستراتيجية الاستعمارية المرتبطة باغتصاب البلد والتشبث به .

«وفي عام (١٨٦٦م) طلب الكولونيل سيرويذر المقيم السياسي آنذاك الإذن وتحصل عليه باعادة فتح المدرسة الحكومية الابتدائية في عدن وفي البداية كما كان متوقعاً لم يتجاوب إلا القليل من سكان المستعمرة وخلال العامين الأولين فإن تقدم المدرسة لم يكن مرضياً بأي حال من الأحوال .

فمعظم التلاميذ كانوا من أبناء جنود الوحدة الهندية في الجيش البريطاني المعسكرين في عدن ، ولم يكن في سجل المدرسة سوى ستة تلاميذ فقط من المدينةِ ذاتها ، وخلال الأربع سنوات الثانية ... ارتفع الحضور من (٢١-٥٠) تلميذاً وسرعان ما وجد التجار الفائدة من التعليم الإنجليزي فقد استطاع بعض التلاميذ الحصول على وظيفة في المكاتب الحكومية ، وبالتدريج بدأ حتى العرب يرسلون أبناءهم إلى المدرسة وخلال الأربع السنوات الأخيرة فإن المدرسة قد أصبحت تضم تلاميذ من كل الطبقات والمذاهب»[١].

وكان الواقع التعليمي في المدرسة في حالة عالية من التردي، والضعف وهذا الضعف انما يعكس حقيقة السياسة الاستعمارية فهي تتعامل مع الأمر بحذر شديد قوبل بحذر مماثل من الرؤساء العرب المستهدفين أساساً من بريطانيا العظمى وبالمثل تعامل معها المجتمع بحذر وريب يصل حد المقاطعة على الرغم من شغفهم بالتعليم وحاجتهم الملحة له.

وقد كان الاقبال عليها محدوداً جداً وغالبيتهم كانوا من جنسيات مختلفة نظراً لشعور المجتمع بأن الاستعمار يريد من هذا طمس الهوية العربية والإسلامية لعدن .

وفعلاً أصبحت هناك جنسيات غير عربية كثيرة تتمتع بخصائصها الثقافية وتشكل الهوية الاجتماعية للمستعمرة عدن وهذا ما يؤكده واقع هذه المدرسة عام (١٨٧٧م) .. فقد كانت جنسية الدارسين فيها على النحو الآتي :

م	الجنسية	العدد	ملاحظات
	فرس	٩	
	بانيان	٨	
	خوجه	٢	
	مهمن	٧	
	بهري	٥	
	يهودي	٣	
	عرب	٥	
	مسلمون آخرون	١٥	
	مسيحيون محليون	٦	
	المجموع	،٦٠	(٣)

(١) الإكليل – العدد (١) – صـ٩٦ -٩٧

وكانت المدرسة تعمل طبقاً «للنظام المعمول به في رئاسة بومباي وتحتوي الدروس على التواريخ الابتدائية لإنجلترا أو الهند وروما والكتاب الأول من أقليدس والجغرافية والحساب والجبر »[1].

ولم تكن هذه الاهداف خافية على أحد بل هي معروفة يؤكدها الإنجليز أنفسهم ، وهذا ما أكده أيضاً القسيس يدجر الواضع الأول للسياسة البريطانية في الأرياف المحيطة بعدن وبالتالي منشئ (الدائرة العربية) المكلفة بتسييس الشئون القبلية .

«لقد كان الهدف من فتح المدرسة الابتدائية الأولى في عدن هو من أجل أن تثبت وتنشر تأثيرها في طول وعرض أراضي الداخل ، ثم تجذب أبناء الرؤساء ليقيموا اتصالات مستمرة مع البريطانيين في عدن بالاضافة إلى تخريج كتبة عرب للإدارة البريطانية»[2].

وكان أيضاً من المؤمل بأن الرؤساء العرب المحيطين بعدن سيستفيدون من المؤسسة في تعليم أبنائهم وأنه مع مر الزمن فإن بعض التعصب المتأصل عند معظم العرب ضد الشعوب صاحبة الأديان الأخرى لربما يعدل أن لم نقل يزال نهائياً»[3].

هذا الهدف في تقديري كان أكثر الأهداف البريطانية الحاحاً على انشاء هذه المدرسة لأن الاستعمار لاقى مقاومة شرسة تزداد ضراوة كلما مرت الأيام ولهذا كانت السياسة الاستعمارية هنا مضطربة وغير قادرة على الإندماج في المجتمع الذي ينظر لبريطانيا باعتبارها غازية ومستعمرة ، ولا تقدم للمستعمرين إلا الدمار والذل والمهانة.. وكان لا بد وأن يبحث عن وسائل مخرجة من هذه الأزمة وتقربه من الناس .. ولهذا يمكن التغاضي عن انتشار بعض الكتاتيب أو فتح مدارس في مستواها ليعطي فكرة عن احترام الاستعمار لخصوصيات المجتمعات الأخرى وثقافتها . سيما وقد ظهرت بعض المدارس والمؤسسات التعليمية التابعة للجاليات الأجنبية والمذاهب الدينية الأخرى فوجود مدارس للجاليات وأخرى للأرساليات معيباً للاستعمار ومحرجاً له .. فكيف سيقبل الآخرون وجود مدارس للإرساليات دون أن تكون هناك مدارس وطنية موازية تعلم الناس أصول القراءة والكتابة ، وعقائد المجتمع الدينية ، ولو في حدها الأدنى .

---

(١) المصدر السابق – صـ٩٨
(٢) الإكليل – العدد (١) السنة (٢) صيف ١٩٨٣م – وزارة الإعلام والثقافة – صنعاء – صـ٩٦ –٩٧
(٣) المصدر نفسه – صـ٩٧

وهذه المدارس بنظامها التعليمي وطبيعة القائمين عليها تعطي فكرة واضحة عن حقيقة التعليم في المستعمرة عدن .

فالصورة التعليمية التي كانت قائمة في عدن معتمة جداً ولاتعبر عن واقع المجتمع اليمني الذي أعطى التعليم اهتماماً خاصاً ، وازدهرت المدارس فيها تاريخيا ، وقدمت الكثير من العلماء والأدباء والشعراء الذي نبغوا في أكثر المراحل قتامة .

وتواصل افتتاح المزيد من المؤسسات التعليمية التي تطورت وأصبحت تتمتع بحضور اجتماعي ميز عدن عن غيرها من المحميات ، ولهذا مبررات ذاتية وموضوعية يدركها الكثيرون وعلى وجه الخصوص تلك المبررات التي جعلت من عدن مركز حضري ، ومستعمرة بريطانية ذات أهمية خاصة ، وأي محاولة استعمارية لتجهيل أبناء عدن سيسبب لها احراجاً كبيراً على مستوى القوى الحليفة له في الداخل وبالذات من الأسر العدنية التي بدأت تتطلع إلى دور أفضل في الحياة السياسية والاجتماعية وإلى احتلال موقعها الريادي في المجتمع كقوى يعتمد عليها الاستعمار ويستمد من خلالها وجوده ومشروعيته وعلى مستوى الخارج فإن تهميش أبناء البلد وتجهيلهم يسبب احراجاً لبريطانيا التي تعتبر نفسها الأفضل بين القوى الاستعمارية ولديها مشروعاً حضارياً متميزاً .

فالوضع التعليمي في عدن إلى الثلث الأول من القرن العشرين كان بائساً جداً ومعتماً جداً . وهو يعكس بوضوح الواقع الاستعماري . فخلال الفترة ما بين عام (١٨٦٦ وحتى عام ١٩٠٠م) من القرن الماضي لم يفتح الإنجليز غير مدرستين : الأولى في منطقة المعلا عام ١٨٧٩م والثانية في التواهي عام ١٨٨٠م إلى جانب فتح مدرستين كاثوليكيتين وبعض المدارس للجاليات الأخرى ، الهنود والصومال واليهود وكان عدد المدارس في منتصف الثلاثينات أي قبل انضمام عدن إلى وزارة المستعمرات البريطانية وبعد مضي مائة عام على الاحتلال والتبعية للهند قليلاً للغاية فالمدارس الحكومية في المستعمرة لم تزد عن أربع مدارس أما الابتدائية المعانة فكانت ست مدارس »[1].

كان الإقبال على الدراسة في المدارس الإنجليزية يسير ببطء شديد جداً تحسن تدريجيا بعد أن قام الاستعمار بتوظيف بعض خريجي هذه المدارس بعد أن أصبحوا يجيدون الحديث باللغة الإنجليزية .

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) ٢٠٠٧م – ص١٠٦ -١٠٧

« وقد تم تأسيس مدرسة عربية حكومية في ذات الوقت التي تأسست فيها المدرسة الإنجليزية وتقوم بدعمها كل من الحكومة والبلدية تدفع الحكومة (٤٨٠) والبلدية (٨٢٠) روبية في العام ويبلغ عدد تلاميذها (١٣٠) ولداً و(٢٠) فتاة ، والدراسة فيها بالمجان وكما هي العادة في البلدان الإسلامية . فإن الدراسة فيها تتم بواسطة القرآن الكريم . وقد أدخلت فيها مؤخراً مواد غير دينية في القراءة والكتابة ومبادئ الحساب . وقلما تتعلم البنات أكثر من القراءة لأنهن يتركن المدرسة في سن الثامنة »[1].

فالبلدية هنا أسهمت للمدرسة بضعف المبلغ الذي تدفعه الحكومة ، وهذه المشاركة المحدودة تعكس حقيقة الوضع القائم ونظرة الاستعمار للتعليم .

ولكن الأمر لا يظل كما هو فكلما ارتفع الوعي كلما كانت احتياجات المجتمع للتعليم تشكل ضغطاً على الاستعمار وهذا الضغط سيؤدي بالضرورة إلى احداث تقدم في أسلوب تعاملاته .

لقد انتشرت خلال هذه الفترة عدد من المدارس الخاصة في المستوطنة وهي عادة ما تكون ملتحقة بالمساجد وكل فقيه يقوم بتدريس حلقة تتراوح بين (١٥ -٢٠) تلميذاً مقابل رسم عانتين في الشهر يأخذه من كل واحد .. وفي المعلا هناك مدرسة مشابهة خاصة بأولاد الصومال وتعلم الكتابة في هذه المدرسة التي تقع في بيت متواضع . ولليهود ثلاث مدارس يديرها أفراد خصوصيون ولايتقنون فيها سوى دروس ديانتهم .

ويبلغ تلامذة هذه المدارس اليهودية الثلاث (١٢٥) تلميذاً [2] الإدارة البريطانية شعرت كذلك بأهمية الحاجة إلى كوادر إدارية متخصصة ، ولكن هذه الحاجة ينبغي أن تكون في خدمة أهدافها .. فالتعليم الآن أصبح ضرورة اجتماعية لابد من التعاطي معه بموضوعية ، ولهذا أنشئت مدرسة «السَّيلة» بمقر المتحف العسكري بكريتر وفي عام (١٣٤٠هـ /١٩٢١م) عين أول ناظر لمعارف عدن هو (عطاء حسني) من أصل هندي ، وعين بدوره مساعداً له من أصل فلسطيني هو الأستاذ (طاهر حمزة) وقد بذلا جهوداً طيبة في سبيل النهوض بمستوى التعليم، واهتم الأخير باللغة العربية كلغة أولى باعتبارها لغة الشعب .

وتم في عهد عطاء حسني هذا افتتاح مدرسة ليلية لتدريب المعلمين ، وقد تقدمت أول دفعة من الطلاب لنيل شهادة (السَنيرُلمبردج) كما أرسلت أول بعثة

(١) مجلة الإكليل – العدد (١) – ١٩٨٣م – صـ٩٨ -٩٩
(٢) المصدر نفسه – صـ٩٩

للدراسة في بريطانيا ، وعاد معظم أفرادها للعمل في حقل التدريس»[1].

في هذا العهد وبالتحديد منذ عام ١٩٢١تحسن وضع التعليم الحكومي بشكل ملحوظ .

وزاد عدد سنوات الدراسة وتحسن وضع اللغة العربية ومادة الدين ، وقد أرسى عطاء حسين الذي استمر مديرا لمعارف عدن حتى عام ١٩٣٠م نظاماً تربويا وفقاً والنمط الهندي الذي يقسم التعليم العام إلى مرحلتين هما :

١. المرحلة الابتدائية : ومدة الدراسة فيها من (٤–٥) سنوات دراسية .

٢. المرحلة الثانوية : ومدة الدراسة فيها من (٥–٦) سنوات دراسية «[2].

ونستطيع التعرف على خارطة التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية عام ١٩٢١م من خلال الجدولين التاليين :

أولاً : المدارس الإبتدائية :

م	المدرسة	المنطقة	ذكور	اناث	المجموع	النوع
	المدرسة الابتدائية	عدن	١٤١	٠	١٤١	حكومية
	المدرسة الابتدائية	التواهي	١٣٣	٠	١٣٣	//
	المدرسة الابتدائية	الشيخ عثمان	١٢١	٠	١٢١	//
	مدرسة أنجمن اسلام	عدن	١٢١	٠	١٢١	معانة
	مدرسة أنجمن اسلام	التواهي	١٠٩	٠	١٠٩	//
	الجزرانية (دنشاو)	عدن	١١١	٠	١١١	//
	الجزرانية للبنات	عدن	٠	٧٠	٧٠	//
	الدانماركية العربية	عدن	٣٢	٠	٣٢	//
	العربية للبنات	عدن	٠	٨٩	٨٩	//
	المجموع		٧٦٨	١٥٩	٩٢٧	(٤)

(١) الإكليل – العدد (١) – ١٩٨٣م – صـ١٠٧
(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ٦٩

ثانياً : المدارس الثانوية :

م	المدرسة	المنطقة	ذكور	اناث	المجموع	النوع
	المدرسة الثانوية	عدن	٧٨	٠	٧٨	حكومية
	المدرسة الثانوية	التواهي	١٢	٠	١٢	//
	الكاثولوكية الرومانية	عدن	٧٤	٠	٧٤	//
	القديسة مريم	التواهي	١٠٨	٠	١٠٨	معانة
	الجزرانية (دنشاو)	عدن	٥٨	٠	٥٨	//
	الدانماركية	عدن	٣٩	٠	٣٩	//
	الكونفنت الإرسالية	عدن	٧٠	٠	٧٠	//
	الكونفنت للأيتام	عدن	٣١	٠	٣١	//
	كيث فولكن الإرسالية	الشيخ عثمان	٢٤	٠	٢٤	//
	الدانماركية الليلية	الشيخ عثمان	٠٦	٠	٠٦	//
	الكونفنت الإرسالية	التواهي	٨٠	٠	٨٠	//
	المجموع		٥٨٠	٠	٥٨٠	(٥)

وفي هذه الفترة عين كامل عبدالله صلاح مديراً للمدرسة الحكومية (السيلة) وأدخل التعليم الديني لأول مرة في عهد الإحتلال .

وفي عام (١٣٥٦هـ /١٩٣٧م) أنشئت كلية لأبناء المشائخ والسلاطين في (جبل حديد) وأنشئ بها قسم داخلي ، وكان الغرض منها اعداد جيل من الحكام يدينون بالولاء لبريطانيا .

وعندما انتقلت تبعية عدن من الإدارة الهندية إلى البريطانية عام (١٣٥٦م/١٩٣٧م) عين (جون أنبر) أول ناظر معارف بريطاني للمستعمرة كما عين الأستاذ محمد عبده غانم ضابطا للمعارف .

"وكان آخر ناظر هندي للمعارف في عدن قبل نقل تبعية عدن لوزارة المستعمرات في عام (١٩٣٧م) هو محمد نواز ، ولم يبقَ هذا الناظر طويلاً في عدن ولكنه كان شغوفاً بالرياضة ، وقد أنشأ نادياً خاصاً للطلبة في المدرسة وجعل الرياضة فرضاً على الطلاب لامناص منه .

لقد كانت الأصوات ترتفع من قبل الآباء ورجال الإصلاح بأن " طلبة يعيشون في وسط يفسد عادة ما تصلحه المدرسة " كما طالبوا بالحاح في أن ترقى الرياضة البدنية في المدرسة رقياً مطرداً منظماً وتصبح أجسام الطلبة قوية صحيحة وكانوا يستغربون عدم تدخل إدارة المعارف في القضايا التي تمس أخلاق الطلبة وتربيتهم كالسينما فالأفلام السينمائية الهندية التي تعرض على الأطفال أفلاماً تجارية تعرض ألوان السحر والشعوذة والدجل وتعرض صنوف النهباء والسلب والإغراء"[١].

دخل التعليم مع تعيين أول مسئول لمعارف عدن مرحلة جادة حيث وأنه أسس على رؤى جديدة مكنته من الانطلاق نحو آفاق وطنية أكثر ارتباطاً بحاجات المجتمع التعليمية حيث أصبح التعليم في مرحلة الثلاثينات تحديداً معبراً عن مستوى التحولات الملموسة في الوعي الوطني ولهذا يقول كرامة مبارك «بأن المؤسسات التعليمية في الثلاثينات كانت متعددة الإتجاهات متنوعة الإشراف والتمويل متباينة الأهداف والمضمون ـ معبرة بذلك عن التناقضات الرهيبة التي كان يعيشها شعب اليمن في الجزء الجنوبي والشرقي منها خلال فترة التمزق والجمود والاستسلام »[٢].

وفي الأربعينات تغيرت إلى حد كبير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وأصبحت تمثل مرحلة جديدة . سيما في التعليم ، فقد أصبحت العملية التعليمية في هذه المرحلة تشهد تطوراً بطيئاً في بنى المؤسسات التعليمية ولم يرافق هذه العملية تطوراً مماثلاً في التشريعات والسياسات التعليمية .

«فلم تصدر السلطات الحكومية في عدن ومحمياتها قانوناً أولائحة أو أمراً رسمياً ينظم التعليم ويحدد أهدافه ومبادئه خلال عقد الأربعينات ، وظل التعليم في مختلف مؤسساته الحكومية وغير الحكومية محكوماً بآلية تطور مؤسساته نفسها . ومحاطاً بظروف عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

(١) الإكليل – العدد (١) – ١٩٨٣م – صـ١٠٧
(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ج١– صـ٤٨

وفي اطار تلك السياسات التعليمية التي تحدثنا عنها خلال عقد الثلاثينات ومواجهة لسير التطور التعليمي ومخرجاته خلال عقد الأربعينات اتخذت إجراءات تنفيذية نوجزها بالآتي :-

أ. استبدال الكادر القيادي التربوي الهندي في المستعمرة عدن بالكادر التربوي البريطاني وعلى رأس هذا الكادر مدير معارف عدن ، وضباط المعارف المعاونون له ، ومدير الثانوية ، وذلك اثر التحول الإداري عن الهند والإرتباط المباشر بلندن .

ب. اختيار قيادة تربوية سودانية على رأسها القدال سعيد القدال لتطوير التعليم في حضرموت في اتجاه التعليم في السودان ، وفي حدود السياسة التعليمية التي رسمتها بريطانيا في المنطقة . قال أنجرامز المستشار البريطاني في حضرموت مثنياً على القدال : " لقد كان الشيخ القدال مصدر إلهام لنا" .

ت. التزام المدارس المصانة بمناهج المدارس الحكومية .

ث. الضغط على "زنبرك" التوسع في التعليم الحكومي أفقياً ورأسياً باتخاذ قيود معيقة منها :

١. فرض الرسوم المدرسية واشتراط "المخلقة" العدنية بالنسبة لدخول المدارس الحكومية عدن .
٢. ترك مسألة القبول للمدارس الحكومية الأولية لرغبات أولياء الأمور دون أن يكون ذلك توجهاً سياسياً لإتاحة فرص التعليم للجميع .
٣. تقيد فرص التعليم الحكومي بإمكانيات الإستيعاب المحدودة أساساً
٤. الإصطفاء في التعليم ويتم عبر منافسة بين تلاميذ الصفوف النهائية من المرحلة الابتدائية بواسطة امتحانات موحدة مركزية لقبول شعبة واحدة من (٤٠) تلميذاً في الصف الأول من المدرسة المتوسطة الوحيدة في غيل باوزير بالنسبة للمحمية الشرقية . ولقبول شعبتين من (٨٠) طالباً في الصف الأول في الثانوية الحكومية الوحيدة في عدن ، وذلك بحجة اصطفاء الأذكياء من التلاميذ، وبالتالي رفع نوعية التعليم في المرحلة اللاحقة للمدرسة الابتدائية ، كما عبر عن هذه السياسة التعليمية المستر "شرابس" مدير الثانوية الحكومية بقوله : "ترقية التعليم يجب ألايفسده الإزدحام" .

توجيه المناهج والأنشطة التربوية في اتجاه تكوين جيل عدني جديد متجانس التنشئة في المستعمرة عدن ذات الجنسيات المتعددة والطوائف المختلفة انطلاقا

من أنه بالتعليم الموحد لأطفال هذه الطوائف ستزول كثير من عناصر الشقاق والتنافر المتحكمة في مختلف هذه الطوائف "[1].

فالتعليم وفقاً لذلك في المستعمرة عدن لم يكن أحسن حالاً مما هو قائم في اليمن عموماً .. فقد دأب الاستعمار على أن يمتلك سياسةٍ تعليمية هي جزء من سياسته الاستعمارية الظالمة . فكلما كان الشعب جاهلاً غير متعلم كانت فرصة بقائه في البلد أطول . ولكن الاستعمار طور أساليبه وأدواته .. وحاول أن يستفيد من معطيات العصر للمراوغة والاحتيال وكسب مزيدٍ من الوقت ، ولهذا كان التعليم التقليدي هو السائد والأكثر انتشاراً وارتباطاً بوعي الناس لأنه الممكن في بلد محافظ يعد شعبها رأس الحرية في نشر الإسلام وقيم العلم والتسامح .. بلد يتحكم فيها الاستعمار والثقافة الاستعمارية المتزمتة .

"وإذا ما تجاوزنا الأشكال التقليدية جداً للتعليم القديم ، ومن خلال الكتاتيب والمعلامات التي يذكرها الدكتور / عبدالجبار سعد بأن (المعلامات - الكتاتيب) كانت هي أكثر مؤسسات التعليم التقليدي انتشاراً في عدن اذ لم تعرف عدن ما عرفته بعض المدن اليمنية الأخرى من مؤسسات كالأربطة والمراكز الدينية التي وجدت في زبيد وبيت الفقيه وسيئون وتريم . حيث كانت المعلامة هي الوسيلة الوحيدة للتعليم في عدن .. حتى بعد ظهور التعليم النظامي إذا ما تجاوزنا كل ذلك إلى دورٍ السلطة الاستعمارية في هذا الصدد لذكرنا أنه وعلى مدى واحد وستين عاماً من تاريخ الإحتلال لم تفتح سوى ثلاث مدارس فقط وتضم ما لايزيد على (٢٥٦) تلميذاً فقط"[2].

ويواصل الدكتور عبدالجبار القول «في لندن أي بعد مضي ١٠٠ عام على الاستعمار والتبعية للهند . فإن عدد المدارس الحكومية النظامية لم تزد عن أربع مدارس إلى كلية أبناءالمشائخ التي جرى افتتاحها عام (١٩٣٥م)»[3].

وهذا يعكس حقيقة الوضع التعليمي المتردي في عدن ابان السيطرة الاستعمارية ويعطي مؤشراً واضحاً لواقع السياسة التعليمية التي كان يرتكز عليها الاستعمار والتي تقوم على أساس فرض الجهل والتخلف والأمية .

« وفي عام ١٩٣٧م تواجد في عدن وما حولها عدد قليل من المدارس الابتدائية والمتوسطة على نهج الكتاتيب بقليل من التعديل في الشكل والمضمون ولم تتجاوز

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ج١ – صـ١٢٧- ١٢٨
(٢) مجلة قضايا العصر – صـ٥١
(٣) المصدر السابق – صـ٥٢

مناهجها تعليم القراءة والكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا التي تتفق في مضمونها والسياسة الاستعمارية كما تواجدت مدارس خاصة بالجاليات الأجنبية تتلقى الهبات والمساعدات من إدارة المعارف يعد من نظير اشتمال مناهجها على مواد اللغة الإنجليزية وتاريخ وجغرافيا الإمبراطورية البريطانية وغيرها من المواد التي تكرس وتعمق الثقافة الاستعمارية فالمدارس الأهلية والوطنية قد حرمت من هذه الهبات والمساعدات »[1].

ومثلما كانت مرحلة الثلاثينات مرحلة تأسيس لواقع تعليمي حققت أهدافاً تربوية مهمة شكلت رؤية استراتيجية ضرورية لتطوير العملية التعليمية التي بلغت ذروة نضجها في أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضي .. سيما بعد أن شهدت المنطقة العربية تغيرات ثورية هامة .

ففي الأربعينيات تعرف الواقع اليمني على مجموعة من المؤسسات التعليمية الهامة بعضها تأسست في مراحل سابقة وتوسعت بفضل الظروف الاجتماعية والسياسية الجديدة وتطورت بصورة كبيرة .. وبعضها نشأت حديثاً وأصبح لها شأناً ضمن المدارس الأهلية التي ظهرت بقوة وأصبحت تتمتع بمقومات تعليمية غاية في الأهمية .

ومن المدارس الحكومية التي ظهرت في عدن في هذه المرحلة : مدرسة السيلة والتي كانت من أكبر المدارس الابتدائية الحكومية في المستعمرة وقد انفردت بمبنى «مدرسة الإقامة بعد أن انفصل عنها القسم الثانوي . وكانت تظم في العام الدراسي (١٩٤٣/٤٢م) (١٥٠) تلميذاً يتوزعون في سبعة صفوف، وصف علمي لتعليم مبادئ الكيمياء والطبيعيات وصف لتعليم فنون التجارة ، وهذا يعني عدم قدرة مبنى الثانوية الجديد في الرزميت الوحيد على استيعاب كل خريجي المدارس الابتدائية »[2].

ونجد أن المدرسة هذه حملت رسالة تربوية جديدة أكثر وضوحاً وارتباطاً باحتياجات المجتمع .. وتلبية حاجات السوق من تعليم مبادئ الكيمياء والطبيعيات وفنون التجارة وغيرها ..

وهذا دليل على عمق التحول داخل المؤسسة التعليمية وفي نفس الإتجاه برزت إلى حيز الوجود العديد من المدارس ، ولعبت الدور ذاته وعلى وجه الخصوص مدرسة المعلا للبنين ، ومدرسة التواهي للبنين ، ومدرسة الشيخ عثمان للبنين

(١) نظام التعليم في الجمهورية اليمنية – ص٥٥
(٢) المصدر نفسه – ص١٣٤– ١٣٥

والمدرسة العربية للبنات والتي تعد من أقدم وأكبر مدرسة ابتدائية حكومية للبنات في المستعمرة عدن ، ومقرها قصر الشكر بكريتر في عام (١٩٤٩م) وارتفعت سنوات الدارسة فيها إلى الصف السادس نظراً لعدم وجود مدرسة ثانوية للبنات تستقبل خريجات المرحلة الابتدائية آنذاك ، وتدير هذه المدرسة مس ووكرو وتدرس فيها مدرسات مصريات »[١].

وفي عام ١٩٤٩م فتحت مدرسة المعلا للبنات وأصبح إلى جانب هذه المدارس المدرسة الثانوية التي انفردت بمبنى خاص بها منذ بداية الأربعينيات عندما انتقلت إلى الرزميت «الخليج الإمامي بكريتر» وقد هيأ المبنى الجديد الذي احتفل بافتتاحه في يناير عام ١٩٤٤م عدداً كافياً من الغرف الدراسية ومختبراً للعلوم ، ومكتبة ، وساحة مدرسية للألعاب بهذه النقلة الجديدة تحقق الآتي :

- ارتفع مستوى الدراسة صفاً أعلى أي إلى سنوات السينير كامبردج ، وأصبحت الدراسة الثانوية تتكون من سبع سنوات بعدالدراسة الابتدائية التي مدتها أربع سنوات .

- قسمت الدراسة في الثانوية إلى ثانوية دنيا مدتها ثلاث سنوات . لغة التدريس فيها هي اللغة العربية ، وثانوية عليا مدتها أربع سنوات لغة التدريس فيها اللغة الإنجليزية .

- أصبحت العلوم الطبيعية دروساً مقررة في مناهج الثانوية ، وتجرى التطبيقات العملية للعلوم الطبيعية في مختبر الثانوية الحديثة .

- توفير امكانية زيادة عدد المقبولين في الثانوية ، وإذ تم قبول شعبتين في الصف الأول من قسم الثانوية الدنيا بثمانين طالباً عام ١٩٤٩م . ثم ارتفع القبول في العام الذي تلاه أي عام ١٩٥٠م إلى ثلاث شعب بـ (١٢٠) طالباً ، أي بمعدل (٤٠) طالباً للشعبة الواحدة "[٢].

وقد شهد التعليم في الخمسينات تحسناً ملموساً في التعليم الحكومي .. حيث شيدت المدارس . وتوفرت الاعتمادات المالية والمدرسين ، هذا انما يدل على أن هنالك تحولاً حقيقياً قد حدث في العملية التعليمية نظراً للتطورات التي حدثت في الوعي الاجتماعي ، والوعي بالخطر الاستعماري والتقدم في الوعي المعارض لسياسته الاستعمارية فأنشئت في هذه المرحلة مدارس للتعليم الثانوي

---

(١) المصدر السابق - صـ١٣٤ - ١٣٥
(٢) المصدر نفسه - صـ١٣٧

تمثلت في مباني كلية عدن ، وثانوية خورمكسر ، وكلية البنات والمعهد الفني ومركز تدريب المعلمين وغيرها .

وأصبح الوضع التعليمي في هذه الفترة أكثر وضوحاًوارتباطاً في الواقع نظراً لارتباطه الجدلي بواقع الحراك السياسي والاجتماعي الذي بلغ حداً متقدماً من التطور والوضوح في هذه المرحلة التي شهدت نمواً واضحاً للأفكار السياسية والاجتماعية المتطوره .. ومن افرازات هذه المرحلة الآتي :-

١. مدرسة الميدان للبنات التي أنشئت في مايو عام ١٩٥٠م بانتقال الصفوف الأربعة الابتدائية من المدرسة العربية بقصر الشكر إلى مبنى المدرسة الجديدة في الميدان بكريتر باسم مدرسة الميدان للبنات وتولت الإدارة فيها الأستاذة حليمة ، خليل الينــاعي . وبقى الصفان الخامس والسادس في قصر الشكر ليشكلا النواة الأولى لأول مدرسة متوسطة حكومية للبنات في المستعمرة عدن "[١] وفي مايو ١٩٥٠فتحت أيضاً مدرسة الخساف الابتدائية للبنات وقد تم افتتاحها في ثلاث شعب لتخفيف أزمة القبول في المرحلة الابتدائية بكريتر»[٢] اطار هذا التطور الذي شهدته الحركة التعليمية في هذه الفترة والمتمثلة بتطور سنوات الدراسة ، تطوير الطاقة الاستيعابية للمدارس القائمة . ارتفع عدد السنوات الدراسية في مدرسة الشيخ عثمان للبنات «إلى الصف الخامس عام ١٩٥٠م كما ارتفع عدد الطالبات فيها إلى (١٦٣) طالبة . تعلمن ست مدرسات كلهن يمنيات من عدن ويمثلن الطليعة الأولى من كادر التدريس المحلي النسائي»[٣] والوضع التعليمي في هذه المرحلة أصبح وفقاً لقانون نتظيم المستعمرة عدن عام ١٩٥٢م مصنفاً إلى ثلاث مؤسسات تعليمية هي :

- **المدارس الحكومية** : وهي المدارس التي تشرف وتنفذ وتنفق عليها الحكومة ممثلة بإدارة معارف عدن وهي مفتوحة للأطفال المولودين في المستعمرة فقط . مهما كانت أصولهم البشرية وعقائدهم الدينية .
- **المدارس المعانة** : وهي غير الحكومية التي تتلقى معونة من حكومة عدن وتلتزم بمناهج وتفتيش إدارة معارف عدن .

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ح١ . صـ١٣٧
(٢) المصدر نفسه – ١٣٥
(٣) المصدر نفسه – ص١٣٦

- **المدارس المستقلة** : وهي التي لا تتلقى معونة من حكومة عدن ولا تخضع لمناهج وتفتيش ادارة معارف عدن .

وفي عام ١٩٦٢م افتتحت مدرسة ابتدائية في عدن ليصبح عدد المدارس الابتدائية للبنين (١٢) مدرسة . وفي نفس العام أيضاً تم افتتاح المدرسة الثانوية الصغرى للبنين بكريتر وفي أكتوبر ١٩٦٢م أفتتحت في كريتر "الثانوية الصغرى بقبول (١٤٠) طالباً . تقدم هذه الثانوية دراسة لمدة سنتين لذوي المستويات الأكاديمية الاقل لتأهيلهم لدخول القسم التجاري بالمعهد الفني لقضاء سنتين أخرى في التحضير للمستوى الأول من امتحان الجمعية الملكية للفنون (R.S.A) وفي بداية ١٩٦٧م تحولت الثانوية الصغرى إلى ثانوية أكاديمية مدة الدراسة فيها أربع سنوات .

هذا وقد بلغ جميع طلبة المدرسة الثانوية للبنين الثلاث السابقة (١٨٨٠) طالباً في بداية عام ١٩٦٧م"[١].

وفي مجرى التطور البطيء للتعليم « تم افتتاح كلية الاتحاد (ثانوية الشعب) حالياً عام (٦٣-١٩٦٤م) لتكون بديلا عن مدرسة جبل حديد التي كانت مخصصة لتعليم أبناء السلاطين والمشائخ .

كما ظهرت في هذه السنوات التي سبقت الاستقلال بعض المدارس الثانوية بعدد بسيط من الطلبة مثل ثانوية خورمكسر للبنين ، وثانويتي الشحر وسيئون لتوفر بعض المقاعد لخريجي المدارس المتوسطة»[٢].

وتضم كلية الإتحاد قسماً داخلياً يستوعب «(٢٨٠) طالباً ، وفي عام ١٩٦٦م جلست الدفعة الأولى من طلبة الكلية لامتحانات الثقافة العامة بعد دراسة مدتها أربع سنوات»[٣].

وغالبية المدارس الثانوية كانت بمستوياتها التعليمية ونظامها التعليمي عبارة عن كليات أكاديمية عليا مثلاً كانت كلية البنات الثانوية بخور مكسر تقدم « دراسة ثانوية أكاديمية لمدة أربع سنوات للحصول على شهادة كامبردج . وإضافة إلى الدراسة الأكاديمية تدرس البنات الطباعة في الصفين الثالث والرابع . وفي ديسمبر ١٩٦٥م جلست طالبات هذه الكلية لنفس الامتحانات التي جلس لها

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من الوطن – ج١ – ص٣٠٨
(٢)
(٣)

طلبة المدارس الثانوية بعد تحويل الدراسة في المدارس الثانوية إلى الامتحانات المشتركة لشهادة كامبردج والثقافة العامة ... فتحت كلية الطويلة للبنات « في شهر يوليو ١٩٦٥م بقبول ١٤٠ طالبة بشكل مؤقت في مركز البس كريتر .. وأخيرا انتقلت إلى مبناها الجديد في الطويلة . وفي بداية عام ١٩٦٧م بلغ مجموع طالبات ثانوية البنات بخور مكسر والطويلة ١١٤٥ طالبة » [١]

وبالمثل يقدم المعهد الفني خدماته التعليمية لمدة أربع سنوات بعد المتوسطة « شهادة الثقافة العامة في (البناء أو الهندسة) عبر امتحانات ألـ (A.E.B) اما الذين يقبلون بعد دراسة لمدة سنتين في الثانوية الصغرى فإنهم يواصلون دراستهم في المواد التجارية لدخول امتحان الجمعية الملكية للفنون ، وكانت أول دفعة دخلت هذا القسم التجاري بالمعهد الفني في يناير عام ١٩٦٥م .

وإلى جانب هذه المؤسسات التربوية يأتي مركز تدريب المعلمين والمعلمات في كريتر ملحقاً باحدى مدارس البنات ، ويؤهلان المعلمين والمعلمات للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة من خلال دراسة أكاديمية وتطبيقية مدتها سنتان ثم تحول المركزان كليتين للتربية كما سنرى في موضوع المعلمين"[٢].

في الستينات ايضاً أصبحت الأمور مختلفة جداً عما كانت عليه من قبل .. ففي هذه الفترة تحديداً توسعت حركات التحرر الوطني ، وأصبحت تتجه نحو التحرر النهائي من نير الاستعمار والأنظمة الرجعية المتخلفة ، وأصبحت الأفكار التقدمية التحررية في الوطن العربي تدق ناقوس التحرر . تارة متأثرة بالأفكار الثورية والقومية لمصر عبدالناصر وتارة متأثرة بالأفكار التقدمية التحررية المحلية .

وفي اليمن نشطت الحركة المناهضة للاستعمار والرجعية ، وفجرت ثورة في الشمال ، وثورة في الجنوب ، وأصبح التعليم في هذه المرحلة من أكثر الاحتياجات الوطنية المطروحة على الساحة الوطنية ، وجاء التوجه نحو التعليم وبناء المؤسسات التعليمية استجابة واعية لهذه المتطلبات ولهذا التحول النوعي في الواقع وفي وعي الناس .

وفي عام ١٩٦٥م فتحت مدرسة الروضة ، وأصبح عدد المدارس الابتدائية للبنين في مستهل عام ١٩٦٧م وهو عام الجلاء البريطاني (١٣) مدرسة تضم (٧٧٠٩) تلميذاً وهي مدارس السيلة ، والخساف ، والمرسابه ، والمعلا ، والروضة،

---

(١)
(٢)

والتواهي ، وخورمكسر ، والشيخ عثمان الشرقية ، والشيخ عثمان الغربية ، والحسوة ، وعدن الصغرى ، وفقم ، والخيسة ... وأصبح عدد المدارس الابتدائية الحكومية للبنات ثمان مدارس هي الميدان ، والطويلة ، والمعلا ، والتواهي الشمالية، والتواهي الجنوبية ، والشيخ عثمان الشمالية ، والشيخ عثمان الجنوبية، وعدن الصغرى .

وتضم هذه المدارس في مستهل عام ١٩٦٧م (٥٨٠٣) تلميذة»[1] ، وفي هذه المرحلة توقفت حكومة عدن من افتتاح المدارس الأمر الذي أوجد حالة من الإرباك في استيعاب الطلاب أمام تزايد المقبولين في المرحلة الابتدائية . ولهذا اتخذت معارف عدن العديد من الخطوات في محاولة لحل مشكلة التوسع هذه.

وبخصوص التعليم المتوسط اعتبرت « المرحلتان الابتدائية والمتوسطة مرحلة متكاملة ومجانية مدتها سبع سنوات للبنين وثمان سنوات للبنات .. وخلال مشروع السنوات الأربع (٦٠-١٩٦٤م) تم توسيع المدرستين المتوسطتين للبنين في المعلا والشيخ عثمان وأصبح التعليم المتوسط خمس مدارس للبنين هي المدارس: كريتر ، المعلا ، التواهي ، الشيخ عثمان ، عدن الصغرى ضمت عام ١٩٦٧م (٣٥٥٨) تلميذاً .

أما بالنسبة للمدارس المتوسطة الحكومية للبنات ، فقد تم افتتاح مبنى المدرستين المتوسطتين الجديدتين في المعلا والشيخ عثمان اضافة إلى أول مدرسة متوسطة في عام ١٩٦٠م أي نهاية عقد الخمسينيات وفي مستهل عام ١٩٦٧م بلغ عدد التلميذات في هذه المدارس الثلاث (٢٠٤٤) تلميذة»[2].

نلاحظ هنا توسع محدود في بناء المنشآت التعليمية وقبول متواصل على التعليم باعتبار أن التعليم في هذه المرحلة قد أصبح يعكس حقيقة التوجهات الاجتماعية المتصاعدة والفعاليات السياسية والتنظيمات الاجتماعية التي أصبحت تدرك أهمية التعليم .. وعلى الرغم من محدودية المنشآت التعليمية المتوسطة إلا أن طاقاتها الاستيعابية تفوق قدرات المدارس الثانوية التي كانت قائمة حينها .. فالمدارس الثانوية الحكومية تستوعب ٥٠٪ من خريجي المدارس المتوسطه للبنين و٤٠٪ من خريجات المتوسطة الحكومية للبنات على الرغم من سياسة القبول في هذه المدارس والتي تلزمها بقبول فقط الطلاب الذين هم من مواليد عدن ومؤسسات التعليم الثانوي من ولاية عدن هي :

(١)
(٢)

كلية البيومي للبنين : وهي كلية عدن سابقاً وخلال الستينات تحولت مناهجها الأكاديمية من الحصول على شهادة الثقافة العامة (جي . سي . تي) إلى الحصول على شهادة كامبردج المشتركة لطلبة السنة الرابعة »[1].

ونظراً لحالة الاستنفار الذي يعيشه الاستعمار البريطاني في هذه المرحلة نتيجة لتصاعد المقاومة له وقيام الثورة في الشمال أدخل في هذه الكلية التدريب العسكري الطوعي عام ١٩٦٢م . ولهذا بني في الكلية مخزن للاسلحة والذخيرة »[2].

وفي المقابل حصل في هذه المرحلة تطور في ثانوية خورمكسر للبنين حيث تطور المستوى الأكاديمي فيها وتحولت إلى نوع مدارس (القرامرسكول) وتهيئ طلبتها لشهادة كامبردج المشتركة بعد أن كانت من نموذج المدارس الثانوية الحديثة (المودرن سكول) ... وفي عام ١٩٦٥م جلس طلبتها لأول مرة لامتحان شهادة كامبردج المشتركة»[3].

جدول عن التعليم الحكومي في عدن عام ١٩٦٠م

م	نوع التعليم	عدد المدارس			عدد التلاميذ		
		بنين	بنات	اجمالي	بنين	بنات	اجمالي
	ابتدائي	١١	٧	١٨	٦٠٩٨	٣١٧٠	٩٢٦٨
	متوسط	٣	٣	٦	٣٣٠٧	١٢٤٠	٤٥٤٧
	ثانوي أكاديمي	٢	١	٣	١٢٠١	٣٤٣	١٥٤٤
	ثانوي فني	٢	٠	٢	٢٥٦	٠	٢٥٦
	مركز تدريب	١	٠	١	٦٣	٢٢	٨٥
الإجمالي		١٩	١١	٣٠	١٠٩٢٥	٤٧٧٥	١٥٧٠٠[6]

ولكن هنالك حدث تطور مهم في ١٨ يناير ١٩٦٣م . عكس نفسه على العملية التعليمية على اثر قيام الاتحاد الفيدرالي بضم المحميات في اطار هذا الاتحاد، والذي بموجبه حلت وزارة المعارف الاتحادية محل إدارة المعارف لمستعمرة عدن.

(١)
(٢)
(٣)

وهذا التطور النوعي رفع مستوى التمثيل التربوي إلى مستوى وزارة وبالتالي أصبحت العملية التربوية في المحميات الأخرى التي كانت تتمتع باستقلالية في ادارة منشآتها التعليمية وتحديد سياساتها التعليمية .

وأصبحت المستعمرة عدن أيضاً ضمن مكونات الاتحاد الفيدرالي المكونة للجنوب العربي .

٢ : التعليم الأهلي

كانت العملية التعليمة تاريخياً وكما توصلنا إليها عبر بحثنا هذا هاجساً اجتماعياً أصر المجتمع على ممارسته في عملية تحدي للسياسة الاستعمارية التي وقفت موقفاً معادياً من هذه العملية ، وعندما وجدت السياسة الاستعمارية أنه لا مناص من التعامل مع هذا الحق ولو على طريقة ذر الرماد على العيون أنشأت بعض المؤسسات التعليمة ، ولكن وفقاً للسياسة الاستعمارية التي فرضتها على هذه المدارس .

ولهذا كانت تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة عالمية أجنبية لا لغة المجتمع ذاته، وتعليمها وفقاً لهذا المعيار ضرورياً للتعامل مع المجتمع والاندماج فيه .

وهي أولاً لا ترقى إلى مستوى المدارس الإنجليزية المناط بها تخريج واعداد شباب قادرين على معرفة حقيقة ، العالم ، ولاهي مدارس عربية تتطلب اعداد كادر مستوعب ومدرك لبعض القضايا وانما هي أقرب إلى مراكز محو الأمية يتعرف فيها الطالب على بعض القضايا الضرورية لفهم وإدراك حاجات ومتطلبات المستعمر وبدأت في هذه الأثناء تبرز الحاجة لبناء المدارس الأهلية لتلبية حاجات ابناء المحميات وكذا أبناء الشمال المقيمين في عدن والذين حرموا من حق التعليم بفعل السياسة الاستعمارية التي قصرت التعليم على اليمنيين من مواليد عدن فقط .

وفي مواجهة السياسة الاستعمارية المتشددة اتجه الناس إلى بناء المدارس وتعليم اولادهم كأسلوب آخر للمقاومة الاستعمارية وثقافته الاستعمارية .

سيما وأن المدارس الحكومية قد حددت سياساتها بقبول الأبناء من الأصل العدني فقط .. بينما العدد الأكثر الوافد من المحميات وشمال الوطن .. يتطلب بالضرورة استيعابهم في هذا الاطار .. ومن هذا المنطلق تأسست في عدن العديد من المدارس الأهلية منذ القرن العشرين ومن الأسباب التي دعت إلى ذلك .

«العراقيل التي وضعتها السلطات الاستعمارية باستمرار لمنع الأطفال من شمال اليمن والمحميات من غير مواليد عدن من الالتحاق بالمدارس الحكومية التي كانت تطلب شهادة ميلاد رسمية من بلدية عدن أو من سلطة الضواحي بالشيخ عثمان .

في الوقت الذي حرم هذا القانون اعداداً كبيرة من ابناء اليمن شماله وجنوبه ، وكذا أبناء الجاليات العربية الأخرى من الإلتحاق بالمدارس ومواصلة دراستهم»[1].

وعلى الرغم من السياسة الاستعمارية التي حاولت عزل عدن وأبناء عدن عن محيطه في كل من الجنوب والشمال .. إلا أن هنالك كان يوجد شعورا قويا لأبناء عدن بالانتماء إلى محيطهم اليمني حيث قامت الكثير من الأسر العدنية «بمساعدة الأطفال اليمنيين من غير مواليد عدن وذلك باضافة أسمائهم ضمن بطاقاتهم العائلية» (السكونية) ليقبلوا في المدارس الحكومية ، ولكن في أواخر الأربعينيات أصرت إدارة المعارف على تقديم شهادة ميلاد رسمية للطالب »[2].

وعلى الرغم من هذه السياسات إلا أن اصرار المجتمع على التعليم وانشاء المدارس أدى إلى ظهور عدد من المدارس الأهلية التي حسنت الوضع التعليمي في المستعمرة إلى حد كبير وأبرز هذه المدارس :

١. «مدرسة بازرعة الخيرية الإسلامية التي أسسها محمد عمر بازرعة في مدينة كريتر عام ١٩١٢م .. تطورت فيما بعد . وشهدت في الأربعينيات تحديثاً وتطوراً في بناءها وادارتها ومناهجها .

٢. أسس ياسين محمد راجمنار المعهد التجاري العدني في مدينة كريتر عام ١٩٢٧م وتولى عملية تدريس الشباب الطباعة على الآلة الكاتبة باللغة الإنجليزية وأعمال السكرتارية واللغة الإنجليزية والمواد التجارية بهدف حصولهم على وظائف كتابية في الشركات وغيرها التي أخذت بالظهور على اثر الانتعاش الاقتصادي والتجاري في عدن ، وكان معظم طلبته من الهنود . ثم تطور إلى تعليم أولي منظم في الصباح ، ولهذا يعد من المدارس الأولى، وأصبح فيما بعد هذا المعهد خطوة متقدمة لمواكبة الدور الذي أصبحت تلعبه عدن في مسار التجارة الدولية وأهمية عدن التاريخية والتجارية زادت من

---

(١) تاريخ التعليم في عدن – صـ٣٥٣

(٢) الأدهل / عبده حسين – الاستقلال الضائع – دار العهد للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٩٣م – صـ٩٤

أهمية هذا المعهد .. ولهذا تطورت الدراسة في هذا المعهد ، وازداد عدد الملتحقين به وتطور القسم التجاري فيه بالذات ، وارتبطت مقراته الدراسية وامتحاناته بغرفة لندن التجارية ، ولهذا يعد مؤسسة أهلية للتعليم المهني التجاري"[1].

" وفي عام ١٩٣٦م تأسست في عدن مدرسة الفلاح الإسلامية الهاشمية ومؤسسها هو السيد "حسين الدباغ" القادم من الحجاز عبر المكلا – عاصمة الدولة القعيطية – والتي أسس فيها مدرسته التي تحمل اسم "الفلاح" قبل أن يصل إلى عدن ، ويقوم بتأسيس مدرسته الثانية والتي تحمل نفس الاسم "الفلاح" في شارع الزعفران أمام منزل الصافي . وقد استوعبت هذه المدرسة الكثير من أبناء عدن والمحميات وأبناء شمال الوطن مثلها في ذلك مثل مدرسة بازرعة الخيرية"[2].

وكما أسلفنا شهد الواقع التعليمي في الأربعينيات تطوراً ملحوظاً ، وتحديثاً لبعض مبادئ المؤسسات التعليمية ، وتطويراً لإداراتها . كما شهد وضع حجر الأساس لمبنى حديث ، وتولى إدارتها مدير مصري كفء هو عباس حلمي المصري.

وفي عام ١٩٤٥م تولى إدارتها مدير يمني هو الشيخ علي محمد باحميش وساهم في التدريس بها الزعيمان اليمنيان احمد محمد نعمان ، ومحمد محمود الزبيري وتطورت صفوف الدراسة فيها إلى مرحلتين : ابتدائية ، وثانوية دنيا وبالرغم من أنها تسير على نفس السلم التعليمي الحكومي والمنهج المقرر للمدارس الحكومية في عدن فإنها تتمتع بسمعة طيبة لدى المواطنين ، بفضل الآباء الذين تهيئت لأبنائهم فرص الدراسة بالمدارس الحكومية بحكم ميلادهم في عدن . الحاق أبنائهم بهذه المدرسة لاعتقادهم بأنها أفضل من المدارس الحكومية من الناحية التعليمية والتربوية»[3].

فقد مثل بناء هذه المدرسة موقفاً وطنياً باعتباره جاء رداً على السياسة التعليمية الاستعمارية التي ترتكز على مسلمات مختلفة منهاحرمان عدد واسع من التلاميذ من الدراسة كونهم من أبناء عدن ولأنها أيضاً جاءت لتلبية رغبة اجتماعية في تحسين مستوى الدراسة والتي لم تكن في المستوى المطلوب في المدارس الحكومية .

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ١٣٠ – ١٣١
(٢) تاريخ التعليم في عدن – صـ١٣٥
(٣) المصدر نفسه – صـ١٣٠

فالقرار الذي أسست بموجبه المدرسة قرار وطني في تلك المرحلة رغم أنه لم يخلوا من النظرة الطبقية .. فالكثير من الآباء لا يستطيعون إلحاق أبناءهم في هذه المدرسة ذات التكلفة العالية .

ونشأت أيضاً مدرسة النهضة العربية في الشيخ عثمان بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨م لإتاحة فرص التعليم للأطفال الذين يحرمهم قانون «المخلقة» العدني من دخول المدارس وخاصة أبناء الشطر الشمالي من اليمن . تولى تمويل هذه المدرسة التاجر الثري عبده حسين الأدهل ، وتسير هذه المدرسة على نفس المقررات الحكومية مع تركيز وتوسيع في اللغة العربية والتربية الإسلامية .

تولى إدارة هذه المدرسة الأستاذ الأديب ادريس حنبلة ... بالاضافة إلى مدرسة النجاح بعدن .. والتي تعتبر من المدارس القديمة وأعيد افتتاحها في مرحلة تالية نظراً لظروف يتعلق بطبيعة تلك المرحلة .. وفتحها أحد مدرسي مدرسة الفلاح وهو الأستاذ / عدنان يحيى وقد طورها عام ١٩٤٤م من شكلها البدائي ككتاب في مدرسة ذات صفوف تدرس الحساب واللغة العربية والقرآن الكريم ومعارف دينية مبسطة .

هذه المدرسة لم تلتزم بتنفيذ المناهج الرسمية مما حرمها من الاعانة الحكومية وبتأثير ودعم من نادي الشباب الثقافي بالشيخ عثمان انشق بعض أساتذة مدرسة النهضة العربية وأسسوا عام ١٩٤٩م «المدرسة الوطنية» التي اعتمدت في تمويلها على التبرعات ورسوم الطلبة . إلا أن هذه المدرسة المستحدثة عادت واندمجت مع مدرسة النهضة العربية عام ١٩٥٠م والتي أصبحت مدرسة ابتدائية مكتملة الصفوف من الصف الأول وحتى الصف الرابع الابتدائي »

والمدرسة الأهلية بالتواهي ، والتي أنشئت عام ١٩٤٩م وذلك من خلال تبرعات الأهالي ورسوم الدارسين فيها ولنفس الدواعي التي قامت من أجلها مدرسة النهضة العربية بالشيخ عثمان ، « وتولى ادارتها الأستاذ / أحمد عبده حمزة » .

تعتمد هذه المدرسة هي الأخرى على تبرعات الأهالي ورسوم التلاميذ في نهاية الأربعينيات . تطورت هذه المدرسة هي الأخرى لتشمل المرحلتين الابتدائية والثانوية الدنيا معاً وفقاً للسلم التعليمي السائد آنذاك وكانت تدرس نفس المقررات الدراسية الحكومية»[1].

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ١٣١ – ١٣٢

والتعليم الأهلي في الخمسينات أصبح متقدماً إلى حد كبير وأصبح تعليماً عصرياً وان كان بوسائله الأولى .. وبذل الكثير من مالكي المؤسسات التربوية الحديثة ومدرسيها جهوداً كبيرة لتطوير مستوى هذه المؤسسات وانتشارها وتحسين نوعية التعليم فيها سيما مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية ، والتاريخ العربي والإسلامي خاصة في عدن وحضرموت الذين دعوا إلى استنهاض واقع التعليم الأهلي فيها ودعمه بالامكانيات المادية والبشرية اللازمة .

وقد أسفرت هذه العملية عن اقامة منشآت تعليمية جديدة تستوعب إلى حدما مفردات التعليم وقد تم في هذا الإطار الآتي :

بعد مطالبة طويلة بافتتاح كلية في عدن بدأت عام ١٩٤٠م تم «في عام ١٩٥٢م افتتاح الكلية رسمياً تحت اسم «كلية عدن» ... وتعتبر كلية عدن أول مدرسة ثانوية أكاديمية للبنين من نوع «الجرامرسكول» وهي تتكون من عمارتين يتوسطهما مسجد في شكل دائرة وبها ميدانا لكرة القدم والتنس والهوكي وصالة جمباز ، وبها أيضاً (١١) منزلاً للمدرسين وقسم داخلي لأبناء المحميات ، وفي سبتمبر ١٩٥٥م تم فتح صف علمي بالمستوى العالمي لشهادة الثقافة العامة لسبعة طلاب ، وتدرس فيها الفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء ، والرياضيات (البحتة والتطبيقية»[1].

وفي عام ١٩٥٣م افتتح محمد سعيد الحصني الذي يحمل شهادة غرفة لندن التجارية معهد الجنوب التجاري في الشيخ عثمان والذي ما زال يحمل اسمه إلى اليوم ويتضمن برنامج الدراسة فيه مواد الاختزال ـ المراسلات -الترجمة ـ الطباعة على الآلة الكاتبة هذا والدراسة في هذا المعهد مسائية .

وفي ١٩٥٢/١/٣م تم افتتاح العمارة الجديدة لهذا المعهد في احتفال رسمي وقد استكمل بناء الطابق الثاني لهذا المبنى الجديد .

كما تم افتتاح المدرسة الإسلامية للبنات .. في الطابق العلوي من العمارة الكائنة بجانب «المعهد التجاري العدني . حيث تعتبر جزءاً من معهد خاص بالبنات وتضم المدرسة الإسلامية للبنات قسماً للتعليم الابتدائي حيث تنظم الدراسة فيه للبنات الصغار في فترة الصباح ، ويفتح هذا القسم في المساء لتعليم الفتيات الكبار اللغة العربية واللغة الإنجليزية بالاضافة إلى الخياطة والتطريز والطهي .

---

(١) تاريخ التعليم في عدن – صـ١٣١ – ١٣٢

وفي مايو ١٩٥٥م استكمل المبنى الحديث لمدرسة النهضة العربية الحديثة بالشيخ عثمان الذي ساهمت الحكومة بنصف تكاليفه في هذا المبنى الجديد بدأت مدرسة النهضة بعد أن ضمت إليها « المدرسة الوطنية» ضمت هذه المدرسة قسماً ابتدائياً وآخر متوسطاً حقق لحزبها فرصاً لدخول كلية عدن والمعهد الفني، أو لشق طريقهم في الحياة . بلغ عدد تلاميذ مدرسة النهضة (٣٠٠) تلميذ عام ١٩٥٨م.

ومدرسة أهلية للبنات .. تم افتتاح هذه المدرسة في التواهي بصف أول ابتدائي ، وصف أول متوسط في العام الدراسي ٥٩/١٩٦٠م ، ومدرسة فقم..» وهي مدرسة ابتدائية فتحها عبده حسين الأدهل بصف ابتدائي واحد عام ١٩٥٦م. وذلك في قرية فقم بالمستعمرة عدن»[1].

وقد شمل برنامج تطوير التعليم في عدن افتتاح مدرستين ثانويتين احدهما ثانوية خورمكسر للبنات في عام (١٣٧٥هـ / ١٩٥٢م) وقبلها كان قد أنشئ المعهد الفني في المعلا عام (١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م) لإعداد الفنيين ، وتم بناؤه من قبل شركة (إ ـ بسي الاحتكارية) ، وافتتح المعهد العلمي الإسلامي في سبتمبر ١٩٥٧م في كريتر على يد الشيخ محمد بن سالم البيحاني . في حفل مهيب حضره - المسترلون- ووجهاء البلاد وجمع غفير من المواطنين .. بدأت الدراسة في المعهد العلمي الإسلامي بالمرحلتين الابتدائية والمتوسطة وتطورت إلى المرحلة الثانوية ، وكان صفوف الدراسة في هذا المعهد عام ١٩٥٩م على النحو التالي :

- صفوف رابعة ابتدائي .
- صفوف أول وثانية وثالثة متوسطة .
- صوف أولى ثانوية .

ويدرس في هذه الصفوف مدرسون يمنيون وعرب "[2] ، وفي عام ١٩٦١م أنشئت كلية بلقيس في الشيخ عثمان ضمن نشاط التعليم الأهلي الذي ظهر حينها وساهم إلى حد كبير في احداث ثورة تعليمية سمحت بموجبها لأبناء الشمال والمحميات بالإلتحاقٍ في مدارس للتعليم ، وكانت على مستوى عال من التقدم ، وكانت تضم تقريباً مدرسة متكاملة تضم مختلف المراحل الدراسية ابتداءً بالروضة وانتهاء بالثانوية العامة ، وكان الكادر التربوي فيها على مستوى عالي من الفهم والكفاءة ولديه خبرات تعليمية عالية من أبرزهم :

---

(١) انظر المصدر السابق - صـ٢٢٤ - ٢٢٨

(٢) المصدر نفسه - صـ٢٢٨

- حسين علي الحبيشي .
- علي عوض بامطرف .
- محمد أنعم غالب .
- عبدالعزيز عبدالغني .
- أحمد عمر بن سلمان .
- عبدالله عبدالرزاق باذيب وغيرهم "[1].

لهذا كانت كلية بلقيس من أهم المؤسسات التعليمية في ستينيات القرن الماضي ، وأصبحت من المؤسسات الحيوية التي ارتبطت بصورة ايجابية في الوعي الاجتماعي ، ولاتزال إلى ما بعد الثورة تتمتع بسمعة ومكانة خاصة داخل المجتمع اليمني بصفة عامة وبنائها مثالاً حياً على تعاون الأهالي لدعم التعليم الأهلي في عدن "هو تعاون كل أبناء اليمن القادرين على انشاء كلية بلقيس في الشيخ عثمان وافتتاحها في ١٦أكتوبر ١٩٦١م . فقد تنادى اليمنيون لتأسيس هيئة شعبية عرفت بهيئة التربية والتعليم وكان من أهم أهدافها :

- فتح المدارس في اليمن والمهاجر اليمنية .
- السعي لتنسيق التعليم الأهلي في أنحاء اليمن ، وتوحيد مناهجه لخلق جيل موحد الثقافة متقارب الإتجاهات .

وكان أول مشاريعها انشاء كلية بلقيس ، ومن أبرز من شارك في تمويل بناء المدرسة التجار والمقاولون أمثال شمسان عون وسلام ثابت ومحمد عثمان وهائل سعيد"[2].

ومن المؤسسات التعليمية الأهلية التي أنشئت قبل الاستقلال هو معهد أبلي للعميان تحديداً عام ١٩٦١م في حي المعلا والذي يتكون مبناه من غرف للتعليم وعنابر للنوم وساحة للألعاب ومعرض لمنتجات الطلبة العميان . يدرس في هذا المعهد أولاد صغار القراءة والكتابة بطريقة بريل ، كما يدرس الكبار أيضاً حيث يقومون في الورشة الخاصة بهم بانتاج أشياء مفيدة تدر عليهم مالاً ويتلقى هذا المعهد دعماً ورعاية واعانة من الحكومة »[3].

وتشير بعض الإحصائيات إلى أن نسبة «المقيدين في العملية التعليمية عام ١٩٦٥م كان يصل إلى حوالي (٢٣٪) من هم في سن التعليم أي ما يقارب ٥٠ ألف تلميذ وهو مؤشر متقدم بالفعل بالنسبة لما كان عليه الوضع في الشمال .

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صـ١١٢ – ١١٣
(٢) الاستقلال الضائع – صـ١٠٤
(٣) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – صـ٣٢٦

إلا أن معظم تلك النسبة كانت تتركز في المستعمرة البريطانية الأولى (مدينة عدن وضواحيها)، والتي كانت تستحوذ على أكثر من ٥٠٪ من الرقم السابق أو ما مجموعه (٢٥،٣٤٤) طالباً وطالبة .

أما بقية مناطق الجنوب أو الجنوب بأكمله على الأصح إذا ما استثنينا مدينة عدن فإنه لم يكن بأحسن حال قط من الشمال إذا لم يكن أكثر سوءا في ظل التجربة الاقطاعية السلاطينية والاستعمارية»[1].

وفي احصائية لنفس الفترة ١٩٦٥/١٩٦٦م وهي أكثر وضوحاً وتفصيلاً إلى أنه بلغ «عدد الطلاب الملتحقين في المرحلة الابتدائية في عدن (١٤،٥٦٥) طالباً وطالبة ، وفي المرحلة المتوسطة (٧١٠٦) وفي المرحلة الثانوية (٢٤٤٣) طالباً وطالبة و (٢٠٠) طالب في المعهد المهني الوحيد في المعلا . أي ما مجموعه خمسة وعشرون ألف طالب وطالبة في مختلف المراحل وهو ما يعادل (٥٠٪) من مجموع الملتحقين في كل مناطق الجنوب في حين أن مجموع الملتحقين في العملية التعليمية في محافظة عدن حالياً يصل (١٥٠) ألف طالب وطالبة ، وكان التعليم مقصوراً على مواليد عدن فقط من اليمنيين والأجانب ولايسمح بالإلتحاق لأبناء المناطق الأخرى من الجنوب أو الشمال»[2].

وقد شهدت عدن في هذه الفترة حركة تعليمية ملحوظة .. اكتسبت أهميتها من كونها أوجدت حالة من التنافس والتسابق على بناء المؤسسات التعليمية والإلتحاق فيها ، ولعبت النوادي التعاونية والثقافية والخيرية التي نشأت في عدن دوراً اساسياً في الاهتمام بالعملية التعليمية ، وتأهيل أبناء مناطقها .. بل إن بعض هذه النوادي الشمالية لعبت دوراً مهماً في تأسيس المدارس في مناطقها .. سيما تلك المناطق القريبة من المستعمرة عدن .

« وشهدت عدن كذلك حركة تعليمية أهلية نظامية ملحوظة من خلال النوادي الثقافية والاجتماعية ، وحملات التبرع لإقامة مدارس وتشجيع الدارسين في الداخل والخارج.

وقد كان أبرز هذه الأنشطة تأسيس المعهد العلمي الإسلامي بإشراف أحد علماء الدين المعروفين الشيخ محمد بن سالم البيحاني في أواسط الخمسينيات، وكان يضم ثلاث مراحل ابتدائي ومتوسط وثانوي ، كما تأسست لأول مرة هيئة أهلية للتعليم باسم «هيئة التربية ، والتعليم اليمنية « وكان أول مشروع أقدمت عليه هو انشاء كلية بلقيس عام ١٩٦١م .

---

(١) مجلة قضايا العصر – عدد يونيو ١٩٩٢م – ص٤٥

(٢) العدد نفسه – ص٥٢

٣: التعليم التبشيري :

كان من الطبيعي جداً أن تقوم الهيئات والمؤسسات الاستعمارية بانشاء مدارس دينية لممارسة طقوسهم الدينية من ناحية ، والتأثير على السكان المحليين واستقطابهم من ناحية أخرى ، وفي هذا الإطار وجدت العديد من المدارس التبشيرية التي فشلت في التأثير على السكان . أو ارغامهم على ترك دياناتهم، ولهذا أكدت هذه المدارس الموجهة والمدعومة على قوة الاعتقاد لدى اليمنيين وتمسكهم الوثيق بثقافتهم ومعتقداتهم الدينية الأصيلة وهذه المدارس هي :

مدارس الإرساليات التبشيرية :

ارتبطت هذه المداس مباشرة بالمؤسسة الاستعمارية ، واستهدفت بدرجة أساسية التبشير بالمسيحية ، وهي لهذا مست القيم والمعتقدات الدينية ، ولهذا كانت تلاقي الدعم غير المحدود من الاستعمار، وربما إن هذه المدارس وجهت برفض المجتمع لها .. كونها تتعارض مع عاداته وتقاليده وقيمه ومعتقداته الدينية العريقة وهي :

أ. مدارس الإرسالية الكاثوليكية :

« أسست «الفاتيكان» عام ١٨٥٤م مركزين للتبشير والتوجيه المسيحي الغربي في عدن أحدهما في منطقة التواهي والآخر في كريتر . يرتبط بكل مركز مدرسة وكنيسة وهذا تعبير عن الربط الوثيق بين التربية والعقيدة . كما يعني أنه من خلال المدرسة يمكن ترسيخ أفكار العقيدة ومبادئها .

ولم تكن مدارس الإرسالية الكاثوليكية والتي عرفت باختصار بمدارس البادري أقدم المدارس التبشيرية في عدن فحسب . بل هي أكبرها وأكثرها رسوخاً وتأثيراً في المجال التربوي طيلة عهد الإحتلال والنفوذ البريطاني ، ولم تجتث جذور هذه المدارس إلا عام١٩٧٤م .. أي أنها دامت (١٢٠) عاماً تؤدي رسالتها التبشيرية ... تتكون مدارس الإرسالية الكاثوليكية من :

- مدرسة القديس انطوني العليا للبنين في التواهي .
- مدرسة القديس يوسف العليا للبنين بكريتر .

تتكون كل مدرسة من قسم ابتدائي وآخر ثانوي وفقاً للسلم التعليمي الحكومي السائد في عدن ، ويدير كل مدرسة راهب يشرف عليها المدير الرسولي وهو ممثل الفاتيكان في عدن . ومعظم مدرسي هاتين المدرستين غير يمنيين ولغة

التدريس فيها هي اللغة الإنجليزية وتقبلان تلاميذ من جميع الأجناس والطوائف في عدن . وتفرض رسوماً مدرسية على كل تلميذ . وهي ككثير من المدارس الأجنبية الخاصة في البلاد العربية تستهوي الأسر الأجنبية والأسر المحلية الميسرة "(١).

.. هذا النوع من المدارس ليست مدارس دينية تعلم فقط الديانة المسيحية وانما كانت مدارس تربوية حديثة مستوى التعليم فيها متقدم جداً ولايزال خريجو هذه المدارس يمثلون أفضل الكوادر المؤهلة تعليمياً وثقافياً .. فقد كان التعليم فيها نوعي ومتميز وتغلب التربوي فيها على التبشيري والخوف الذي أبداه البعض من رسالتها التبشيرية ليس ما يبرره ، وإلا لما فشل الاستعمار طوال (١٢٩) عاماً تقريباً من التأثير على ثقافة المجتمع وديانته وإكراه الناس على ترك ديانتهم والدخول في المسيحية .

وتشبه هذه المدارس إلى حد كبير المدارس الدينية التي ظهرت في سبعينيات وثمانينات القرن الماضي ، وفرضت على طلابها منهجاً دينياً قائماً على التعصب والإكراه لكل ما هو جديد وله علاقة بالتطور .

ب. مدرسة الإرسالية البروتستانتية الأسكوتلاندية :

«أسست بعثة جان كيث فالكوتر التبشيرية التابعة للكنيسة البروتستانتية الأسكوتلايندية مستشفى في الشيخ عثمان عام ١٨٨٦م . ثم أسست مدرسة للبنين على غرار مدرستي البادري من حيث كونها ابتدائية ثانوية ، لغة التدريس فيها هي اللغة الإنجليزية ، وتقود إلى شهادة الثقافة العامة الـ(جي - سي - تي) وكان آخر من تولى إدارة هذه المدرسة الدكتور أحمد سعيد عفارة حيث أغلقت عام ١٩٤٣م ، ويعتبر الدكتور عفارة هذا من أبرز اليمنيين الذين تم تنصيرهم في عدن على يد هذه الإرسالية وقد كافأته الإرسالية بمنحة دراسية عليا في بريطانيا حيث درس الطب وعاد مديراً لمستشفى الإرسالية نفسها بالشيخ عثمان، والتي عرفت أخيرا بمستشفى عفارة».

جـ . مدرسة الإرسالية الدانماركية :

«تأسست هذه المدرسة في حافة الشريف بكريتر عام ١٩١٠م وتشرف عليها الإرسالية الدانماركية التي ترتبط بالكنيسة الإنجيلية الدانماركية ، وقد بدأت كمدرسة للبنين على غرار مدرستي الإرسالية الكاثوليكية آنفتي الذكر من حيث

---

(١) انظر التربية والتعليم في الشطر الجنوبي - صـ٧٥ - ٧٦

المناهج والدراسة ولغة التدريس والسلم التعليمي .. وقد قام بفتح هذه المدرسة كارل راسموسن الدانماركي والمعتمد في عدن كوكيل عن جمعية الكتاب المقدس ».[1]

والتعليم عموماً اتسم في هذه المرحلة بالضعف والجمود الفكري والثقافي وهذا يعبر عن حالة التمزق السياسي والتخلف الاجتماعي الذي كان قائماً نتاج الهيمنة الاستعمارية وكان الاتجاه السلفي في التعليم والمتمثل بالتعليم الشعبي المنتشر في كل مكان والذي قاوم بعنف السياسة الاستعمارية .

وكان هذا النوع من التعليم «الشعبي» والمتمثل بالكم الكبير من الكتاتيب المنتشرة هنا وهناك ، وكذا في الأربطة الدينية . كان يستند إلى خلفية حضارية، وإلى ثقافة عربية اسلامية لها روابط جدلية عميقة في الواقع . مدعوم بقوة من المجتمع المؤمن بعقيدته الإسلامية العريقة أو بالكم الهائل من العلماء والأئمة ورجال الدين الذين يعتبرون من أهم وأصدق وأقوى الروافد الدينية .

وفي خط موازي لهذا النوع من التعليم يقف التعليم الاستعماري التبشيري المسنود بقوة من الاستعمار ، ولكنه ضعيف بفضل رفض المجتمع له وباعتباره يستند إلى خلفية استعمارية وحضارية غربية وأجنبية أخرى .

«أما في مستوى المرحلة الثانوية فهناك نحو (٢٠٠) تلميذاً يتواجدون في الثانوية الحكومية الوحيدة ، ،في الأقسام الثانوية بالمدارس التبشيرية ، ويتركز معظمهم في الصفوف الدنيا من الثانوية .

أما في مدرسة جبل حديد الموجودة في عدن والخاصة بأبناء رؤساء المحميات فيوجد نحو (٤٠) تلميذاً عام ١٩٣٧م»[2].

واستمرت المدارس التبشيرية تؤدي رسالتها التعليمية متمسكة بثقافتها وكيانها وقد بلغت مدارس الإرسالية الرومانية الكاثوليكية الأربع والتي عرفت شعبيا ورسمياً بمدارس البادري مطلع خمسينيات القرن الماضي أوج ازدهارها .. حيث أصبح منتسبي هذه المدارس بامكانهم الحصول على شهادة الثانوية العامة وأصبح طلابها يحصلون على شهادة كامبردج أو الثقافة العامة اللندنية كما يصف بعض ممن كانوا ملتحقين في هذه المدارس .

---

(١)
(٢)

٤ : التعليم الأجنبي :

الوضع الاستثنائي لمدينة عدن في ظل الاستعمار وتعدد الثقافات التي فرضها الاستعمار . كان لابد من ظهور العديد من المدارس الأجنبية والدينية لتعبر عن حقيقة هذا الوضع الجديد .. فهناك اختلالات سكانية في عدن والتي كان يسكنها العديد من الجاليات الأجنبية التي شكلت نسبة عالية من السكان ، ولهذا كان لابد وأن توجد مدارس خاصة بهم .. وهو ما سوف نتناوله هنا بايجاز للتعرف على طبيعة وحجم هذه الاختلالات السكانية .

فالمجتمع العدني أصبح يتشكل في ضوء ثقافات متعددة تتداخل فيما بينها، ولكن الثقافة الاجتماعية المحافظة التي ظلت تنهل من الموروث الإسلامي والفكري الديني المستنير ومن ثقافة ترتكز على ماضي حضاري عريق ونزعات تحررية أكثر عراقة .

وظلت ثقافة المجتمع تبحر في مجتمع تتنازعه العديد من الثقافات ويمزقه الاستعمار بل يحاول اعادة انتاجه وفقاً لأهدافه وسياسته الاستعمارية التي سقطت أمام تمسك المجتمع بثقافته وعاداته وتقاليده الحضارية العريقة .

والخارطة التربوية التي نحن بصددها تعطي لنا مؤشراً واضحاً لحقيقة التعليم الذي كان قائماً تتنازعه ثقافات انسانية متعددة بما فيها من الضعف والهشاشة وكل ثقافة كانت تتمسك بذاتها في محاولة لمقاومة ثقافة الآخر .. سيما الثقافة الدينية الاستعمارية التي عبرت عنها المدارس المتعددة التي سنتناولها تباعاً بصورة مختصرة جداً وعلى النحو الآتي :

مدارس الجاليات الأجنبية في عدن :

شكل سكان عدن خليط من أبناء الجاليات الأجنبية الوافدة إلى عدن وذكر الكابتن هنس في تقرير له رفعه إلى حكومة الهند البريطانية في يناير عام ١٨٣٩م أن عدد سكان عدن (٦٠٠) نسمة منهم (١٨٠) يهودياً . وبين (٣٠-٤٠) من الهندوس البانيان ، البقية بين عرب وصومال وفي سنة ١٨٧٢م جرى احصاء رسمي لسكان عدن فبلغ عدد السكان (١٩،٢٨٩) نسمة وعدد الجنود (٣٤٣٣) جندياً وكانوا على النحو التالي :

- ٨٢٤١ يمنياً .
- ٤٣٤٦ صومالياً .

- ٢٦١٤ هندياً مسلماً .
- ١٤٣٥ يهودياً .
- ٨١٥ هندياً من البانيان .
- ١٨٢ بريطانياً .
- ١٢١ هندياً فارسياً .

أما الباقون فكانوا من الأتراك والإيرانيين والمصريين والأكراد والصينيين وبعض الأوربيين وأمريكي واحد .

من هذا الإحصاء يتضح أن نسبة السكان اليمنيين إلى مجموع السكان المدنيين في عدن تبلغ (٤٢,٥٪) أي أقل من نصف مجموع السكان . ثم تأتي الجالية الصومالية فالهندية . فاليهودية أي أن اليمنيين وهم سكان البلاد الأصليون يشكلون كبرى جاليات عدن فقط مثلها مثل دول الخليج العربي اليوم"[١].

ونظراً للإنتعاش الاقتصادي وزيادة دور عدن في استقطاب حركة التجارة العالمية نظراً لموقعها المتميز ازداد سكانها إلى (٤٨،٧٤١) نسمة عام ١٩٣١م و(٨٠،٥١٦) نسمة عام١٩٤٦م . وطبيعي أن يزداد عدد أبناء الجاليات الأجنبية بالمقابل . ولكن الرافد اليمني خاصة من شمال اليمن وحضرموت كان من أغزر الهجرات الداخلية إلى المستعمرة عدن فحافظت هذه الهجرات على يمنيتها وعروبتها ، وارتفعت بذلك نسبة اليمنيين في المستعمرة إلى أكثر من (٥٠٪) من مجموع السكان . هذا ولم يتصرف الصوماليون كجالية أجنبية في عدن بالرغم من تجمعاتهم المكثفة في مناطق معينة بل تصرفوا كعرب مسلمين وأدخلوا أبنائهم في نفس المدارس اليمنية أو التبشيرية وظل اليهود والهنود كجاليتين أجنبيتين كبيرتين في عدن ، وكانت لهم مدارس خاصة بهم . ولما كان الهنود أنفسهم مسلمين وبانيان فكانت لكل طائفة دينية منهم مدارسها الخاصة وهكذا فإن أهم مدارس الجاليات الأجنبية في عدن حتى عقد الثلاثينات »[٢].

فالهجرة الواسعة من أبناء الشمال وأبناء المحميات أعطى المجتمع اليمني العدني حماية اجتماعية وثقافية وحصانة جنبتها الوقوع في فخ تأثيرات الثقافة الاستعمارية والثقافات الوافدة الأخرى ، و ظلت عدن تقاوم الأعاصير وتحافظ على هويتها الثقافية وتنتصر لها وسوف نتناول هذه المدارس على النحو الآتي :

---

(١)
(٢) هوامش الصفحات (٢٥٧-٢٦٣) ، المصدر السابق.

أ. المدرسة الجزراتية :

« وتسمى أيضاً المدرسة الججراتية وقد أنشئت خصيصاً لأبناء طائفة الجالية الهندية غير المسلمة «البانيان» إلا أن بعض الهنود المسلمين ممن يتكلمون اللغة الجزراتية تعلموا في هذه المدرسة . .... .

وكان لهذه الجمعية مدرستان أحدهما للبنين والأخرى للبنات أشبه بكتّابين في الشارع رقم (١) بكريتر .

وفي عام ١٩٣٦م تطور هذان الكتّابان إلى مدرسة أولية بفضل جهود التاجر الهندي الكبير قهوجي دنشا حيث جلب لها الكتب والوسائل التعليمية والمدرسين من الهند .

ب. مدرسة أنجمن اسلام :

« تأسست هذه المدرسة في التواهي لتعليم أبناء الجالية الهندية المسلمة لغة التدريس فيها هي الأردو . وهي مدرسة أولية أدخلت في مناهجها اللغة العربية بهدف قراءة القرآن الكريم .

جـ . مدرسة باهي لالجي الإسلامية :

« أنشأ هذه المدرسة باهي لالجي في كريتر لتعليم أبناء الجالية الهندية المسلمة على غرار مدرسة أنجمن اسلام»[1].

وعلى الرغم من وجود مدارس لجاليات اسلامية إلا أن البعدالثقافي والاجتماعي لأبناء هذه المدارس ظل يلعب دوراً أقل تأثيراً على ثقافة المجتمع مقارنة بثقافة الجاليات الغير عربية والغير اسلامية .

د. مدرسة الجالية اليهودية في عدن :

اليهود في عدن هم أصلاً يمنيون اعتنقوا اليهودية بالوراثة منذ ما قبل الإسلام .. ويعيشون مع اليمنيين جنباً إلى جنب في بيحان والعواذل والعوالق والواحدي وعدن من سلطنات المحميات التي كانت قائمة آنذاك ، ولكنهم رفضوا الاندماج في المجتمع وتعاملوا على أنهم جالية أجنبية بحكم دعمهم من قبل الصهيونية العاليمة . وقالوا أنهم عبرانيون وكان عددهم في عدن أثناء سقوطها في يد البريطانيون عام ١٨٣٩م (١٨٠) نسمة ، وارتبطوا بالاستعمار بل عملوا

---

(١)

مخبرين له : « وبتطور الحياة الاقتصادية في عدن خاصة في الجانب التجاري توافد اليهود إلى عدن وتزايد عددهم .

فأنشئوا لهم في البدء كُتاتيب لتعليم أولادهم وبناتهم لغتهم العبرية وديانتهم اليهودية وذلك بحيهم المعروف في كريتر حيث توجد بيوتهم ومتاجرهم وحرفهم خاصة صياغة الذهب والفضة وحيث يوجد أيضاً معبدهم .

وفي عقد الثلاثينات تطورت مؤسسات تعليم أبناء هذه الجالية اليهودية من شكل الكتاتيب إلى شكل المدارس المنظمة لتترسخ في أرقى صورة تمثلها مدرستان حديثتان بجوار المدرسة الحكومية المعروفة بمدرسة الإمامة «المتحف الحربي حالياً» كانت احداهما للبنين والأخرى للبنات »[1].

وعلى الرغم من هذا إلا أن الوضع التعليمي بصفة عامة بائساً ومتخلفاً إلى حد كبير و المدارس التي انتشرت وهي على قلتها تعطينا مؤشراً للضعف في تلك المرحلة ، فالمدارس التي كانت قائمة أقرب ما تكون بالكتاتيب وغالبيتها عبارة عن مدارس تبشيرية وأخرى أجنبية لايستفيد منها المجتمع المحلي .. ومع هذا إلا أن الإحصائيات التي جاءت من تلك الفترة تحكي الواقع التعليمي المزري لتلك الفترة

حيث تؤكد الاحصائيات التعليمية الموثقة عن التعليم في المستعمرة عدن أنه عام ١٨٩٧م تضم المدارس الحكومية والتبشيرية والخاصة (١٧٦٨) تلميذاً موزعين كالتالي :

- ٦٥٢ تلميذاً في المدارس الابتدائية العربية الحكومية الثلاث .
- ٨٨ تلميذاً في المدرسة الإنجليزية الحكومية من بينهم (٦١) تلميذاً يمنياً فقط
- ٤٢٤١ تلميذاً في المدارس التبشيرية والخاصة والمعانة .

وفي منتصف عقد الثلاثينات بلغ مجموع التلاميذ في مرحلة ما قبل الثانوية (٣٦٦٦) تلميذاً يوجد من بينهم (١٦٦٦) تلميذاً في المدارس الابتدائية موزعين على (٤) مدارس حكومية و(٦) مدارس معانة . ويبقى هناك نحو (٢٠٠٠) تلميذاً موزعين على المدارس غير المعانة من كتاتيب ومدارس أهلية .

والحديث هنا عن المدارس الأجنبية التي كانت قائمة وقتها هو بهدف اعطاء فكرة عن طبيعة الخارطة الاجتماعية التي كانت تشكل المجتمع العدني حينها

---

(١)

وتمثل أطراف ومكونات هذه الخارطة بثقافتها المختلفة .. فاليهود على الرغم من كونهم يمنيين في الأساس . إلا أنهم اعتنقوا الديانة اليهودية وكان لزاماً عليهم تعلم أصول وثقافة هذه الديانة التي أصبحت موجودة في الواقع وتحضى بدعم الصهيونية العالمية التي كانت مؤثرة على الكثير من الدول الأوربية .

وللتعامل معهم أيضاً كجالية أجنبية تتمتع بمميزات مختلفة ، ومختلفة عن أبناءالبلد أو البلدان العربية الأخرى .

وظلت هذه المدارس قائمة بمبانيها وثقافتها المختلفة وتؤدي رسالتها التعليمية بصورة طبيعية حتى خمسينات القرن الماضي .

وقد شهدت مدارس الجاليات الأجنبية في عدن في الفترة السابقة للاستقلال من عقد الستينيات تطورات هامة أبرزها .

- " افتتاح المبنى الجديد في الخساف بكريتر للقسم المتوسط والثانوي من المؤسسة التعليمية الجزراتية ، واحتفظ مبنى الساحل الأمامي بالقسم الابتدائي .
- برزت مدرسة "جمعية آباء عدن الصغرى" في البريقة .

برزت مدرسة "جمعية التربية الأوربية العدنية " بخور مكسر وتسمى أيضاً مدرسة البرزخ بخور مكسر ، وهي مدرسة مختلطة في مستوى الابتدائي والمتوسط ومبناها هو القسم القديم من المعهد الصحي "حالياً" بخورمكسر . وهي خاصة بأطفال عائلات الجيش البريطاني ، وتتولى التدريس فيها زوجات الأوربيين "[1].

---

(١) هوامش الصفحات (٢٥٧-٢٦٣) ، المصدر السابق.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

المناهج الدراسية المتبعة في عدن

وكانت المناهج والدروس التي تعطى للطلاب لا تتعدى اللغة الإنجليزية والحساب، وقليل من الجغرافيا السياسية وتاريخ الهند السياسي وتاريخ الإمبراطورية ، ولم تكن الثقافة العامة ولا تنمية الذكاء والشعور بين أبناء المدارس ، وذلك عن طريق تدريس الأدب والفنون إلا قليلاً إلى جانب تدريس تاريخ أوروبا وجغرافية الجزر البريطانية وكانت طريقة الحفظ هي السائدة في طريقة التدريس والترديد لما استوعب فيه ، وكانت المناهج الدراسية تعكس الأهداف الاستعمارية التي وضعت من أجل خدمة المستعمر خلال فترة احتلاله لعدن »[1].

فكلية أبناء الرؤساء اعتمدت منهجاً دراسياً خاصاً بها وهو ما قاله الضابط البريطاني « أما فيما يتعلق بالمناهج الدراسية والأنشطة المدرسية لهذه الكلية فيقول هذا الضابط البريطاني « وينبغي أن تشتمل المناهج المدرسية على الألعاب الرياضية العديدة والمختلفة ، وأن يتضمن كذلك لعبة البولو ، وأن ينص على تكوين فرق مدرسية تتلقى التدريب العسكري الأولي « وأن يحتوي أيضاً على الأساس الشامل والإلمام التام باللغة العربية المعروفة بالأدب والتاريخ العربيين، ويجب أن يحتل القرآن الكريم مكاناً بارزاً في هذا المنهاج . وأن يشمل المقرر التعليمي أيضاً على الحساب والرياضيات الأولية وعلى المعرفة الكافية باللغة الإنجليزية»[2].

أراد الاستعمار أن تكون هذه الكلية مؤسسة عسكرية بوليسية وليست مؤسسة تعليمية .. فهي تريد أن تؤهل طلابها عسكرياً وبوليسياً لضمان ولائهم للاستعمار.

والمنهج الدراسي كان يتغيرمن وقت إلى آخر ويخضع لظروف وملابسة كل جهة مثلا :« كان المنهج في مدارس عدن خلال تبعيتها لحكومة الهند البريطانية هو المنهج الهندي سواء كان ذلك في المرحلة الابتدائية أو الثانوية ، كما أن غالبية

---

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صـ ١١٠

(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ج١ – صـ٧١

المدرسين كانوا من الهنود ، ولم تكن مناهج التعليم الثانوي تؤهل للدراسات العليا في الخارج والأردية والجزرانية والعربية واليهودية ، وذلك لوجود عدد كبير من الجاليات الأجنبية في عدن والتي وفدت مع الاحتلال البريطاني لعدن بعد عام ١٨٣٩م .

لذا تم التعامل مع اللغة العربية كلغة لجالية ، كما أن الحكومة رأت بأنه لايوجد أي مبرر لتطوير اللغة العربية في بلد صغير كعدن »[١].

ولهذا كان المنهج الدراسي متعدداً بتعدد الثقافات القومية ، ولكن الاستعمار كان محتاجاً لهامش محدود في تدريس اللغة العربية أو الأبجديات الإسلامية ليسهل عملية التعامل مع مجتمع يعيش داخله غريباً .

وفي هذا السياق أوصت اللجنة الاستشارية للتربية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية بالآتي :

- امكانية التدريب الفني من خلال نظام التأهيل الفني .
- ادخال نوع من التدريب اليدوي الصغير فيما يتعلق بصناعة التجارة السياحية "[٢].

ويشير المصدر ذاته إلى أنه تم " تطبيق بعض المناهج الفلسفية في عدن قبل فترة الأربعينات ، وقد كان ذلك بفضل جهود الأستاذ " ظاهر حمزة" المنتدب من معارف فلسطين ، والذي تم تعيينه مساعد ضابط معارف عدن في أكتوبر ١٩٣١م"[٣].

وفي الأربعينات شهد الواقع التعليمي تقدماً ولكنه بطيء جداً لايلبي احتياجات المجتمع والتطور الذي يجري في العالم فعلى الرغم من أن الطلاب إلى عام ١٩٤٠م «أصبحوا يحضرون لامتحان (كمبردج العالي) الذي يمكنهم من الإلتحاق مباشرة بالجامعات بالخارج ، الا ان منهج العلوم ، الكيمياء ، الطبيعيات ، لم يتم تطبيقه مالم يفتح القسم الخاص بذلك »[٤].

كانت بريطانيا حينها تعيش ثورة حقيقية لاصلاح التعليم .. وهذه الثورة أوجدت حالة من التداعيات داخل عدن لاصلاح الواقع التعليمي .. حيث طالب الكثير بتدريس تاريخ أوروبا الحديث إلى جانب تاريخ الأمبراطورية البريطانية،

---

(١) تاريخ التعليم في عدن – صـ١٦٧ – ١٦٨
(٢) المصدر نفسه – صـ١١٨
(٣) المصدر نفسه – صـ١١٩
(٤) المصدر نفسه – صـ١١٩

وكذلك الفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان مستقلة عن بعضها ، بالاضافة إلى الخمس مواضيع الذي يتم تدريسها وهي : اللغة الإنجليزية ، اللغة العربية ، تاريخ الامبراطورية ، الجغرافية ، الرياضيات»[1].

وقد حدث تطور ملحوظ في المناهج التعليمية متأثراً بمختلف الإجراءات والمناقشات التي تجري في بريطانيا لتطوير العملية التعليمية فيها.. وقد أصبح في عدن بفضل تلك المناقشات تمنح شهادات «كمبردج» في اللغة العربية ما يعادل شهادة «كمبردج في اللغة « التي يتقدم لها طلاب الثانوية في السودان .. وأصبح الطالب العدني بإمكانه التقدم للإلتحاق في الجامعات العربية بدون امتحان ويعد الطلاب أيضاً في المواد الأخرى الامتحان (السنبركمبردج) أيضاً.

بالاضافة إلى مواد تجارية « الغرض منها اعداد بعض الطلبة لنيل شهادة غرفة لندن (التجارية الثانوية) »[2].

وفي الخمسينات «اشتدت المطالبة من قبل الأهالي في عدن لتحسين أحوال مناهج التعليم وتركز الاهتمام على انتشال أوضاعها التعليمية عن طريق ايجاد مناهج عملية تؤدي إلى تطورها ، ولكن ركزت السياسة البريطانية على المنهج البعيد عن الاحتياجات الاجتماعية والإنسانية ، حيث ركزت على المنهج ذي الطبيعة الأكاديمية وعلى حساب الدراسات التطبيقية التي يفترض أن تشكل المصدر الرئيس لسد حاجة البلاد من المتخصصين والفنيين والمهندسين »[3].

فالمناهج هنا لم تلبِ احتياجات المجتمع وإنما يساعد الطلاب على التخرج لممارسة الأعمال الكتابية . والمناهج الدراسية في عدن متعددة ومتنوعة وهي متأثرة إلى حد كبير بالعديد من المناهج التعليمية في البلدان العربية التي تأثرت فيها هذه المدرسة أو تلك .. بينما المدارس الحكومية والمعانة كانت تقع تحت التأثر المباشر بالمناهج التربوية البريطانية .. باعتبارها تلبي الحد الأدنى من السياسة البريطانية وحاجة البريطانيين لمن يجيد اللغة وأعمال الإدارة والطباعة والسكرتارية في المراحل الأولى ، والمواد الدراسية المعتمدة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة تتمثل بالآتي :

- اللغة العربية : وتحتل المرتبة الأولى في عدد حصصها في الخطة الدراسية وتتضمن فروعاً هي : القراءة والمحفوظات والإملاء والتعبير .

---

(١) المصدر نفسه – صـ١٦٩
(٢) المصدر السابق – صـ١٧١
(٣) المصدر السابق – صـ١٧١

- الرياضيات : وتأتي بعد اللغة العربية في الأهمية وتدرس في المدارس الابتدائية كتب الحساب المترجمة وفي المدارس المتوسطة تدرس بالاضافة إلى الحساب موضوعات في الجبر والهندسة التقليدية .
- الدين : تتضمن مفردات مادة الدين معارف في الموضوعات التالية :

القرآن الكريم – الحديث الشريف – العبادات – سيرة الأنبياء – الصحابة ، وقد وضعت لجنة تأليف الكتب المدرسية خلال الفترة (١٩٥٧-١٩٥٩م) مقررات محددة لهذه المادة التي خصصت لها في الخطة الدراسية أربع حصص في الأسبوع لكل صف في المرحلة الابتدائية ، وحصتان في الأسبوع لكل صف في المرحلة المتوسطة .

والجدير بالذكر أن مادة الدين لاتعتبر مادة اجبارية في المدارس الحكومية وإن المدارس المعانة حرة في تدريس مقرراتهاالدينية الخاصة بها .

- اللغة الإنجليزية : بدأ تدريس هذه المادة في الصف الثالث الابتدائي ثم انسحب تدريسها إلى الصف الرابع الابتدائي فصاعداً ، ولتدريس هذه المادة مكانة هامة في المنهج كما سبق وأن أشرنا .
- الجغرافية والتاريخ : تتضمن مادتا الجغرافيا والتاريخ معلومات عن جغرافية وتاريخ عدن والمحميات والبلاد العربية وخطوطاً عريضة عن تاريخ وجغرافية العالم . وقد وضعت لهاتين المادتين الكتب المحلية .
- العلوم : تتناول مادة العلوم مبادئ أولية وعامة في الصحة الأحياء والفيزياء والكيمياء .
- الأشغال اليدوية والرسم : يبدأ تدريسها منذ الصف الأول الابتدائي وقد خصص لكل من هاتين المادتين (١-٢) حصة في الأسبوع لكل صف دراسي (سنة دراسية)"[١].
- وتركزت المواد الدراسية في المرحلة الثانوية على مدى أربع سنوات على الآتي:
- المواد والمقررات الدراسية التي تقود إلى الحصول على احدى الشهادات البريطانية وتعطي لمادة الدين حصة واحدة في الأسبوع لكل الصغار ، وهي مادة اختيارية[٢] وربما ان السياسة التربوية كما أسلفنا بأنها متعددةٍ ومتنوعة بتنوع وتعدد المصادر التربوية لهذه المدارس . فالمواد الدراسية مثلاً في كلية عدن تمثل بالآتي :

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ٢٤٥
(٢) المصدر نفسه – صـ٢٤٦

- اللغة العربية والأدب العربي .
- اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي .
- اللغة الفرنسية (وتدرس في المستوى العالي فقط) .
- الرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء .
- التاريخ ، والجغرافيا ، والفنون ، والأشغال"[1].

وتمنح الكلية شهادة الثقافة العامة بمستوياتها العادي والعالي ، وهي المواد ذاتها التي تدرس في المدرسة الثانوية ، ولكن بالاتجاه التطبيقي والتركيز على المواد الأدبية والأشغال وتقود هذه الدراسة إلى شهادة الثقافة العامة المستوى العادي للمتدربين .

وكذا تعليم عام وتطبيقي يؤهل إلى الوظائف الكتابية الحكومية والوظائف الصناعية والتجارية لعدد واسع من خريجي هذه الثانوية .

وتقود الدراسة في كلية البنات إلى شهادة الثقافة العامة لجامعة كالبردج وإلى دراسة تطبيقية مع التركيز على العلوم المنزلية والمواد التجارية والمواد الدراسية هي :

- اللغة العربية والدين .
- اللغة الإنجليزية .
- الرياضيات ، العلوم ، الجغرافيا ، التاريخ ، التدبير المنزلي أما المواد الأساسية في المعهد الفني والتي تقود إلى شهادة ستي أندجيلوس بعد دراسة لمدة أربع سنوات ، ويتكون هذا المساق من التخصصات التالية :
- تجارة .
- محركات .
- كهرباء[2].

مصادر تمويل التعليم في الجنوب

التعليم في الجنوب كان متنوعاً ومتعدد الثقافات والجنسيات ، ولهذا لابد وأن تكون مصادره متنوعة ومتعددة طبقاً لتعدد وتنوع هذه الثقافات وتنوع مصادر تمويل التعليم طبقاً لتنوع «تبعية المؤسسات التعليمية ذاتها» وقد تحدثنا عن تنوع هذه المصادر خلال الثلاثينات ، ونوجزها هنا وخلال عقد الأربعينات بالتالي :

---

(١) المصدر نفسه – صـ٢٤٦ – ٢٤٧

(٢) المصدر نفسه – صـ٢٤٧

- الوقف .
- التبرعات والهبات من الأفراد والشركات .
- الاعتمادات الحكومية البريطانية .
- مساعدات الدول العربية للطلبة والمبعوثين إليها أو بارسال مدرسين مصريين مجاناً إلى لحج .
- الرسوم المدرسية [1].

السلم التعليمي خلال الحقبة الاستعمارية :

كان السلم التعليمي المتبع بسيطاً ومتواضعاً ولحدود يتناسب والوضع التعليمي القائم .. فقد كانت «المرحلة الابتدائية تتراوح الدراسة فيها ما بين (٤-٥) سنوات ، والمرحلة الثانوية الدراسة فيها تستغرق ما بين (٥-٦) سنوات . ثم تطور بعد ذلك لتصبح المدارس الابتدائية مدة الدراسة فيها (٤) سنوات والمدارس المتوسطة (٣) سنوات للبنين و(٤) سنوا ت للبنات (زيدت سنة كتجربة) والمدارس الثانوية (٤) سنوات للبنين و(٤) سنوات للبنات (زيدت سنة كتجربة) والمدارس الثانوية أربع سنوات ، وفي هذا الصدد يوضح أحد المصادر أن السلم التعليمي في عدن كان مكوناً من :

- المرحلة الابتدائية : وسنوات القبول بها في سن (٦-٧) سنوات .
- المرحلة المتوسطة : ويلتحق بها التلاميذ الناجحون من المرحلة الابتدائية في سن (١١) سنة .
- المرحلة الثانوية : ويلتحق بها الطلاب الذي اجتازوا بنجاح امتحانات التنافس للقبول في الثانوية في سن نحو (١٥) سنة .
- المرحلة المتوسطة : ومدة الدراسة فيها (٤) سنوات .
- المرحلة الثانوية : ومدة الدراسة فيها (٤) سنوات [2].

البعثات التعليمية في الخارج :

لعبت البعثات التعليمية في اليمن شماله وجنوبه دوراً أساسياً في تحسين مستوى التعليم ، ورفد الإدارة اليمنية بالكادر الوطني المؤهل في مختلف مجالات الحياة . وقد بدأ هذا الأمر واضحاً في عدن المستعمرة مبكراً نظراً للهجرة المبكرة التي كانت متاحة حينها .. وبدأت « البعثات التعليمية ترسل من الشطر

---

(١) المصدر السابق – صـ٢٣٩
(٢). مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صـ١٠٩

الجنوبي من اليمن للدراسة في الخارج منذ الثلاثينيات ... من قبل العديد من الهيئات الوطنية من جمعيات وأندية وأفراد لإرسال البعثات الطلابية إلى مصر والعراق وسوريا وغيرها من البلاد العربية من مختلف المستويات : الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ... وفي عقد الخمسينات نشطت البعثات الطلابية للدراسة في الخارج خاصة تلك التي حصلت على منح من الحكومات والهيئات شبه الحكومية كالمجلس البلدي العدني وأمانة ميناء عدن والجمعية الخيرية بالمكلا، ولجنتي القطن في أبين ولحج»[1].

(١) انظر التربية والتعليم في الشطرالجنوبي – صـ٥٣٥

٦

المبحث السادس

الفصل الأول

المبحث السادس
الفصل الأول
اشكاليات المضمون الثقافي والتعليمي في عدن والمحميات

التعليم في عدن والمحميات لايختلف كثيراً عما كان قائماً في المملكة المتوكلية اليمنية ، ولا أتفق مع بعض الكتاب والسياسيين الذين يحاولون تصوير التعليم الذي كان قائماً وقتها في عدن والمحميات على أنه أكثر سوءا . هذا حكم مبالغ به .. ولايستند إلى أي مؤشرات واقعية فالمؤشرات والمعطيات المتوفرة تؤكد عكس ذلك .. فالوضع التعليمي في عدن كان أفضل حالاً مما كان قائماً في المملكة .

وربما أن الأوضاع التي كانت قائمة وقتها في بلدان الجوار ، لاتختلف كثيراً عن الأوضاع في اليمن .. والتعليم فيها أفضل حالا . ناهيك عن التأثيرات الخارجية القوية في عدن والمحميات . وتتمثل هذه التأثيرات في الآتي :

١. تتمتع عدن المستعمرة ببعض المميزات والخصائص التي جعلت منها أهم منطقة حضارية وأهم ميناء في العالم يربط العالم بقاراته المختلفة .

٢. انفتاح عدن على بقية المستعمرات وتأثير هذا الانفتاح على بعض الفئات الاجتماعية والطبقات التي ظهرت كصفوة في عدن تتمتع بحقوق قانونية أفضل .. لهذا ظهرت العديد من المدارس الخاصة ، والتي تدرس أبناء هذه الفئات على نمط أقرب من الأنماط التعليمية المتعارف عليها عالميا .

٣. تأثير عدن القوي على المحميات .

٤. تأثير المستعمرات البريطانية في الهند والخليج على الأوضاع التعليمية في المحميات والتي كانت تربطها علاقات تبادل ثقافي مع هذه المناطق الحضرية.

٥. وجود مدارس وان كانت محدودة على نمط بعض المدارس التي وجدت في السودان أو مصر أو العراق أوغيرها من البلدان التي كانت تمثل حالة أفضل منا .. وهذه البدايات لاشك وأن لها تأثيرات ايجابية على الأوضاع التعليمية

في المحميات .. فالتأثير المباشر للحضارة الاستعمارية كان قوياً . ولهذا تأثرت شعوب هذه المحميات بالمظاهر المدنية لمستعمرةٍ عدن ، وقد وصل هذا التأثير إلى مناطق الحجرية القريبة من عدن .. نظراً لاحتكاك السكان بالحضارة الاستعمارية . وأصبح ذلك واضحاً على السكان .. حيث يعتبر المجتمع في هذه المناطق أكثر تحضراً . وأكثر قدرة على استيعاب المظاهر الحضارية ، ولهذا استطاعت النوادي في هذه المناطق أن تكون مؤسسات مدنية حضرية ، وأن تضطلع بمسئوليات بناء المدارس وايفاد أبناء مناطقها للدراسة في الخارج ، ولهذا أهلت كوادر وكفاءات علمية كان لها تأثير واضح على مسار الأوضاع التي احدثتها الثورة ثقافياً وسياسياً واداريا وتنمويا، وكان أيضاً لتأثير المؤسسات الحزبية واضحاً على وعي الناس في هذه المناطق تحديداً .

وهذه الخصائص والمميزات تشكل مظهراً هاماً من مظاهر الحضارة ، وتمثل حالة أفضل اذا ما قارناها بما كان قائماً في أقاليم المملكة المتوكلية اليمنية ففي مستعمرة عدن وبقية المحميات وجدت نماذج تعليمية مختلفة أبرزها :

١. التعليم التقليدي : وهو نظام تعليمي قديم . يعتبر جزءاً من تراثنا الثقافي الذي نجد له أمثلة في كثير من المحميات العربية حيث تمثل المعلامات "الكتاتيب" مرحلته الأولى ، وتمثل الأربطة والمعاهد ، والمعاهدالدينية مرحلتيه الثانوية والعليا ، وأهم ما يميز هذا النظام عدم خضوعه لسن عمرية معينة، ولالنظام قبول محدد ، ولالسنوات دراسية محدودة ، ويستطيع الدارس في الأربطة أن يجمع بين الدراسة والعمل ويتركز التعليم في النظام التقليدي على مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية ، ولم يعد هذا النظام صالحاً لتطور المجتمع منذ ماقبل الاستقلال . اذ بقى جامداً متخلفاً وقاصراً على تلبية حاجات المجتمع المتطور .

٢. التعليم النظامي : وهو اما حكومي أو أهلي ، وأهم ما يميز هذا النموذج من التعليم بأنه يلتزم بلوائح تنظيمية وتخدم أهدافه مصالح وسياسات الجهات المشرفة عليه إذ نجد :

- نظاماً تعليمياً يحاكي النظام التعليمي السوداني السابق فيما يسمى بالمحميات الشرقية (حضرموت) وتشرف عليه السلطنات .
- نظاماً تعليمياً يحاكي النظام التعليمي الإنجليزي في مستعمرة عدن وتشرف عليه الإدارة البريطانية أوالجاليات الأجنبية .
- نظاماً تعليمياً يحاكي النظام التعليمي العراقي أو المصري وتشرف عليه الهيئات الوطنية .

- تعليم الصفوة : يخضع التعليم قبل الاستقلال لنظام الاصطفاء الاجتماعي فهو تعليم الخاصة ، وليس للجماهير ، للمقتدرين دون الفقراء ، للأولاد دون البنات ، إلا القلة منهم . أما الغالبية العظمى من أبناء العمال والفلاحين واصحاب الحرف وأبناء البدو والرحل فغالباً مايسلكون طريق آبائهم في مهنهم وطراز معيشتهم دونما حاجة إلى دخول المدارس ، فالأمية سبيلهم وكدح الحياة طريقهم ، وتبقى المدرسة حكراً لأبناء الفئات البرجوازية والأغنياء . وكل الأفراد المرتبطين بالنظام السياسي والاقتصادي مع قلة من أبناء الطبقة العربية من الشعب ، ولم يقتصر نظام الاصطفاء في التعليم على كونه خاصاً بفئة قليلة محظوظة من المجتمع ، بل في مضمونه وطريقته ليفرز في صفوفه العليا عدداً محدوداً من المبرزين "[1].

فالمدارس بطبيعتها وتوجهاتها تحدد اتجاهات النظام السياسي القائم ، فمن خلالها يحقق الأهداف المرجوة .. والمدرسة في النظام الفردي الذي عرفته اليمن طويلاً تكرس واقع الحب والعبودية له ، وفلسفة الخضوع والاستسلام لثقافته، حتى في ظل الأنظمة الاستعمارية .. "وفي عهد النفوذ البريطاني عكست المدارس الأهلية انتعاشاً اقتصادياً وفكرياً للمواطنين خاصة في عدن وحضرموت كما عكست المدارس الأجنبية انتعاشاً اقتصادياً وفكرياً لدى الجاليات الأجنبية في نفس ظروف الاحتلال البريطاني . وجسدت مدرسة جبل حديد (كلية أبناء الرؤساء) خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي الأهداف السياسية الاستعمارية في بلادنا في مجال التربية والتعليم "[2]في الثلاثينات وهي المرحلة التي بدأت تتشكل فيه ملامح العملية التعليمية بوضوح أكبر وتؤسس لمرحلة جديدة . عكست مدارس هذه المرحلة حقيقة المشهد التعليمي الذي بدأ يتشكل ويتسع وينتقل إلى داخل مؤسسة المجتمع .

فالتنوع التعليمي الذي بدأ واضحاً في طبيعة المدارس التي كانت قائمة عكس حقيقة التنوع في الوضع الثقافي الذي كان قائماً ويشكل بأكمله المجتمع العدني، وفي هذا الاطار تعايشت العديد من المؤسسات التربوية . مثل الكتاتيب ، والأربطة ، والمدارس الأهلية والحكومية والمدارس التبشيرية ، ومدارس الجاليات وغيرها .

(١) الموسوعة اليمنية - حـ١ - صـ٢٥٢ -٢٥٣

(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي - صـ٤٨

وجميعها كانت تؤدي رسالة تعليمية وثقافية ترسم وتشكل وعي المجتمع وفقاً لثقافتها وتراكم معارفها التقليدية والتراثية وعلى الرغم من هذا وذاك إلا أن التعليم في عدنٍ كان لايفي بمتطلباتٍ وحاجات المجتمع .. فالتعليم التقليدي والذي كانٍ قائماً ومتوارثا . كان ضعيفاً وتحت مجهر المؤسسات الاستعمارية لأنه كانٍ تعليماً مقاوما ، وجزء من فكر المجتمع المقاوم لثقافة الاستعمار .. وكان أيضاً قوياً لأنه يعبر عن تراث المجتمع وعقائده والتعليم الحكومي أيضاً أو النظامي بصورة عامة والذي بدأ يدق ناقوس الخطر بالنسبة للثقافة الاستعمارية كان أحد الروافد الأساسية والقوية للتعليم التقليدي الذي إلتحم به في جبهة المقاومة حتى وان كان في المرحلة الأولى متعاطياً إلى حد ما مع السياسة الاستعمارية التي شعرت بنفس الوقت بخطورته . فقد كان هذا النوع من التعليم «متأثراً بمناهج التعليم البريطاني ، ومناهج مستعمراتهم في الهند ومصر وغيرها ، وكذلك كانت بعثات الحكومة البريطانية الدراسية من عدن ترسل إلى مصر والسودان وسوريا وغيرها ، أما التعليم في المدارس الأهلية في عدن فقد كان متأثرا بكل من مصر والأردن ولبنان والسودان»(١).

ويقول الدكتور عبدالله عوض جيزل بأن أول ملامح التعليم تكونت في أوائل منتصف القرن العشرين بظهور إدارة المعارف في المستعمرة عدن حيث ارتبط التعليم بمصلحة حقيقية للمستعمر في تخريج أعداد من المتعلمين من حاملي الشهادات الدراسية الابتدائية والمتوسطة وحملة شهادة البكالوريا للعمل في ادارة المستعمرة ، وقد بنيت عدداً من المدارس الابتدائية والمتوسطة في المرحلة الأولى من التعليم والتي اقتصرت على حاملي شهادات الميلاد من أبناء عدن والجاليات الأجنبية المستعمرة / الأمر الذي دفع بعدد من المقيمين في عدن والتجار الوطنيين إلى انشاء عدد من المدارس الأهلية وإلتحاق عدداً كبيراً إلى المدارس من أبناء المحميات والقادمين من شمال اليمن والإلتحاق بهذه المدارس منذ بداية عقد الخمسينات والستينات .

فالتعليم تطور تدريجياً وببطء شديد استمر آلاف السنوات فمن كتاتيب ومعلامات ملحقة بدور العبادة إلى معلامات مستقلة مكونة من غرفة واحدة أو من تجمع طلابي في العراء أو تحت الأشجار الوارفة ، وهي ظاهرة لاتزال قائمة في المجتمع الريفي . إلى مدرسة حديثة تتكون من عدد من الفصول الدراسية التي يلتقي فيها الطلاب ليتعلموا أصول القراءة والكتابة من قبل عدد

---

(١) التعليم في المستعمرة عدن خلال فترة ما قبل الاستقلال ١٨٣٩-١٩٦٧م – مجلة اليمن – مركز البحوث والدراسات – جامعة عدن – العدد (٢٥) مايو ٢٠٠٧م – صـ٩٤

من المدرسين المتخصصين في الوقت الحاضر ، ويؤكد هذا الأستاذ كرامة مبارك بقوله «الكتاب كما رأينا عبارة عن تجمع طفلي تحت قيادة معلم الكتاب ، والكتاب نفسه عبارة عن تطور لاحق لحقبه تعليم الصغار في المسجد إذ ظلت بصماته مطبوعة عليه في جوانب ثلاث هي :

- كونه عبارة عن غرفة واحدة ملحقة بالمسجد أو مرتبطة به .
- كون معلمه عبارة أو هو عادة أمام مسجد أوفقيه أو من في مقامهما .
- كونه ذا طابع ديني [1].

وفي مرحلة أرقى من مسار تطور المدرسة اليمنية نشأت مؤسسات تعليمية فكت ارتباطها بالمسجد وأخذت تهتم بالجانب المعاشي والسلوكي للطفل إلى الجانب التعبدي ، فإلى جانب تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الدين توسعت في تعليم الحساب ، وادخلت المبادئ الأولية في التاريخ والجغرافيا المحلية ، والعلوم العامة ، كما بدأ هذا النوع من المؤسسات التعليمية في فرز الأطفال إلى زمر أو مجموعات حسب مستوياتها واعمارها . إن هذا النوع من المؤسسات التعليمية هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم المدارس الأولية . وهي بدايات كل المدارس الابتدائية الأهلية والحكومية التي نشأت في الشطر الجنوبي من اليمن في مراحلها الأولى سواء في عقد الثلاثينات أو قبل ذلك .

بل إن بعضها ظل قائماً ومنتشراً في المناطق الريفية إلى ستينات القرن الماضي شاهدة على التخلف التعليمي في الريف "وهذه المدارس الأولية بالرغم من فك ارتباطها بالمسجد مازالت لاتختلف كثيراً عن الكتاتيب ولاسيما في الجوانب التالية :

- ان معلمي المدارس الأولية غير مدربين أو مؤهلين وكثير منهم لايختلفون في مستوياتهم التعليمية أوطريقة تدريسهم عن معلمي الكتاب .
- اهمال المدارس الأولية للجوانب الجمالية في التعليم كالرسم والموسيقي والرياضة البدنية ، وكثير منها نشأ ككتاتيب ، أي بمعلم واحد وبدون سن محدد بقبول الأطفال الذين عادة ما يفترشون الأرض أثناء تعلمهم أو يجلسون على الحصير .
- ينقص المدارس الأولية التنظيم والإدارة والبرامج التربوية والمناهج الواضحة[2].

---

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ٥٩

(٢) المصدر السابق – صـ٥٩ –٦٠

والتطور النوعي الذي حدث داخل المؤسسة التعليمية كان طبيعياً نظراً للتطور الذي حدث في وعي الناس ، وهذا التطور أيضاً أوجد تطوراً موازياً للمؤسسة الاستعمارية ، ولكن هذا التطور كان الاستعمار مرغماً عليه بل ومفروضاً عليه .. وليس هنالك أي خيار بديل عنه .. لأن الاستعمار وجد نفسه معزولاً داخل المجتمع مرفوضاً منه .

فالاستعمار حاول بكل امكانيته فرض سياسة الأمر الواقع ، ولكن المجتمع ظل يقاوم هذه السياسة ويرفض ثقافته ، ولهذا كان الاستعمار مضطراً إلى تغيير سياسته وأساليبه .. فقد بادر أولاً ببناء المدارس ، ولكن على نمط السياسة الاستعمارية وهدف من خلالها للتقرب من الناس ، وكانت هذه المدارس لأبناء الإنجليز ومن يسير في فلكهم ، وكان يعطي لأبناء عدن هامشاً محدوداً جداً .

ونظراً لاصرار المجتمع على عدم التعامل معها غيّر الاستعمار من سياسته وأساليبه . الأمر الذي دفع بالاستعمار لتغيير سياسته هذه . أعطى بموجبها هامشاً أكبر لأبناء عدن سيما بعد أن أدرك المجتمع اهمية التعليم وبموجب هذا الإدراك حصل المجتمع على بعض الامتيازات الضرورية كإلحاقهم في الوظائف العامة وتحسين لغة التخاطب معهم من خلال دراسة اللغتين العربية والإنجليزية، والمؤسسات التعليمية في الشطر الجنوبي من اليمن ، وفي ظل ظروف العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي ووفقاً للنهج الذي التزمنا به في تتبع مسار تطور المدرسة اليمنية .. يمكننا أن نصنف جميع هذه المؤسسات التعليمية إلى ثلاثة أنواع أيضاً :

- المدارس الحكومية : وهي المدارس الرسمية التي تشرف وتنفق عليها جهة حكومية سواء في المستعمرة عدن أو في محميتها الغربية والشرقية وهي إما مجانية أوبرسوم .
- المدارس الأهلية : وهي المدارس التي تشرف وتنفق عليها هيئة وطنية أو أفراد وطنيون سواء حصلت هذه المدارس على اعانة أم لا . وهي مفتوحة لكل أبناء الأهالي "اليمنيين" من عرب وغيرهم ، كما أن القسم التجاري بالمعهد التجاري العدني الذي اعتبرناه مدرسة أهلية يقبل بعض أمناء الجاليات الأجنبية .
- المدارس الأجنبية : وهي المدارس التي تشرف وتنفق عليها هيئات أو أفراد غير وطنيين (يمنيين) وهي لاتوجد إلا في المستعمرة عدن . وتتفرع إلى صنفين .

- المدارس الخاصة : وهي مدارس خاصة بأبناء الجاليات الأجنبية المقيمة في عدن حيث أنشأت هذه الجاليات مدارسها الخاصة كالهندية والباكستانية والعبرية ، وهذه المدارس معانة من قبل الحكومة .
- مدارس البعثات التبشيرية : وهي مدارس تشرف عليها البعثات التبشيرية المسيحية وهي معانة أيضاً من قبل الحكومة وتتلقى دعماً مالياً من الكنائس في اوروبا الموجهة لها . كما تحصل على رسوم من التلاميذ وهي مفتوحة لكل الأطفال الساكنين في المستعمرة عدن بدون استثناء على أن يدفعوا الرسوم المقررة عليهم "(١).

وقد انعكس التطور التعليمي في الخمسينات في التطور الملحوظ الذي شهدته وقتها المؤسسات التربوية والمتمثلة بالآتي :

التعليم الحكومي :

١. التعليم الإبتدائي : حيث ارتفع عدد المدارس الابتدائية للبنين من خمس مدارس عام ١٩٥٠م إلى (١١) مدرسة وذلك بافتتاح المدارس التالية :

- مدرسة المرسابة بكريتر "مدرسة الشهيد ميسري حالياً" اضافة إلى مدرسة السيلة والخساف السابقتين .
- المدرسة الغربية للبنين في الشيخ عثمان بالاضافة إلى المدرسة الشرقية السابقة .
- مدرسة البريقة (عدن الصغرى)
- مدرسة الخيسه حيث انتقلت من مبناها الخشبي إلى مبناها الجديدفي عام ١٩٥٧م .
- مدرسة الحسوة .
- مدرسة خورمكسر .

كما ارتفع عدد المدارس الابتدائية للبنات من أربع مداس عام ١٩٥٠م وإلى سبع مدارس عام ١٩٦٠م بافتتاح المدارس التالية :

- المدرسة الجنوبية للبنات في الشيخ عثمان كثاني مدرسة ابتدائية حكومية للبنات في الشيخ .
- المدرسة الإبتدائية للبنات في التواهي .
- مدرسة الطويلة للبنات كثاني مدرسة ابتدائية حكومية للبنات في كريتر .

---

(١) المصدر السابق – صـ٢١١ – ٢١٢

٢. التعليم المتوسط : برز التعليم المتوسط الحكومي لأول مرة في المستعمرة عدن عند انتقال صفوف القسم الثانوي الأعلى من مبنى الثانوية الحكومية بكريتر إلى مبنى كلية عدن الحديثة في الشيخ عثمان عام ١٩٥٢م وأصبح للتعليم المتوسط منشآت تعليمية مستقلة أستوعب أعداداً متزايدة من خريجي المرحلة الابتدائية سواء للبنين أو البنات وقد بلغ عدد هذه المنشآت حتى نهاية عام ١٩٦٠م ثلاث مدارس متوسطة للبنين وثلاث مدارس متوسطة للبنات على النحو التالي :

- شكل مبنى الثانوية الحكومية (في الرزميت) بكريتر أول مدرسة متوسطة للبنين عام ١٩٥٢م بعد أن انتقلت منه صفوف الثانوية العليا وعين الأستاذ ابراهيم لقمان أول مديراً لها .
- وفي عام ١٩٥٦م فتحت المدرسة المتوسطة للبنين في التواهي وعين الأستاذ لطفي جعفر أمان أول مديرا لها .
- وفي نوفمبر عام ١٩٥٧م افتتح والي عدن رسمياً أول مدرسة متوسطة للبنين في الشيخ عثمان وعين الأستاذ حامد الصافي اول مديراً لها ، هذا وقد ألحق تلاميذ المرحلة المتوسطة بالبريقة بصفوف داخل مبنى فرع المعهد الفني بالبريقة ريثما يتم بناء مدرسة متوسطة لهم ، أما المدارس الثلاث المتوسطة للبنات فهي في كريتر والشيخ عثمان والمعلا .

٣. التعليم الثانوي : كان التعليم الثانوي الحكومي بعد انفصاله عن المرحلة الابتدائية بمدرسة الإقامة عام ١٩٤٢م محصوراً في منشأة تعليمية واحدة بقسميه الأدنى والأعلى وبعد عشر سنوات ومنذ عام ١٩٥٢م ارتقى وتعدد وتنوع على النحو التالي :

- كلية عدن : فتحت هذه الكلية عام ١٩٥٢م كأول مدرسة ثانوية أكاديمية للبنين من نوع "القرامر سكول" وتتكون من عمارتين يتوسطهما مسجد في شكل دائري وبها ميدانان لكرة القدم والتنس والهركي . وغرفة جمباز وبها أيضاً (١١) منزلاً للمدرسين وفي عام ١٩٥٧م تم فتح صفي المستوى العالمي لشهادة الثقافة العامة . ومدة الدراسة في المستوى العادي أربع سنوات وفي القسم العالي سنتان .
- المدرسة الثانوية للبنين : فتحت في أكتوبر عام ١٩٥٩م كثانوية للبنين من نوع المدارس الحديثة (مودرن سكول) ومدة الدراسة فيها أربع سنوات شيدت مباني هذه الثانوية في خورمكسر أمام ساحل البحر وتضم مباني هذه المدرسة الغرف الدراسية وغرف المختبرات والرسم وورشة ومكتبة وفي المدرسة مسرح وساحات مناسبة للرياضة .

- كلية البنات : افتتحت هذه الكلية في خورمكسر بالقرب من مستشفى الملكة "مستشفى الجمهورية " التعليمي حالياً عام ١٩٥٥م كأول مدرسة ثانوية للبنات وأضيفت لها غرف للمختبرات . وقد عينت السيدة (بتري) كأول مديرة لكلية البنات وتعمل معها مدرسات من عدن ومصر وبريطانيا وفي عام ١٩٥٩م جلست أول مجموعة من تلميذات هذه الثانوية لامتحانات شهادة الثقافة العامة في المستوى العادي ، والجدير بالذكر أن هذه الكلية كانت تضم في سنواتها الأولى صفوفاً لتلميذات المرحلة المتوسطة كان عددها (١٢) صفاً عام ١٩٥٩م بالاضافة إلى سبعة صفوف للمرحلة الثانوية ليبلغ مجموع كل طالبات هذه المؤسسة (٥٧٠) طالبة في ذلك العام .
- المعهد الفني بالمعلا : فتح عام ١٩٥٢م تحت اسم الكلية الفنية ليقدم تعليماً فنياً لمدة أربع سنوات تبدأ بـ(٥٧) طالباً تسرب معظمهم ليصبحوا (١٩) طالباً حصل خمسة منهم على شهادة سيتي أندجيلوس اللندنية أول مدير لهذه الكلية هو السيد (راون) وفي عام ١٩٥٥م تحول اسم الكلية الفنية إلى اسم المعهد الفني .
- ملحق المعهد الفني : بني هذا المعهد في البريقة حيث توجد مصافي البترول كفرع ملحق للمعهد الفني بالمعلا ويتولى هذا المعهد أساساً تدريب وتأهيل موظفي شركة مصافي البترول .
- مركز تدريب المعلمين : بعد أن كان تأهيل وتدريب المعلمين يتم في صفوف الثانوية الحكومية بالرزميت تم في عام ١٩٥٧م بناء مركز لتدريب المعلمين بالطويلة في كريتر أما تدريب المعلمات فيتم في مركز البس بكريتر إلا أنه في عام ١٩٦٠م انتقل موقع تأهيلهم إلى الغرف الشاغرة في صفوف المدرسة الابتدائية الجديدة للبنات في الشيخ عثمان أولى المدارس الابتدائية للبنات في الطويلة [1].

وهذا يؤكد بأن عدن شهدت في الخمسينات تحولاً واضحاً في العملية التعليمية نظراً لوجود متغيرات مختلفة على المستوى الوطني والإقليمي والدولي .. حيث زادت حدة المقاومة الوطنية للاستعمار والرجعية ومختلف أشكال الظلم والقهر الاجتماعيين ، ولقد كانت الفترة الوحيدة التي يشهد فيها التعليم تحسنا كمياً وكيفياً ملحوظاً في مستعمرة عدن هي منذ خمسينات هذا القرن تحت تأثير ضغط داخلي وخارجي وعلى وجه التحديد حركة التحرر الوطني العربية والعالمية المناهضة للاستعمار بكل أشكاله وحركة الوعي بالقومية العربية وذلك في محاولة لامتصاص النقمة .

(١) انظر المرجع السابق – صـ٢١٢ – ٢١٨

فالتعليم في الخمسينات كان لايزال محدوداً ولهذا كان في عام ١٩٥٨م فقط (٤١٥٩) تلميذاً وتلميذة في المرحلة الابتدائية (١٥٩) وفي المرحلة المتوسطة (٨١١) وفي الثانوية . كما وصل عدد المتدربين في المعهد الفني ما يقارب (٣٠٠) وفي دار المعلمين (٣٦) متدرباً و(١٥) متدربة[1].

الأرقام التي تناولناها سابقاً تعطينا مؤشراً دقيقاً عن التعليم الحكومي فقط في عدن إلى عام ١٩٦٠م .. فالمدارس في الخمسينات على قلتها كان عدد الملتحقين فيها محدوداً للغاية ولايتناسب مع حجم عدن وسكانها في هذه الفترة الحساسة من تاريخنا المعاصر .

وعلى الرغم من المؤشرات التعليمية التي استعرضناها إلا أن النظر إلى المشهد التعليمي غير ممكن بمعزل عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية القائمة وقتها . عرف فيما بعد بالشطر الجنوبي من الوطن . فالسياسة الاستعمارية في الجنوب كرست واقع التجزئة والتخلف وأحدثت وعياً اجتماعياً مجزئاً طبقاً للتجزئة الاجتماعية القائمة في عدد واسع من السلطنات والمشيخات ولكي يتمكن الاستعمار من ادارة هذا العدد بسهولة قام في الثلاثينات بتقسيم الجنوب إلى ثلاث مناطق هي :

١. مستعمرة عدن .
٢. محمية عدن الغربية .
٣. محمية عدن الشرقية .

وهذا التقسيم كان ضرورياً للاستعمار لكي يسهل عملية الاتصال بشعوبها ويجعلهم في دائرة السيطرة الاستعمارية .. ولهذا حاول الاستعمار إلحاق هاتين المحميتين بمشاريعه الاستعمارية المتعددة .. وعلى وجه الخصوص مشروع اتحاد الجنوب العربي الذي لاقى مقاومة شعبية باسلة في كل من مستعمرة عدن وكذا المحميتين الشرقية والغربية .

(١) نظام التعليم في الجمهورية اليمنية – صـ٥٦

٧

المبحث السابع

المبحث السابع

التعليم في العهد الإمامي

استمر الوضع التعليمي بعد رحيل الأتراك كما كان قائماً أيامهم - نظراً لخوف الإمام من انتشار واتساع العملية التعليمية .. فالمؤسسات التعليمية في أي مكان أو زمان تقود ثورة على الرتابة والجمود ، وتطالب بتغيير الواقع نحو الأفضل والأحسن ، ولهذا حاول الأمام أن لايتوسع في بناء هذه المؤسسات ، وفي عام ١٩٢٥أسس الإمام المدرسة العلمية ودار الأيتام والمكتبة العامة .

ولكي نتناول التعليم في هذه المرحلة لابد أولاً وأن ننظر له من خلال موقف الإمام يحيى ، وهو بطل التحرير الذي قاد ثورة شعبية ضد الاستعمار التركي وانتزع الاستقلال من الأتراك عام ١٩١٨م بعد نضال شعبي بطولي أوصل الإمام يحيى إلى سدة الحكم .. ومع هذا لانستطيع أن نحدد بدقة الموقف الرسمي من قضية التعليم . فالإمام لمجرد أن وصل عام ١٩١٩م مزهواً بالنصر على الأتراك قام بعملية هدم دار المعلمين التركية تحت ذريعة محو عهد الأتراك وتدشين عهد الاستقلال وهذا الموقف لايعطينا مؤشراً عن كراهية الإمام للتعليم كما يقول بعض المؤرخين .

وإلا لما " حول الإمام ذاته قصر الوالي بميدان شرارة (التحرير حالياً) إلى مدرسة علمية تم افتتاحها رسمياً عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ، وكانت أول مدرسة تفتح في عهد بيت حميد الدين تتولى الدولة الإنفاق عليها وتمنح دراستها وتشرف على إدارتها . وأوقف عليها بعض الأغنياء بعض مزارعهم وتشكلت لهذه الأوقاف إدارة سميت بـ "نظارة التُرب والخوالي"[(١)].

وتولت الدولة الإنفاق على المدرسة المكونة من «ثلاثة فصول ، وكل فصل من اربع شعب وكل شعبة يقضي فيها الطالب أربعة أعوام .. وهذه المدرسة كانت أكبر مدرسة في اليمن ، ونظام التعليم فيها على غرار الجامعة الأزهرية في القاهرة .

(١) الموسوعة اليمنية – ج١ – ص٢٧٢

وقد انتشرت بعد ذلك المدارس العلمية حتى أصبح عددها خمس عشرة مدرسة في المدن الأخرى من اليمن »[1].

وفي نفس العام تأسست مدرسة الأيتام ولاقت عند تأسيسها قبولاً طلابياً جيداً حيث كان عدد الطلاب المنتسبين إليها في العام الأول (٦٠٠) طالب ، وخطة الدراسة فيها تشمل : القرآن الكريم ، والنحو والصرف ، والقراءة والكتابة لمدة ثلاث سنوات . مدرسوها من خريجي المدارس العلمية (الدينية) أو من لديهم القدرة على التدريس في هذه المدارس .. ومن أتم الدراسة في هذه المدرسة ينهل المدرسة الرعدية أو المدرسة العلمية المتوكلية»[2].

إلا أن المستوى التعليمي فيها كان متردياً جداً وبائساً جداً وربما أن ذلك يعود إلى طبيعة هذه المدرسة التي أنشئت لتلبي احتياجات التعليم لشريحة اجتماعية فرض عليها البؤس والشقاء والمعاناة بسبب افتقاد طلابها لعائليهم .

وفي نفس العام أقيمت في الجامع الكبير بصنعاء المكتبة العامة وجمع فيها كتب اسلامية وتاريخية نفيسة وعظيمة كما احتوت على أنواع الكتب النمطية القديمة والحديثة [3].

فهذا الموقف المتناقض من قضية التعليم يؤكد على أن هنالك كان لدى الامام حسابات خاصة به .. كما أننا لاينبغي أن ننظر لتلك الفترة من واقع العصر هذا . فالعصر الماضي كانت له أسبابه ، وربما أن موضوعات كهذه تتأثر سلباً أو ايجاباً بالمحيط الجغرافي والذي لم يكن أحسن حالاً منا . سواء المحيط اليمني المعروف بالمحميات أو البلدان القريبة منا . . فالتعليم لم يصبح وقتها ذات طبيعة شعبية ، ولم يكن أيضاً ضرورة اجتماعية كما هو اليوم .. وإلا لما استطاع الإمام أن يفرض واقعاً تعليمياً بعيداً عن حاجات المجتمع .

عندما نناقش موضوع التعليم تاريخياً ينبغي أن ندرسه وفقاً لتلك الظروف التي كانت سائدة في المكان والزمان .. ولاينبغي أن ننظر إليه من واقع اللحظة وظروف اللحظة وإلا وقعنا في خطأ علمي فالتعليم في الماضي كان نوعياً ومحدوداً والظروف المادية والبشرية أختلفت كثيراً عما كان قائماً فالوعي الاجتماعي تغير، والعالم في عصر التكنولوجيا والتطور المذهل .. عصر القنوات الفضائية

---

(١) اليمن الجديد – العدد (٦) – السنة (١٩) – صـ١١٦
(٢) المصدر السابق – صـ١١٧
(٣) المصدر نفسه – صـ١١٧

والكمبيوتر ، والتقدم الصناعي والزراعي الواسع والاستثمار السياحي وغيره .. لم يكن ممكناً في الماضي ولم تكن العقلية الاجتماعية قد وصلت اليه .

فالوضع التعليمي قبل الثورة كان بائساً ومحدوداً بنظر الكثير من العارفين والمتتبعين للعملية التعليمية .. ولكن الاسباب التي يوردها هؤلاء الكثير منها غير مقنعة . نظراً لعدم وجود دراسات علمية تتناول هذه المرحلة ولكن يمكن أن نتعامل مع هذه الفرضية كشاهدين لبؤس تلك المرحلة .

فقد حرص الأئمة على تضيق أفق التعليم وإفراغه من محتواه الجوهري وابعاده من أي عملية تحديث أو تطوير وأبقوه شكلاً باهتاً دون مضمون بعيداً عن تحقيق أي هدف وطني عدا الأهداف التي حددوها والتي لاتتجاوز في غايتها اعداد بعض الكتبة في مؤسساتهم»[1].

فالتعليم قبل الثورة كان بدائياً جداً وسيئاً جداً .. وكانت المدارس على قلتها تدار بطرق تقليدية جداً .. وكان المدرس أو الشيخ الذي يمارس مهنة التدريس يستخدم وسائله الخاصة ولايخرج عن نمط ما كان سائداً ولم يكن التعليم إلزامياً .. وانما كان يخضع لرغبة ومزاج الناس .

والإمامة نظرت للمؤسسات التعليمية التي كانت قائمة من العهد التركي على أنها من مخلفات الماضي .. ولهذا أغلقت بعض المنشآت التعليمية ودمرت البعض وتناقضت مع أبسط المفاهيم الدينية والتي كانت تعتبر أن التعليم حقاً دينياً .. لجميع المسلمين . ولابدمنه لمعرفة الدين كما هو .

الأستاذ عبدالله البردوني قال عن المدرسة العلمية ما يلي : « عندما الإمام يحيى دخل صنعاء من مدينة شهارة عام ١٩١٩م متوجاً بالظفر على الأتراك وبالامامة على شمال اليمن كان من أول أعماله هدم دار المعلمين التركية كإيذان بمحو ذلك العهد وتشييد عهد الاستقلال وفي جملة الحملة على دور الأتراك ومراكزهم وتحويلها إلى أملاك يمنية ودور حكومية حوّل الإمام دار استراحة الوالي بميدان شرارة (التحرير) إلى «المدرسة العلمية « وافتتحها في حفل حامل سنة ١٣٤٤هـ /١٩٢٥م فأصبحت المدرسة العلمية أول دار علوم تنفق عليها الدولة وتمنهج دراستها».

ولعل الدكتور محمد سعيد العطار كان أكثر وضوحاً وتحديداً لأبعاد مأساة التعليم في ذلك العهد الموسوم بالتخلف الشديد اذ قال « لاوجود للتعليم الابتدائي

(١) الموسوعة اليمنية – ج١ – ص٢٥٠

الاجباري ولا للتربية المدرسية التحضيرية أما مدة الدراسة فهي مبدئياً ست سنوات ، وتبدأ في السنة السابعة من العمر ولاتتوفر المدارس على كل الفصول. ومن مجموع التلاميذ المسجلين بالسنة الأولى لايتمكن سوى (١١٪) منهم من متابعة التعليم الابتدائي في سنواته الست ، و(١٧٪) خمس سنوات ، و(١٦,٢٪) لأربع سنوات . (التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ؛ أبعاد الثورة اليمنية) علما بأن عدد المسجلين لايتجاوز (٣٪) ممن هم في سن التعليم من السكان آنذاك والبالغ عددهم (١٦٠،٠٠٠) طفل وطفلة حسب تقديرات العطار وفيما يلي جدول يوضح أعداد المدارس وتوزعها حسب الصفوف .

عدد المدارس موزعة حسب الصفوف	عدد المدارس	النسبة المئوية
مدرسة من صف واحد فقط	٧٩	٪٧,١
مدرسة من صفين	١٢٣	٪١٧,٩
مدرسة من ثلاث صفوف	٢٤٦	٪٣٥,٨
مدرسة من أربعة صفوف	٢٦١	٪٣٧,٩
مدرسة من خمسة صفوف	١	٪٠,١
مدرسة من ستة صفوف	٨	٪١,١

أما الجدول التالي فيمثل عدد المدارس والمعلمين والتلاميذ والمفتشين في عهد ما قبل الثورة موزعين على المحافظات آنذاك حسب كثافة الفصول .

اللواء	مدرسة ذات فصل واحد	مدرسة مكونة من أكثر من فصل	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
صنعاء	١٦٢	٨	٣٨٩	١٥٣٨٦
حجة	١٢٣	٢	٢١٥	٢٤٢
صعدة	٢٤	٠	٢٦	١١٢٩
إب	٥٢	٠	٨١	٣٤٤٤
الحديدة	١٠٥	٠	١٦٤	٦٢٢٦
تعز	١١٠	٠	١٦٣	٨٢٢٦
المجموع	٦٧٦	١٠	١٠١٨	٣٨٦٥٣[٧]

فالتعليم آنذاك كان وبكل المعايير سيئاً للغاية ، وهو ما أورده نزيه مؤيد العظم في كتابه (رحلة في بلاد العربية السعيدة) عن التعليم آنذاك نصه «ولاتوجد مدارس بالمعنى المفهوم إلا في صنعاء والحديدة وبعض المدن الكبيرة ، ولكن المساجد تقوم مقام المداس في أغلب القرى والنواحي الصغيرة لذلك كانت نسبة الأميين إلى المتعلمين كبيرة جداً»[١].

«ولكن أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) جاء بنص مغاير لهذا إلى حد كبير هو أكثر دلالة وأبعد عمقاً إذ نقله على لسان أحد الشبان اليمنيين المتقدين حماساً والمتلهفين للتعليم حيث قال :»حدثت ذات يوم ولداً ذكياً وما أكثر الذكاء في الأولاد هناك ، ولكنه كالأرض الطيبة غير المزروعة فسألته ماذا كان يشتهي السفر فقال : عندنا والحمدلله مايغنينا عنه . فقلت : ولكن الاسفار تفقه وتفكه. فقال : الذي عندنا يكفي لمعاشنا فقط . فسألته كيف يبذل الزيادة لو كانت ؟ فأجاب : والله ياسيدي أنا أحب المدارس ، كان عندنا أيام الأتراك مدارس منظمة يعلمون فيها الجغرافيا والحساب ، وكانوا يعطوننا الكتب والألواح والحبر والأقلام والدفاتر والطباشير - كل شيء - وكله مجاناً . والله ياسيدي أنا محزون ، لامدارس اليوم عندنا ولامعلم غير الفقيه ، والفقيه سفيه لايحب التعليم ويأخذ مع ذلك ثمانية ريالات في الشهر وينام في المسجد والكتاب بيده، والورق والحبر والكتب ذهبت مع الأتراك . فلو كان عندي مال زائد كنت افتح مدرسة وأعزل الفقيه وأجلب الكتب والدفاتر والألواح - الطباشير وأوزعها على الأولاد مجاناً»[٢].

ويشير الدكتور العودي للأوضاع التعليمية الصعبة في مرحلة ما قبل الثورة بصورة لاتختلف كثيراً عن الصور القائمة التي أوردها الآخرون لكنه أي العودي كان أكثر دقة في تقديم احصاء كمي لواقع العملية التعليمية وقتها حيث قال:»أما الخاصية الثانية فهي المحدودية الكمية لحجم العملية التعليمية الرسمية والتي كانت تتجاوز فيها عدد المدارس الفعلية التي يمكن أن ينطبق عليها (مدرسة حقيقية) في المستوى الابتدائي والاعدادي أصابع اليد الواحدة في شمال الوطن وجنوبه إلى جانب الكتاتيب والمعلامات المتناثرة هنا وهناك بمعرفة الأهالي وجهودهم بالدرجة الأولى . فحتى عام ١٩٥٢م يكن عدد المدارس في المستوى الإعدادي والابتدائي أوشبه الإعدادي يتجمع عشر مدارس في طول البلاد وعرضها (بينما كان يعرف بالمملكة المتوكلية اليمنية) وفي مراكز المدن الكبيرة

(١) المصدر السابق – صـ٢٧٢
(٢) المصدر نفسه – صـ٢٧٢ – ٢٧٣

بالذات ، و(١٧) (كتّاب أومعلامة) حكومية وأهلية من فصل واحد مشتتة في المراكز والأرياف و(١٠١٨) مدرسة و(٢٥) مفتش وبمجموع كلي من الطلاب لايتجاوز (٣٨٦٥٣) طالباً من الذكور فقط ،وهذا في مجتمع كان تعداده السكاني وقتها لايقل عن (خمسة مليون نسمة) وفقاً لأرجح التقديرات وكان من بين أهم تلك المدارس المدرسة العلمية بصنعاء التي كان يتخرج منها القضاة والصفوة من موظفي الدولة »[1].

ويضيف الشيخ محمد عبدالجبار نعمان . وهو الذي عرف التعليم في العهد الإمامي وكان أحد الطلاب المبرزين حينها فيقول :» ليس هناك نظاماً تعليمياً حديثاً وانما التعليم كان يمارس بأصوله التقليدية وبطريقة التقليد والتواصل مع ما هو قائم من قبل .. وكانت هناك المعلامات وهي الأكثر انتشاراً وعمومية، وهي لاتقدم لطلابها أكثر من قراءة القرآن الكريم والقليل منها تدرس النحو والفقه .. وهناك مدارس نظامية أكثر تطوراً ، والتعليم فيها متقدماً إلى حد ما .. حيث يتلقى الطالب فيها علوماً دينية وفلسفية وشرعية مهمة ولكن بوسائل تقليدية قديمة .

ويقول : «كانت هناك في جبل حبشي أربع مدارس فقط في كل من :(يفرس، وبني بكاري ، والجبل ، وبني عيسى) ، وكانت أيضاً في تعز مدارس مختلفة منها الأحمدية والمتوسطية والتي كان الإلتحاق فيها لايتم إلا بأمر الإمام نفسه، وبعمر تسع سنوات .

وهناك أيضاً مدرسة الفلاح (الأشرفية) ، والمدرسة العلمية وغيرها وكانت البعض أقرب ما تكون بالجامعة في الوقت الحالي ، وكانت هذه المدارس تعلم الأخلاق والفقه والتوحيد واللغة العربية والخط والحساب وأهم هذه المواد هي مادة محبة آل البيت وهي مادة أساسية وضرورية ، والفقه يتناول مختلف الأمور الدينية التي تخص الإنسان وتتناول العبادات أركان الصلاة والكتاب والسنة وكل ما يتعلق بالعبادات بالاضافة إلى مختلف المذاهب الدينية .. ويركز علم الأخلاق على التواضع وحب الله .

والأولوية في التعليم بهذه المدارس لأولاد آل حميد الدين وأولاد الحكام والمشائخ والوجاهات الاجتماعية الكبيرة ، وكان كل ولي أمر يتبنى الانفاق على أولاده بنفسه ، واعطاء الفقي أو المدرس مقابل ذلك .

والتعليم في هذه المرحلة كان قوياً لانه يعتمد على دراسة القرآن العظيم وتفسيره وتجويده ومعرفة العبادات وغيرها .

(١) مجلة قضايا العصر – عدد يونيو١٩٩٢م – صـ٤٤

٨

المبحث الثامن

الفصل الأول

المبحث الثامن
الفصل الأول
التعليم في محميتي عدن الغربية والشرقية

التعليم في المحميات مختلفا عما هو في المستعمرة عدن نظراً لظروف عدن وتعدد الثقافات فيها .. فثقافة الديانات والمجتمعات المختلفة التي أصبحت تسكن عدن تداخلت فيما بينها « تعايشت فيها بروح التسامح وتشكلت مصالحهم في التجارة وغيرها من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية على النحو الذي مكنهم من تأمين وحماية هذه المصالح دون طغيان ثقافة بعينها . بينما حافظ أبناء البلاد على هويتهم وثقافتهم تمكنت الثقافات الأخرى من الاستفادة من تسامح الثقافة المضيفة وانفتاحها دون خوف من القمع أو الاضطهاد .

وحتى عندما بدأت حركة التبشير النصرانية المسيحية عملها على أيدي رهط من المسيحيين في الأربعينات من القرن الماضي في عدن قادها الناس بهدوء وبأدوات ثقافية بسيطة أنتجها خيالهم الاجتماعي كالإشاعات وغيرها دون صدامات من أي نوع حتى فشلت »[1].

وفي ظل هذا المناخ لا بد وأن يكون الأمر مختلفاً عن المحميات فالمجتمع اليمني فيها مغلقا وثقافته واحدة ، وهي أمتداد لثقافة المجتمع وقيمه .

فالتعليم كما استعرضناه فيما مضى ظل غائباً كثيراً في الاهتمامات البريطانية وظلت علاقة بريطانيا بالمحميات يحكمها العنف في محاولة لفرض سلطتها ووصايتها على هذه السلطنات إلا أن السلطات البريطانية اعادت النظر في سياستها هذه وحاولت حتى ثلاثينات القرن الماضي أن تهتم قليلاً بالتعليم كمحاولة لترويض واستعطاف حكام المحميات ، واستهدفت بريطانيا من انشاء مدرسة الاقامة في عدن عام ١٨٦٦م هو ترويض الحكام المحليين واقامة اتصالات معهم وظلت المحاولات الإستعمارية في هذا الاطار مجرد مشاريع فاشله ، وربما أن هنالك تحولاً محدوداً أحدثه البريطانيون تمثل في مدرسة جبل حديد التي قامت على أهداف تعليمية واضحة استقدم لها معلمين أكفاء من السودان أمثال الأستاذ حسن فريجون .

---

(١) صحيفة الثوري – العدد (٢٠٠٩) – الخميس ٢٠٠٨/٦/٥م.

وظل التعليم في المحميات متخلفاً جداً تحكمه بعض القيود والحواجز ولكنه بدأ على استحياء في انشاء عدد من المدارس الحكومية الابتدائية والمتوسطة في عواصم بعض سلطنات وامارات المحميتين الشرقية والغربية ، ولكنها ظلت تحكمها الوصاية الاستعمارية من خلال فرض وصاية عليها وتعقيدات الإدارة البريطانية عن طريق ادارة وزارة المعارف الاتحادية لها .. ونظراً لعلاقة أبناء هذه الولايات وحاجات المجتمع الملحة للعملية التعليمية أنشئت عدد من المدارس وامتدت إلى بعض القرى بمعدلات محدودة جداً ، ويقول الدكتور عبدالله جيزل بأن «معدل المدارس الابتدائية في المحميات الشرقية والغربية كان محدوداً جداويتباين حسب رغبة المستعمر واقتصر التعليم في البداية على الذكور وحدهم ولم تشهد المحميات الشرقية والغربية الاهتمام بالتعليم نظراً للانتشار الواسع للأمية ، وكانت الملامح الغالبة على التعليم تتحدد من خلال ماتلقاه الطلاب داخل الكتاتيب التي كانت منتشرة جداً في عموم التجمعات السكانية وعلى وجه الخصوص أبجديات القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم والتي كان يشرف عليها أئمة المساجد قبل أن تظهر المدارس الحكومية المحدودة .

ومع انشاء المدارس الحكومية ارتفع عدد المتعلمين وشهدت الحركة التعليمية توسعاً ملحوظاً وزيادة في عدد المتعلمين من حملة الشهادات الوسطى .كما ازداد عدد المعلمين في المدارس ـ ولعب المدرسون دوراً هاماً في ايصال التعليم إلى الحضر والقرى والمدن الرئيسية والبعيدة في نهاية عقد الستينات .

فالمحميات ظلت أكثر تخلفاً بما فيها القريبة من عدن «اذ لم يعط التعليم فيها جميعاً أي اهتمام يذكر عدا ظهور عدد محدود من التلاميذ ، وكان معظمها مكوناً من غرفة واحدة أو غرفتين ويفتقر إلى التجهيزات الضرورية للتعليم لأن الهدف من وراء انشائها هو إلهاء الناس وايهامهم أن التعليم قد وصل إلى مناطقهم .

ففي سلطنة لحج على سبيل المثال وهي احدى محميات عدن الغربية والقريبة منها كانت هنالك مدرسة واحدة ثانوية في مدينة الحوطة وهي الوحيدة في المحميات الغربية إلى جانب مدرستين متوسطتين وعدد محدود من المدارس الابتدائية وفي بقية المحميات ظهر عدد من الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة .

أما محمية عدن الشرقية (حضرموت) فإن التعليم الأهلي فيها لعب دوراً كبيراً وحل محل التعليم الرسمي في كثير من الحالات كما أن الأربطة كان لها دور كبير في نشر التعليم في المنطقة وقد جاء التعليم الرسمي متأخراً وعلى استحياء اذ

انشئت أول مدرسة حكومية عام (١٣٦٣هـ /١٩٤٤م) في (غيل باوزير) وكانت السلطنة القعيطية أكثر حظاً في التعليم مما كان الحال في السلطنة الكثيرية، ويمكن الاستدلال على ذلك بالاحصائيات التي أصدرتها مصلحتا المعارف في السلطنتين عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م) فقد أشارت احصائية معارف الكثيري إلى أن عدد الطلاب لم يتجاوز (٤٤٢٤) طالباً وطالبة بينما أشارت احصائية معارف القعيطي إلى أن العدد بلغ (١٥٩٩٦) طالباً وطالبة»[١].

وعلى الرغم من قرب المحمية الغربية في المستعمرة عدن إلا أن التعليم فيها ظل محدوداً حتى في تلك السلطنات والولايات التي تقع على مقربة من عدن التي كانت تمثل جوهر السياسة الاستعمارية .

واقتصر الالتحاق بالتعليم الأساسي على الذكور في البداية كما يحدثنا الدكتور / جيزل بأن التعليم بدأ بسيطاً في المحميات الشرقية والغربية وعلى شكل كتاتيب تعلم الأولاد أصول قراءة القرآن الكريم والقراءة الأبجدية التي يشرف عليها أئمة المساجد قبل أن تظهر المدارس الحكومية المحدودة ، وبانشاء المدارس الحكومية ارتفع عدد المتعلمين وأصبح هنالك وعياً اجتماعياً بأهمية التعليم وقد اسفر هذا الوعي عن بناء عدد من المدارس الابتدائية في المحمية الغربية .

ففي الأربعينات وجدت تقريباً (٨) مدارس ابتدائية في كل من زنجبار وشقرة والكود والمسيمير والوضيع وغيرها من أوليات المحمية الغربية وجميعها تقريباً للبنين .

وفي سنة ١٩٥٠م فتحت مدرسة ابتدائية للبنات في زنجبار وبهذا ارتفع عدد المتعلمين وكذا المعلمين ، ولعبت المدارس دوراً هاماً في ايصال التعليم إلى الحضر والقرى والمدن الرئيسة والبعيدة في نهاية عقد الستينات .

« وتعتبر المدارس المحسنية للبنين في الحوطة أرقى المدارس الابتدائية في المحمية الغربية ، وقد اخذت هذه المدرسة تتطور منذ عام ١٩٤٤م .. وفي عام ١٩٤٥م حولت مدرسة الوهط الأهلية إلى مدرسة حكومية عرفت باسم الوهط الجعفرية المحسنية »[٢].

---

(١) الموسوعة اليمنية – جـ١ – صـ٢٧١
(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – صـ١٢٨

وتعتبر السلطنة العبدلية « أول مناطق محمية عدن الغربية تطور فيها التعليم إلى المتوسطة بفضل البعثة التعليمية المصرية التي قدمت إلى لحج منذ عام ١٩٤٤م وأخذ تنظيم التعليم فيها على غرار النظام المصري وهو فقط للبنين .. وفتحت الثانوية الثانية في مدينة الحوطة ولاية لحج عام ١٩٦٥م لتستوعب المزيد من خريجي المدارس المتوسطة للبنين في الولايات الريفية من اتحاد الجنوب العربي حيث يوجد بها قسم داخلي ايضاً ، وتدرس هذه الثانوية نفس مقررات كلية الإتحاد[١] وحلت البعثة السودانية عام ١٩٦٠/٥٩م محل البعثة المصرية ، وفي العام ١٩٦١/٦٠م انتقل القسم المتوسط في المدرسة المحسنية إلى مبنى مؤقت في ام القفع ريثما يستكمل مبنى جديد لأول مدرسة متوسطة في لحج [٢].

وفي سنة ١٩٤٢م فتح السلطان صالح بن حسين جعبل العودي أول مدرسة ابتدائية حكومية للبنين في سلطنة العواذل ، وذلك في منطقة الكور بالقرب من لودر وهي مدرسة أولية بدأت بمعلم أزهري ثم تلتها مدرسة ثانية في غريب عام ١٩٤٤م فثالثة في امشهور ورابعة في مكيراس عام ١٩٤٥م »[٣].

« في لحج مثلاً كانت (٢٩) مدرسة ابتدائية للبنين والبنات كما وجدت فيها مدرستان متوسطتان في كل من الحوطة والوهط ، ووجدت أيضاً مدرسة ثانوية في الحوطة وكان يدرس في تلك المدرسة مدرسون محليون وسودانيون . كما كان يدرس فيها بعض المدرسين المصريين .

وفي الضالع كان عدد المدارس الابتدائية ثلاث عشرة مدرسة للبنين والبنات ومدرسة متوسطة فيها قسم داخلي لابناء ردفان وحالمين والشعار كما يدرس فيها طلبة من الشعيب والمفلحي وجحاف وحرير .. وكان فيها ايضاً مدرسة ابتدائية فيها قسم داخلي لابناء ردفان وزبيد والخوارج والشعار .

وفي المسيمير وجدت مدرسة ابتدائية ومدرسة أخرى بالراحة وثالثة بالحرور، وبنيت مدرستان كل منهما من فصلين في مريب وعقان وفي الشعيب وجدت مدرسة ابتدائية واحدة كما بنيت اربع مدارس في كل من قرية (القزعة) وقرية (الرباط) وقرية (المضو) وقرية (بخال) كما بني قسم داخلي في العوابل وبنيت مدرسة في حرير وأخرى في بني مسلم وثالثة في أرحب ورابعة في مشكع وخامسة في خلة وفي بير أحمد وجدت مدرسة ابتدائية واحدة .

(١) المصدر السابق – صـ٢١٨
(٢) المصدر نفسه – صـ١٣٩
(٣) المصدر نفسه – صـ١٣٩

- أما في أبين ، فقد كان عدد المدارس فيها ستاً وثلاثين مدرسةٍ ابتدائية للبنين والبنات في زنجبار إلى جانب مدرسة أهلية في زنجبار أيضاً .
- وفي جعار وجدت مدرسة متوسطة إلى جانب عدد من المدارس الابتدائية في باتس والحصن ولودر ، كما كانت في جعار ايضا مدرستان ابتدائيتان للبنات .
- وكانت هناك اربع مدارس ابتدائية في احور ومدرسة واحدة للبنات .
- وفي مودية وجدت عشر مدارس ابتدائية واحدة للبنات في نصاب ومدرسة اخرى متوسطة فيها قسم داخلي .
- أما في شبوة فقد وجدت خمس مدارس ابتدائية في نصاب و١٢ مدرسة ابتدائية في الصعيد إلى جانب مدرسة متوسطة وبنيت مدرسة متوسطة في ميفعة بها قسم داخلي كما شيد معهد ديني في حبان"[1].

"ويذكر الدكتور الحبشي "أن عدد المدارس عام ١٩٦٢م بلغت في المحميات (١٨٧) مدرسة ملتحق فيها (١٦٥٠٠) تلميذ و(٢٥٠٠) تلميذة وعدد المعلمين (٥٦١) معلماً و(٨٥) معلمة ومدرسة واحدة لإعداد المعلمين "[2].

وشهد خمسينات وستينات القرن الماضي تحولاً تعليمياً مهماً حيث بدأت حركة بناء المدارس تجري بصورة واضحة وأصبح اهتمام الناس بانشاء المدارس واضحاً ايضاً يعززه رغبة اجتماعية واسعة في بناء المدارس .. كما شهدت هذه الفترة انفتاحاً ملحوظاً مع بعض الأقطار العربية التي كانت رائدة في مجال التعليم مثل : السودان ، مصر ، العراق وغيرها .. واصبح هناك مدرسين عرب من هذه البلدان يدرسون مناهج بلدانهم ويديرون المؤسسات التعليمية بنفس الطريقة التي تدار فيها مدارس بلدانهم .. وأدت هذه العملية ايضا إلى إعداد عدد من الكفاءات والخبرات التربوية التي تمكنت من ادارة هذه المؤسسات بكفاءة عالية .. وكان مستوى المدرسة الابتدائية أو الوسطى متقدماً جداً .. يتخرج الطالب منها وهو يمتلك قدرات واسعة على العمل في هذا الاطار وقيادة العديد من المؤسسات والمرافق الوطنية بمختلف توجهاتها ومجالات نشاطاتها .. وقد حدثني احد ابناء المحافظة ممن كان لديهم دور اساسي في العملية التعليمية آنذاك وقال «متحدثاً عن مدرسة زنجبار المتوسطة كانت تمتلك رؤية تربوية

---

(١) مجلة اليمن – العدد (٢٥) – صـ١١١
(٢) مجلة قضايا العصر – عدد يونيو ١٩٩٢م – صـ٤٤

واضحة ومتقدمة اكتسبها من الخبرات السودانية التي كانت عاملة حينها في هذا الاطار فتخرج منها عدد واسع من ابناء المحافظة والذين أصبحوا فيما بعد في طليعة الثورة المسلحة في الجنوب أمثال الرئيس سالم ربيع علي ، ومحمد علي هيثم ، وجاعم صالح ، وعبدالله علي عليوه ، وعلي سالم الأعور ، والدكتور محمد عوض السعدي وغيرهم من الشخصيات التي أصبحت معروفة سياسياً وثقافياً وفنياً .

وقد أدار هذه المدرسة وبجدارة الأستاذ شيخ احمد شيخ السوداني ، وادارها قبله الأستاذ محمد هادي عوض وهو استاذ قدير ومعروف في حقل التربية . تتلمذ على يده جيل الثورة والتغيير الاجتماعي الذين اشرنا إلى بعضهم في هذا الحيز.

وكانت إبتدائية زنجبار ايضا لا تقل عن هذه المدرسة اهمية حيث كان الطالب يعد إعداداً جيداً فيها ويؤهل للانتقال إلى المدرسة المتوسطة ، وكان مدة الدراسة في الابتدائية اربع سنوات وثلاث سنوات في المتوسطية ، وكان الطالب طوال فترة دراسته هذه يلاقي عناية خاصة ، وكان يغادر المدرسة بمستوى علمي عالي يمكنه من قيادة المجتمع بجداره .

فالمدرسة كانت عبارة عن مؤسسة ثقافية وتعليمة على حد سواء وربما ان المستوى التعليمي للمتوسطة لايقل عن مستوى الدراسة الجامعية من حيث كثافة المادة التعليمية العلمية .. وأسلوب الدراسة .. بالاضافة إلى اهمية الندوات والمسابقات العلمية والثقافية التي كانت تنظمها هذه المدارس بصورة مستمرة وشبه يومية وتوجهها للمجتمع ككل .

وحدثني ناشر سيف احمد الذي ارتبط بالدور النضالي للمحافظة وكان احد ابرز المرتبطين بالصف الأول من مناضلي الجبهة القومية وعمل مصوراً شخصياً مع الرئيس سالم ربيع ، وظل في نفس الموقع حتى بعد قيام الوحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠م . وهو أول من اقام استديو للتصوير الفوتوغرافي في السلطنة ، وكان كما اسلفنا على علاقة وثيقة بابنائها . . وقد تحدث عن المستوى العلمي لهذه المدرسة .. وقال بأنه كان على علاقة بالأستاذ التربوي ناصر صداح العضو في اللجنة التنفيذية للجبهة القومية ، وهو استاذ يتمتع بشخصية تربوية جذابة وحضور تربوي متميز .. كان يأتي على الدوام بطلبته إلى الاستديو لكي يطبق معهم الدرس الخاص بانكسار الضوء في العدسات وتأثيره على الصورة .. وهذه الواقعة تعكس حقيقة المستوى العلمي لهذه المؤسسات التعليمية التي تعمل بامكانيات بسيطة وبكفاءات علمية كبيرة .

وبالمثل شيدت في زنجبار مدرسة ابتدائية للبنات وكذا في جعار وقد انظم للدراسة في هذه المدرسة الاختان كلثوم ومريم من بنات التواهي وهن من ذوي الكفاءة العلمية الواسعة .

وقد كانت زنجبار عبارة عن مركز حضري ثقافي اجتذب جميع المثقفين والادباء والفنانين والتربويين وهؤلاء هم من صنع المشهد الثقافي لتلك المرحلة.

ولهذا تواصلت حركة بناء المدارس بمختلف مراحلها وفي ستينات القرن الماضي اصبح لديهم عدداً من المدارس الثانوية ، ففي مايو عام ١٩٦٦م بلغ حجم التعليم في الثانوية لابناء المحميات في عدن وغيرها من المدن الاتحادية على النحو الآتي :

العدد	اسم المدرسة	عدد الشعب	عدد المدرسين	عدد الطلبة
١	ثانوية الاتحاد	٧	١٣	١٩٦
٢	ثانوية الحوطة	٢	٤	٦٠
٣	ثانوية زنجبار	١	٣	٣٥
الاجمالي		١٠	٢٠	٢٩١(٨)

وقد مثل افتتاح المدارس في هذه المرحلة نقطة تحول في مسار تطور العملية التعليمية في المحمية الغربية . على الرغم من أن هذه المدارس تحديداً الوسطى جاءت متأخرة عن افتتاح اول مدرسة متوسطة للبنين في المحمية الشرقية بنحو عشر سنوات .

وقد شكل افتتاح المدرسة الوسطى بزنجبار خلال العام الدراسي ١٩٥٤/٥٣م نقطة تحول في مسار تطور التعليم بالمحمية الغربية ، وبالرغم من انها جاءت بعد عشر سنوات من افتتاح اول مدرسة متوسطة للبنين في المحمية الشرقية . فإنها جاءت لتجعل من مدينة زنجبار عاصمة تعليمية لولايات المحمية الشرقية يأتي إليها خريجوا المدرسة الابتدائية من سلطنات القعيطي والكثيري والواحدي.

وفي فبراير عام ١٩٥٥م احتفل رسمياً بافتتاح المدرسة الوسطى بزنجبار من قبل حاكم عدن البريطاني الذي اكد في كلمته انها لجميع ابناء المحمية الغربية ولايضر ان تكون في سلطنة الفضلي ، وعلى الجميع ان يدفعوا أولادهم اليها .

ضمن مبنى هذه المدرسة قسماً داخلياً بلغ عدد الطلبة الداخلين فيه عام ١٩٥٥م (١٧) طالباً من بين (٦٤) طالباً هم جميع طلبة هذه المدرسة في ذلك العام .

وقد أتوا من مودية وشقرة والضالع ولودر وزنجبار نفسها علماً أن طلبة لحج لايلتحقون بهذه المدرسة نظراً لوجود تعليم متوسط في سلطنتهم"[1].

وهذا يعني أن هنالك تحول ملحوظ في السياسة التعليمية الاستعمارية . فحاكم عدن البريطاني يفتتح المدرسة رسمياً ويؤكد بانها لجميع ابناء المحمية الغربية فهو يؤكد هنا بأن التعليم للجميع ، وهذا التحول الملحوظ لم يأت عن قناعة راسخة من قبل الاستعمار بحق التعليم للجميع ، وانما ضمن المسكنات لشعب الجنوب الذي بدأ في خمسينات القرن الماضي يئن بصوت مسموع من وطاة الظلم .. ولكن هذه المسكنات المحدودة لم يوازها وعي اجتماعي ملحوظ.. فظل الاقبال على هذه المدارس وفي عموم الوطن محدوداً جداً رغم حالة الحرمان الشديد للتعليم .. فأبناء الشمال عدد واسع منهم يدقون ابواب المؤسسات التعليمية ولايجدون استجابة لذلك لأن القصرية الاستعمارية وضعت أمامهم حواجز وعوائق كبيرة .

« ومنذ عام ١٩٥٩م بدأت تتشكل صفوف متوسطة في المدارس الابتدائية الكبيرة في بعض مناطق المحمية الغربية كصفوف مدرسة الوهط التي اشرنا اليها حيث تم :

- فتح صف متوسط في مودية عام ١٩٥٩م في نفس المدرسة بمودية .
- فتح صف متوسط في لودر عام ١٩٦٠م في نفس المدرسة الابتدائية بلودر"(٢)، ولم يكن في اطار المحمية الغربية وجود للتعليم الثانوي ، وكان النظام التعليمي فيها هو النظام المصري ، والمدارس الابتدائية التي وجدت في تلك الفترة في المحمية الغربية كانت بسيطة وأقرب إلى الكتاب .. وعدد محدود من الفصول .. وكان في كل مدرسة يدرس فيها شخص واحد أو شخصان فقط .

" ويتضاءل التعليم الحكومي فيما تبقى من مناطق المحمية الغربية حيث تسود الكتاتيب.. في عام ١٩٤٤م فتحت مدرسة ابتدائية حكومية للبنين في

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوب – صـ٢١٩ – ٢٢٠
(٢) المصدرنفسه – صـ٢٢٠ – ٢٢١

امارة بيحان كما فتحت في أحور عاصمة العوالق السفلى مدرسة ابتدائية للبنين عرفت باسم مدرسة احور الميمونة .

وكان يديرها السيد علي المشهور أحد خريجي رباط تريم . وفي عام ١٩٥٠م فتحت أول مدرسة ابتدائية للبنين في المسيمير عاصمة الحوشبي .

ولم تعرف سلطنة يافع العليا وغيرها من السلطنات النائية والصغيرة في المحمية الغربية "نوع التعليم الحكومي حتى نهاية عقد الأربعينات "(١).

وقبل الاستقلال تتإلى افتتاح مدارس ابتدائية للبنين في مختلف الولايات الريفية وفي عام ١٩٦٥م وحده فتحت (٢٦) مدرسة ابتدائية للبنين ، وقد وصل مجموع المدارس في ذلك العام (١١٤) مدرسة ابتدائية للبنين يؤمها (١٦٦٣٥) تليميذا ، وبهذا العدد من المدارس في الولايات الريفية قامت هذه الولايات عن ولاية عدن بـ(١٢١)) مدرسة . ولكن هذه الزيادة الكبيرة نسبياً لاتعكس توسعاً ملحوظاً في عدد التلاميذ .. اذ يزيد عدد تلاميذ المدارس الابتدائية في ولاية عدن بـ (٢٠٩٥) تلميذاً فقط .

فهذه المدارس العديدة في الولايات الريفية هي مدارس صغيرة الحجم قليلة التلاميذ وهذا يعود إلى الكثافة السكانية في عدن . فجاءت مدارسها كبيرة كثيرة التلاميذ بينما الولايات الريفية واسعة الأرجاء متناثرة السكان .

ناهيك أن تطور التعليم في عدن قد سبق تطور التعليم في الولايات الريفية بأمد بعيد . إذ ما عرفت الولايات الريفية التطور التعليمي إلا في غضون (١٠-١٥) سنة الأخيرة ولايقف قصور التعليم الابتدائي في الولايات الريفية مقارنة بعدن عند الجانب الكمي . بل يرافق ذلك نقص كبير في الجانب الكيفي . خاصة في المناهج والكتب المدرسية والوسائل التعليمية والمدرسين ، وفي المبنى المدرسي نفسه حيث يعاني من نقص في التهوية والنور والأثاث والمدرسين وحيث يفترش التلاميذ الصغار الأرض وتكاد دورة المياه معدومة في معظم هذه المدارس كما ذكر ذلك وزير معارف الاتحاد في مذكرته رقم (و.م.ع /٥/٢٦/١ بتاريخ ٢٣ يوليو عام ١٩٦٣م والتي رفعها إلى المجلس الأعلى للاتحاد.

أما تطور التعليم الابتدائي للبنات فهو بطيء جداً ودون تعليم الولد بمسافة واسعة وكان لعامل التقاليد والحجاب والزواج المبكر أثر في ذلك . علما أن هناك بعض المدارس الابتدائية المختلفة وبعض المدرسين الرجال يدرسون في مدارس البنات.

---

(١) المصدر السابق – ص١٣٩ – ١٤٠

في مايو عام ١٩٦٦م بلغ عدد المدارس الابتدائية في الولايات الريفية من اتحاد الجنوب العربي (١٩٤) مدرسة للبنين و(١٤) مدرسة للبنات موزعة حسب الولايات .. والجدير بالذكر أن التعليم الابتدائي في الولايات الريفية يقع تحت مسئولية مديري أومشرفي التعليم في الولايات نفسها .

وهناك مدارس ابتدائية تتبع ادارياً ومالياً الحكام المحليين أي خارج اطار اشراف اتحاد الجنوب العربي مثل : كلية السلطان محمود بجعار التي أسست عام ١٩٦٢م مع قسم داخلي ، وتضم أولاداً كرهائن من ابناء يافع بني قاصد (رصد) ويافع بني مالك (لبعوس) ويصرف عليها مكتب السلطان في ولاية يافع السفلى »[١].

وفيما يتعلق بالتعليم المتوسط للبنين فقد برز هذا النوع من التعليم في الولايات الريفية في عقد الخمسينات كثلاث مدارس متوسطة في سلطنتي لحج والفضلي وكصفوف ملحقة بالمدارس الابتدائية في سلطنات وامارات اخرى .

وفي عام ١٩٦٥م ارتفع عدد المدارس المتوسطة للبنين إلى (١٣) مدرسة تضم (١٦٤٥) تلميذاً حين فتح منها (٤) مدارس عام ١٩٦٥م نفسه . أما المدارس المتوسطة للبنات فقد بلغت عام ١٩٦٥م ثلاث مدارس فتحت واحدة منها عام ١٩٦٥م نفسه وتضم هذه المدارس الثلاث (١٢٧) تلميذة .

وفي مايو عام ١٩٦٦م بلغ عدد المدارس المتوسطة في الولايات الريفية (١٦) مدرسة للبنين و(٣) مدارس للبنات موزعة حسب الولايات »[٢].

أما بخصوص التعليم الثانوي فقبل عام ١٩٦٢م كان يلتحق عدد محدود بالمدارس المتوسطة للبنين فيما يسمى بالمحمية الغربية بالتعليم الثانوي في المستعمرة عدن وكذا « من المدارس المتوسطة فيما يسمى بالمحمية الشرقية وذلك بموجب قرار صدر من الحاكم العام في عهد السير توم هينكبوثام .

« وفي نوفمبر عام ١٩٦١م بلغ حجم التعليم المتوسط في الولايات الريفية مستوى يستدعي استحداث تعليم ثانوي لاستقبال مخرجات التعليم المتوسط وحجمه كالتالي:

(١) المصدر السابق – صـ٣١٠ – ٣١١
(٢) المصدر نفسه – صـ٣١١

اسم المدرسة المتوسطة	طلبة سنة أولى	طلبة سنة ثانية	طلبة سنة ثالثة
وسطى زنجبار	١٢٠	٦٩	٧٠
وسطى جعار	٨٠	٣١	١٦
وسطى الحوطة	٨٠	٦٢	٢٤
وسطى لودر	٤٠	٢٩	٢٥
وسطى مودية	٤٠	٢٣	٢٦
وسطى الوهط	٨٠	٧	٠
الاجمالي	٤٤٠	٢٢١	١٦١(٩)

- مركز تدريب المعلمين :

«ويقوم هذا المركز بتدريب معلمي المدارس الابتدائية في الولايات الريفية ، وقد تم فتحه في مدينة الاتحاد عاصمة اتحاد الجنوب العربي . ومدة الدراسة فيه سنة واحدة»[١]

وحول مسألة التعليم في عدن يقول الأستاذ/ الراحل محمد حسن عوبلي ، وهو الذي شغل منصب وزير المعارف في مطلع عام ١٩٦٦م « نشأت في عدن المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في أواخر القرن التاسع عشر وفي عام ١٩١٠م افتتحت أول كليه للتعليم العالي بعدن وأوفدت البعثات من عدن للدراسة الجامعية في الخارج .

وعقب ذلك تم افتتاح مدارس وكليات للبنات على نفس الأساس .. أما لغة التدريس فكانت اللغة الانجليزية وكانت اللغة العربية لغة ثانية ولكنها على مستوى عالي.

أما المقرر الدراسي فكان للبنين نفس مقرر المدارس البريطانية وجامعة لندن.

ولكنني في عام ١٩٦٣م عملت على تغيير ذلك النظام .. فصار المقرر الدراسي للبنين طبقاً لمقررات جامعة لندن .. أما بالنسبة للبنات فكان طبقاً لمقرر جامعة كمبردج التي كانت أكثر تناسباً مع روح الفتيات وكانت امتحاناتها النهائية لنيل

(١) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي – ص٣١٩

شهادة الثقافة العامة قائمة على أساس اختبار مدى فهم الطالبة للموضوع بواسطة أسئلة مستقيمة نزيهة . أما جامعة لندن فكانت تضع أسئلتها بشكل يقصد به التعجيز ولا تسير مع مدى معلومات الطالب .

ومنذ عام ١٩٥٠م أخذت حكومة عدن المركزية على عاتقها مسئولية إرسال البعثات الدراسية البريطانية لدراسة القانون والاقتصاد والعلوم السياسية والإدارة العامة والطب والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا الحديثة بموجب منح تقدمها الحكومة للطلبة الذين يحصلون على شهادة الثقافة العامة لجامعة لندن أو كمبردج » (١)

و التقرير السنوي لإتحاد الجنوب العربي ١٩٦٥- ١٩٦٦م يشيرلوضع التعليم في عدن بالقول : « توفر الحكومة التسهيلات التربوية لأكثر من (٣١,٠٠٠) طالب وطالبة يتلقون العلم في (١٩٩) مدرسة ابتدائية ولأكثر من (٧٠٠٠) طالب وطالبة يدرسون في (٢٧) مدرسة متوسطة وحوالي (٢٨٠٠) طالب وطالبة في مستوى ما بعد المرحلة المتوسطة ، وقد توسع التعليم الابتدائي بحوالي (٢٥٪) من مجموع الطلبة و (٣٠٪) من مجموع الطالبات وظل عدد الطلبة والطالبات في المرحلة الثانوية كما كان عليه في العام المنصرم غير أن افتتاح كلية الطويلة للبنات في شهر يناير ١٩٦٦م سهل قبول أربعة فصول جديدة مما حقق زيادة قدرها (٢٠٪) في عدد طالبات المستوى الثانوي » (٢)

---

(١) عبدالمجيد/ نجمي - عدن ١٨٣٩ - ١٩٦٧ - الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م / اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين - الأمانة العامة - مركز عبادي للدراسات والنشر - صـ ٧٧، ٧٨

(٢) المصدر نفسه - صـ ٨١، ٨٢

الفصل الثاني

الفصل الثاني

التعليم في المحمية الشرقية

التعليم في المحمية الشرقية ليس أفضل حالاً من التعليم في المحمية الغربية ولايختلف كثيراً عما كان قائماً في الجنوب أوالشمال ومع هذا يظل هناك خصوصيات لكل سلطنة أو ولاية أو منطقة وتلعب الظروف الاجتماعية والثقافية دوراً مساعداً في هذه العملية فظلت بعض المراكز الحضرية تواصل دورها في العملية التربوية والتعليمية وظلت ايضا تاثيرات الهجرة المبكرة في بعض المراكز إلى المجتمعات المتقدمة لها بصمات واضحة على تشكيل وعي الناس ، بأهمية التعليم في بناء وتغيير واقع البلد والتحرر من التخلف بأشكاله المختلفة .

والحضور التربوي المحدود لبعض المراكز الحضرية ، وبعض الولايات ظل تحت مجهر وسيطرة السياسة الاستعمارية وظل الاستعمار يبحث عن موطئ قدم له في المحميات يفرض وصاياه ، بحيث يكون في موقع يجعله متحكماً بالقرار السياسي فيها ، وهو الذي يمنح كل سلطنة أومحمية صلاحيات محدودة ومقيدة وفقاً لرؤيته ولطبيعته الاستعمارية .

والمحمية الغربية بحكم موقعها القريب من المستعمرة البريطانية ظلت تخضع للسياسة التعليمية في المستعمرة عدن ، ولهذا كانت العملية التعليمية في هذه المحمية مقيدة ومحاصرة ، وضعيفة أكثر مما كانت عليه في المحمية الشرقية التي اعتمدت لها السياسة الاستعمارية واقعاً مختلفاً جعل ادارتها تخضع مباشرة لمستشار بريطاني في المكلا .

بينما ظلت المحمية الغربية مرتبطة عضوياً بالمستعمرة عدن وظلت مدرسة جبل حديد تستقبل تلاميذها من المحمية الغربية . حيث يوجد بها قسم داخلي ومن خريجي هذه المدرسة أرسل بعض الطلبة إلى السودان لتأهيلهم كمعلمين كما التحق البعض الآخر منهم بالمدرسة الثانوية الحكومية في الرازميث في العام الدراسي ١٩٥٠/٤٩م .

تولى ادارة مدرسة جبل حديد الأستاذ محمد سعيد العقربي بعد أن تم تأهيله في بريطانيا وبالتعاون بين سكرتارية الحاكم العام في عدن وادارة المحمية الغربية وادارته الطبية في عدن تم فتح المدرسة الطبية في مستشفى الإرسالية الاسكوتلاندية في الشيخ عثمان مدة الدراسة فيها سنة واحدة لتأهيل طلبة من المحمية الغربية كممرضين ومساعدين صحيين ... وأخذت بدايات التعليم الحكومي تنتشر هنا وهناك كشتلات صغيرة خلال الفترة ١٩٤١م -١٩٥٠م وتتفاوت سلطنات ومشيخات وامارات هذه المحمية في تطورها التعليمي حسب مستوى تطور سكانها الحضاري وقربها من المستعمرة عدن »[1]

والتعليم الذي كانِ سائداً في المحمية الشرقية يختلف قليلاً عن التعليم في المحمية الغربية نظراً لخصوصية هذه المحمية ومستوى الوعي التاريخي المتقدم فيها ويمكن أن نتناول تطور العملية التعليمية فيها على النحو التالي .

أولاً : الأربطـــة :

وربما ان حضرموت كانت الأسبق من غيرها في العملية التعليمية . فقد ظلت هذه العملية تتواصل تاريخياً دون انقطاع رغم الظروف السياسية التي مرت بها في ظل الهيمنة الاستعمارية ، وسيادة واقع التخلف والانحطاط الثقافية والاجتماعي وهذه الخصوصية الثقافية لحضرموت ساعدتها على التغلب على مشكلاتها التعليمية عن طريق الاهتمام بالتعليم الأهلي الذي عرفته حضرموت قبل غيرها وكذا قبل التعليم الحكومي وربما أن هذه العملية عملية مشتركة بين مختلف مكونات الوحدات السياسية والإدارية في اليمن .

ولكن حضرموت طورت مؤسساتها التعليمية اكثر من غيرها وبصورة ملحوظة فالأربطة التي كانت موجودة تقريباً في عدد واسع من مناطق اليمن ، وجدت ايضا في حضرموت ، ولكن بصورة متطورة . حيث كانت هذه الأربطة عبارة عن مدرسة أو كلية يدرس فيها العلوم اللغوية والعلوم الشرعية شأنها شأن بقية مناطق اليمن الأخرى .

« وعندما اخترق بعض اليمنيين طوق العزلة وهاجروا واحتكوا بمراكز النهضة الحديثة خارج اليمن في البلاد العربية أو في أوساط المهجر في اندونيسيا والهند حدثت خطوة متقدمة في اتجاه تطوير المدرسة اليمنية . فمست يد التغيير الزوايا فطور بعضها إلى معاهد دينية هي الأربطة الحديثة فأنشأ علي

(١) التربية والتلعيم في الشطر الجنوبي من الوطن - صـ١٣٧ - ١٣٨

بن محمد الحبشي في سيئون الرباط المعروف باسمه عام ١٢٩٦هـ وأسست جماعة من الأثرياء في تريم من آل الحداد وآل السري وآل الجنيد ، وآل عرفان رباط تريم عام ١٣٠٥هـ وعهد التدريس فيه أي في رباط تريم إلى علماء هم قادة الحلقات في عدة زوايا بتريم . وفي عام ١٣٢١هـ أسس الشيخ محمد بن سلم بعد عودته من مصر رباط غيل باوزير على غرار بن سلم»[(١)].

فالهجرة المبكرة اذاً في حضرموت لعبت دوراً ايجابياً مؤثراً في مسار الحركة التعليمية التي كانت محدودة في تلك الفترة وتمثل ذلك في عملية تطوير السياسة التعليمية والوظيفية للأربطة التي كانت قائمة وقتها ولاتؤدي الأهداف الإنسانية لها نظراً لطبيعة الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة ، فالمهاجرون الحضارمة في هذه المرحلة أرادوا أن تكون هذه الأربطة مماثلة للكليات العلمية التي كانت قائمة ومنتشرة في هكذا دولة اسلامية .. ولهذا أنشئت هذه الرباط لتكون نموذج لمعهد عالي للتعليم السلفي « وفي ثنايا العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري بدأت الحركة التعليمية تتخذ شكلاً آخر ففتح في مدينة تريم أول رباط علمي في بناية أنشئت خصيصاً له بعد جهود بذلها أعيان تريم في سبيله ، بالرغم من أن بعض الشيوخ لم ترق لهم هذه الفكرة واعتبروها خروجاً على الطريقة القديمة المثلى في نظرهم والرباط أشبه بكلية داخلية تضم كثيراً من الطلبة يتلقون فيها الدروس والأكل مجاناً . ويساعد المعوزين منهم بصورة استثنائية في مصروفاتهم الأخرى « ويوزع الطلبة به حلقات متفاوته على قدر استعدادهم وكفاءتهم . وتلقى بها دروس خاصة في أوقات معينة يسمح بحضورها لمن لم يكن من طلبته المسجلين ، ويعنى فيها أكثر بالعلوم الدينية وعلوم اللغةالعربية »[(٢)].

واستطاعت الأربطة التي انتشرت في مساحات واسعة من اليمن أن تؤدي وظيفة تعليمية كان لها أثر واسع على مسار الحركة التعليمية ولكن هذه العملية ايضاً كانت غير بعيدة عن تعقيدات الواقع فظلت تحمل ملامح العصر وتحمل جزء من رتابة الواقع وجموده ، وتحافظ على مشاعر البعض من المتربصين بالأفكار التقليدية .

.. ومع هذا شكلت هذه الأربطة خطوة نحو التقدم ، ونحو التغيير ، والتطلع إلى آفاق جديدة متحررة « إذ تأسس رباط تريم نتيجة جهود بذلت لتنشيط الحركة العلمية ، وكان على راس هؤلاء النشطاء مفتي الديار الحضرمية العلامة

---

(١)
(٢)

عبدالرحمن بن محمد المشهور .. والعلامة أحمد بن عبدالله البكري الخطيب. وقد دعمت هذه الجهود بمبادرة من بعض اثرياء تريم في الداخل والمهجر فأوقفوا الأموال اللازمة لقيام هذا المشروع التربوي وتأسيس بنيانه وشكلوا منهم امانة مشرفة عليه اناطت مهمة الإشراف العام والرئاسة العلمية في هذا الرباط لأحد أقطاب حركة تجديد التعليم السلفي هو العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور .

كما أناطت مهمة الاشراف الإداري وشئون الطلبة إلى العلامة عمر أحمد الشاطري أما هيئة التدريس في هذا الرباط فقد انتدبت من مدرسي الزوايا بتريم وغيرهم من المؤمنين بالتطور » [1].

وهذا يعطينا مؤشر طيب عن واقع العملية التعليمية وقتها ومدى تأثرها بالحركات التعليمية التي كانت قائمة في بلدان المهجر .. واستفاد القائمون على هذه المؤسسات من تجارب ورؤى العلماء في الداخل ، واصحاب المؤسسات التعليمية .. كما نجد في اسلوب وبناء وادارة هذه المؤسسات اساليب حديثة مثل اشراك المجتمع المحلي في ادارة هذه المؤسسات وتحديد سياساتها العامة .. واخضاعها لمبدأ القيادة الجماعية المتمثلة بالامانة المشرفة على هذا الصرح .. اذ اجمعت هذه المؤسسات بين النظام التقليدي الذي كان قائماً والنظام الحديث الذي كان قائماً في بلاد المهجر .

وهيئة التدريس ايضاً في هذا الرباط تم اختيارها بعنايةٍ من بين أهم الشخصيات العلمية والدينية المعروفة في حضرموت تريم تحديداً ممن لهم رؤى اصلاحية وأفكار تربوية دينية متقدمة .

ومن هؤلاء العلامة حسن بن علوي بن شهاب المفكر والمربي المعروف صاحب النظرة الاصلاحية التي ضمنه كتابه «نحلة الوطن» الذي تناول فيه آراءه الاصلاحية في التربية والتعليم التي تناولت أهداف التعليم وطرقه ونظمه وتمويله وتعميمه اذ يقول :»وظيفة العلماء لاتنحصر في تعليم الطلاب ما يلقونه عليهم في الدروس بالكيفية الجارية الآن بل هي في الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وانفع .. وظيفة لها دخل في كل الأحوال والأعمال وترتبط بسائر الأمور الدينية والدنيوية .. لانظام ولاترتيب الا بترك التقديس للقديم وتغيير بعض الخطط التي يسلكونها الآن .. وهي عديمة الجدوى في نيل المقصود .. وغالب الطرق المتبعة اليوم في التعليم والإرشاد مفوته للفرص ، مضيعة للزمن ، والعجب

---

(١)

أن طلب العلم بتلك الديار مخصوص لفريق من الناس دون غيرهم فالسوقة والزراع ونحوهم والموالي ومن على شاكلتهم لايحسن بهم أن يكونوا من العلماء النافعين .لأننا لانعرف احداً من العلماء دعى أولئك لذلك .. ولاترى احداً من أولئك متلبساً بطلب العلم وما السبب إلا اهمال العلماء وغفلتهم .. يجلس العالم أو المرشد إلى اقرب مسجد إلى بيته فيستند إلى احدى اسطواناته فيأتي اليه من يأتي ، فيلقي اليهم دروسا عقيمة لعدم اهتمامه بالطلبة لأن فيهم المبتدئ والمتوسط والمنتهي ويقرأ كل منهم على حده ، فطوراً في الحيض ثم في السهو، ثم الكسوف ثم في الربا وهلم جرا فهل يعد هذا التشتيت للأفهام أشد فيه ؟ فمن لنا بتغيير هذه الخطة إلى احسن واسهل منها ؟ من لنا بترتيب الطلبة وجمع كل فريق في كتاب ..؟

.. واذا كان العلم أفضل الأشياء فالمساعدة عليه مساعدة على افضل الأعمال وانشاء المدارس للتعليم والوقف عليها افضل من انشاء المساجد من حيث ان المصلي في المسجد قد تكون عبادته فاسدة ، وذلك ذنب يستحق العقاب وفي المساجد يزاح الجهل وتصلح اعمال الدين والدنيا والجهل يزيد المصائب والبلايا والرزايا»[1].

نجد أن هذه الصيحة وهذه الأفكار التقدمية قد عبرت عن حقيقة الأفكار الاصلاحية التي طرحت بقوة آنذاك في مجال التعليم .. فاصلاح التعليم كان يمثل ضرورة اجتماعية وانسانية لابد من احداثها من أجل تطوير الواقع التعليمي وتحديثه .. على الرغم من هذه الأفكار الجريئة الا أ ن هذه النظرة ظلت مشدودة للثقافة الاقطاعية والطبقية السائدة .

فالعملية التعليمية لابد وأن تظل محصورة في الطبقات الاجتماعية التي تشكل صفوة المجتمع .. فالثورة الاصلاحية ظلت مقيدة بالثقافة الاجتماعية السائدة.. وبالموروث الاجتماعي التقليدي ، ولكنها شكلت خطوة متقدمة على طريق اصلاح التعليم وتطويره بحيث يكون قادراً على تلبية اوضاع الناس واحتياجاتهم الاساسية في التقدم والتطور والإزدهار .

ومع هذا ظلت تريم تزخر بالحركات التجديدية وظل التعليم بمختلف توجهاته يطرح نفسه بقوة ، ويقدم رؤى اصلاحية متتالية .. واندحرت الثقافات السلفية المتحجرة بالتقادم .. فوصل البعض ممن ينحدرون إلى طبقات اجتماعية متدنية إلى مستويات علمية متقدمة .. وأصبحوا يحضون باحترام وتقدير في المجتمع.

---

(١)

«ولما كان التعليم في الرباط تعليماً سلفياً عالياً .. وكان التعليم في المعلامات تعليماً سلفياً ابتدائياً للصغار لايتجاوز مستوى محو الأمية ، فقد ظهر في تريم نوع من التعليم السلفي المتوسط ردم الهوة بين المعلامة والرباط . وأتاح الفرصة لأولئك الذين لايقبلون في الرباط أو في مدرسة الحق المناظرة له لكي يطوروا من معارفهم الدينية والعربية من مختلف فئات الشعب قامت بهذا النوع من التعليم الديني المتوسط مدارس «جمعية نشر الفضائل » التي تأسست عام ١٣٣٧هـ في مختلف احياء مدينة تريم يتم التعليم في هذه المدارس على اساس المجموعة (الفرقة) حيث يتولى تعليم المجموعة الواحدة مدرس واحد يواصل معها انجاز المنهج المقرر على النحو التالي :

أولاً : تعليم كيفية الوضوء والصلاة وشروطها ومبطلاتها .

ثانياً : اعطاء دروس تقويم الخط واتقان القراءة والكتابة .

ثالثاً : قراءة القرآن .

رابعاً : اعطاء دروس في الحساب .

خامساً : جفظ مختصر من مختصرات علم الفقه مثل متن سفينة النجاة مع ما يحتاج اليه التلميذ من مبادئ في التوحيد والبيع ونحوهما .. ومع الحفظ والتفسير لهذه المبادئ .

هذا وقد بدأ التعليم في مدارس «جمعية نشر الفضائل» ليلياً ثم أصبح نهارياً منتظماً كما بدأ قهرياً (اجباريا) لمن يدخل وفي مسار تطور التعليم توقفت مدارس جمعية نشر الفضائل كما توقفت مدرسة جمعية الحق لتحل مكانها مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة ومدرسة الكاف تدشيناً لتعليم حديث منظم في مدينة العلم تريم »[1].

ونجد هنا احد مظاهر التعليم الحديث والذي شكل مدخلاً اساسياً للتعليم الحديث . وتعتبر جمعية نشر الفضائل تجربة جيدة ، ومتميزة في التعليم تحمل معها نظرة تحديثية شكلت اساساً للمدرس الحديثة التي جمعت بين الأسلوب التقليدي والأسلوب الحديث وبين البساطة والتعقيد .. والوعي بمتطلبات الواقع.

---

(١)

ثانياً : المدارس :

لايمكن أن نتحدث عن التعليم في حضرموت بمعزل عن هذا الواقع .. فالتعليم بمفهومه الحديث جاء امتداداً للأربطة والتعليم التقليدي، والذي شكل في حضرموت قاعدة ترتكز عليه العملية التعليمية .. وكانت البداية كما أسلفنا للتعليم الأهلي الذي ترسخ في وعي الجماهير وسلوكهم .. وأصبح احد المتطلبات الأساسية التي يعمل على انجازها المجتمع بكل أفراده ومكوناته الثقافية والفكرية .. والنظام التعليمي في المحمية الشرقية سار وفقاً لنظام التعليم السوداني وطبقاً لذلك قسمت المراحل التعليمية إلى :

- المرحلة الابتدائية : ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات .
- المرحلة المتوسطة : ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات
- المرحلة الثانوية : ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات

ولم يأت هذا النظام الا بعد سلسلة من التطور والانفتاح على بلدان المحيط العربي التي كانت لها تجربة تعليمية متطورة إلى حد ما ، ولكن البداية كانت من التعليم السلفي الذي كان قائماً حينها ومنتشراً في مختلف الأرجاء .. ولكنه لم يلب احتياجات المجتمع ومتطلباتهم في التطور والتقدم وكان لابد وان تبدأ مراحل التطور من داخل هذا القطاع التعليمي والذي تبنته الجمعيات الخيرية والتي وجدت حينها لكي تتمكن من الاسهام في هذه العملية التي ظلت غائبة عن وعي المجتمع لفترة طويلة نظراً للظروف الإجتماعية والسياسية والثقافية القائمة .. ومن هذا المنظور تأسست مدرسة الحق في تريم عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٧م من قبل جمعية الحق بتريم" كخطوة تقدمية نحو تطوير التعليم السلفي وتحديثه .

وشكلت الصفوف العليا منها مرحلة توازي مرحلة الرباط حيث درس فيها كبار العلماء امثال العلامة احمد عمر عوض الشاطري وعبد الموفي بن طاهر وحسن عرفان بارجاء ، ومنذ عام ١٣٤٦هـ وبعد ان غادرها الأساتذة الشيوخ أخذت تنحو نحو التعليم الأولي الحديث حيث تولى ادارتها المؤرخ والمصلح التربوي الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر عام ١٣٤٦هـ وبذلك عرفت مدينة تريم لأول مرة في تاريخها أول مدرسة أولية منظمة يوزع فيها التلاميذ في صفوف متعددة ولها توقيت دراسي وادارة منظمة وتدرس فيها مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الدين وبعض علوم العربية والحساب كما أدخلت في برامجها علوم مبسطة في التاريخ والجغرافيا والصحة واستمرت هذه المدرسة نحو (١٧) عاماً"[١].

---

(١)

وهذه العملية تعطينا مؤشراً واضحاً عن مدى التطور الذي حدث داخل المؤسسة التعليمية .. والتطور لم يقتصر على المبنى فقط وانما في المادة التعليمية والسياسة التعليمية التي اتبعت ، ومع هذا التطور حدث تطور مماثل في المؤسسة الاجتماعية حيث أصبح التعليم واقعاً لامفر منه اضطلع به الأفراد والجمعيات قبل الحكومات والمؤسسات الرسمية وكان التعليم في الغالب للذكور نظراً لطبيعة الوعي الاجتماعي القائم وقتها ، والذي كان يحصر التعليم في الذكور فقط ومع هذا ظهرت بعض الكتاتيب المختلفة وبعض هذه الكتاتيب كانت أقرب إلى المدارس ومنها مدرسة الأخوة للبنات في تريم التي «أنشئت عام ١٩٣٧م من قبل جمعية الأخوة المعاونة بتريم انطلاقاً من موقعها المشجع والإيجابي نحو دور المرأة في المجتمع»(١).

ولكن هذه المدرسة أغلقت في عام ١٩٥٤م كما يشير المصدر ذاته كما اضطلعت بعض الأسر المعروفة في الأوساط الاجتماعية بعلمها وثقافتها أومركزها المالي بدور اساسي في هذا الاطار . وقد تمكنت أسرة آل الكاف في ثلاثينات القرن الماضي من انشاء مدرسة الكاف بتريم « وأناطت التعليم فيها إلى اعضاء جمعية الأخوة والمعاونة ، ولكن ما لبثت هذه المدرسة أن أغلقت ، وعند وصول الأستاذ شيخان عبدالله الحبشي بعد تخرجه من كلية الحقوق ببغداد إلى مدينة تريم .

أعيد فتح مدرسة الكاف تحت اسم مدرسة الكاف الخيرية الحديثة ـ تولى التدريس فيها الأستاذ شيخان الحبشي مع آخرين في الأعوام (١٩٤٧-١٩٤٩م) وبمغادرة الأستاذ الحبشي تريم إلى عدن هبط مستوى التعليم في مدرسة الكاف هذه ، وعادت إلى تدريس مناهجها التي اقتصرت على علوم اللغة العربية والدين والحساب »(٢).

وفي تريم ايضاً أنشأت جمعية الأخوة والمعاونة المنبثقة عن جمعية الحق «مدرسة الأخوه» عام ١٣٥٢هـ الموافق عام ١٩٣٢م على أنقاض مدرسة الحق وفي عام ١٣٥٧هـ أنشأت جمعية الأخوة والمعاونة مدرسة الأخوة للبنات التي ازدهرت خلال عقدي الأربعينات والخمسينات .. والجدير بالذكر أن أسرة آل الكاف المشهورة بثروتها في المهجر ومساهماتها في الخدمات الاجتماعية والاقتصادية في حضرموت هي المساهم الأكبر في تمويل مدرستي الحق والأخوة»(٣).

(١)
(٢)
(٣)

والحركة التعليمية في حضرموت وكما تشير المصادر التاريخية إلى أنها بدأت قبل هذا التاريخ كما أشرنا إلى ذلك في مستهل تناولاتنا للعملية التعليمية في المحمية الشرقية .. وذلك بفضل جهود نخبة من المتنورين من أبناء سيئون في الداخل وفي المهجر.

وفي السلطنة القعيطية ارتفع عدد المدارس الابتدائية للبنين من» ٢٤ مدرسة عام ١٩٥٠م إلى ٣٥ مدرسة عام ١٩٦٠م . منتشرة في مختلف الألوية التي تتكون منها السلطنة وقد لعب خريجو مدرسة دار المعلمين في غيل باوزير دورا هاما في توفير المعلمين المؤهلين لهذه المدارس الابتدائية . بالاضافة إلى خريجي المعهد الديني بغيل باوزير وبعض الأربطة الدينية في حضرموت .

كما ارتفع عدد المدارس الابتدائية للبنات من مدرسة واحدة في المكلا عام ١٩٥٠م إلى أربع مدارس في المكلا والشحر وغيل باوزير وشبام عام ١٩٦٠م بالاضافة إلى مدرسة بنات جيش البادية الحضرمي في المكلا التابع للمستشارية البريطانية »[١].

في ستينيات القرن الماضي تطور التعليم الحكومي في محمية عدن الشرقية .. نظراً للواقع الجديد الذي فرضته العديد من المتغيرات الدولية . وعلى وجه الخصوص في دول المنطقة التي عاشت واقعاً ثورياً وانتصاراً ثورياً وتحرريا ..

وفي ظل هذا الواقع الجديد بدأت الحركات السياسية والاجتماعية تطرح بقوة الموضوع التعليمي كواجب ديني واجتماعي وأخلاقي و بدأت الجماهير بمختلف شرائحها واتجاهاتها تسير في هذا الإتجاه ، وكانت محمية عدن الشرقية تعيش حاضراً متميزاً هو امتداد لماضي حضاري وتميز تاريخي ظل المجتمع الحضرمي محافظاً عليه طوال هذا الامتداد التاريخي الطويل .

فكانت حضرموت تتمتع بوعي تاريخي اجتماعي متميز من قضية التعليم ولهذا أنشئت عدد جيد من المدارس والمراكز العلمية وأول مدرسة ابتدائية للبنين تم انشائها في مدينة الغيظة عاصمة السلطنة المهرية . وفتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات في سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية . وفتحت أول مدرسة ثانوية للبنات في المكلا عاصمة السلطنة القعيطية، وينم هذا التطور في التعليم عن تنامي الوعي لدى المواطنين وعلى أن مخرجات التعليم قد هيأت لهذا التطور ظروفاً ملائمة لتطوره في اتجاه رأسي . وفي عام ١٩٦١م كتب موضوعاً بعنوان

---

(١)

«لاتجمدوا نهضتنا ـ لقد آن الأوان لفتح مدرسة ثانوية في حضرموت «نشرته صحيفة الطليعة في عددها رقم ٩٦ » جاء فيه :

«كان لنا في القطاع القعيطي زهاء عشرين مدرسة ابتدائية للبنين وبضع مدارس للبنات. بالاضافة إلى خمس مدارس وسطى بما في ذلك المعهد الديني بغيل باوزير .

وفي القطاع الكثيري بضع مدارس ابتدائية ومدرسة وسطى واحدة [1]» ، وشهدت السلطنة القعيطية ايضاً بناء عدد من المدارس الابتدائية للبنين في هذه الفترة «وانتشرت في ألوية هذه السلطنة الستة فارتفع عددها من (٣٥) مدرسة عام ١٩٦٠م إلى (٩٦) مدرسة عام ١٩٦٧م وكذا ارتفع عدد المدارس الابتدائية للبنات من (٥) مدارس بما فيها مدرسة بنات البادية عام ١٩٦٠م إلى (١٣) مدرسة عام ١٩٦٧م موزعة حسب الألوية والمدن على النحو التالي :

الرقم	اسم المدرسة	اسم المدينة	اسم اللواء	ملاحظات
١	المدرسة الغربية للبنات	المكلا	المكلا	
٢	المدرسة الشرقية للبنات	المكلا	المكلا	
٣	مدرسة البلاد للبنات	المكلا	المكلا	
٤	مدرسة الديس للبنات	المكلا	المكلا	
٥	مدرسة بنات البادية	المكلا	المكلا	
٦	مدرسة غيل باوزير للبنات	غيل باوزير	المكلا	
٧	مدرسة للبنات	الشحر	الشحر	
٨	مدرسة للبنات	الشحر	الشحر	
٩	مدرسة الحامي للبنات	الحامي	الشحر	
١٠	مدرسة الديس الشرقية للبنات	الديس الشرقية	الشحر	
١١	مدرسة شبام للبنات	شبام	شبام	
١٢	مدرسة القطن للبنات	القطن	اللواء الغربي	
١٣	مدرسة للبنات	-	دوعن	

(١)

وفي السلطنة الكثيرية ظل التعليم الأهلي مهيمناً مع تقدم بطيء في التعليم الحكومي الابتدائي حيث تم فتح مدرسة حكومية للبنين في مدينة تريم وأخرى في تاربه وثالثة في ساه بالاضافة إلى المدارس المحدودة القائمة منذ عام ١٩٦٠م وفي العام الدراسي ١٩٦٢/٦١م تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية حكومية للبنات في سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية .

وفي الغيظة عاصمة السلطنة المهرية تم افتتاح اول مدرسة حكومية للبنين عام ١٩٦٣م مدشنة بذلك بدء تعليم حكومي منظم في أقصى منطقة من الشطر الجنوبي من اليمن من جهة الشرق"[١].

ففي السلطنة القعيطية أخذ التعليم الابتدائي للبنين منذ الخمسينات في التوسع والانتشار أفقياً ورأسياً مما هيأ فرصاً لفتح مدارس متوسطة خلال الستينات بلغ عددها في العام الدرارسي ١٩٦٧/٦٦م (١٧) مدرسة متوسطة للبنين منتشرة في كبرى مدن هذه السلطنة في الساحل والداخل .

أما التعليم المتوسط للبنات في هذه السلطنة الأكثر تطوراً من شقيقاتها في المحمية الشرقية ، فقد بدأت أول محاولة له في عام ١٩٥٢/٥١م عندما فتحت في الديس بالمكلا المدرسة الوسطى لبنات البادية . حيث يقوم الرجال بالتدريس فيها نظراً لعدم توفر معلمات في ذلك الوقت ... دشن في أكتوبر عام ١٩٦١م افتتاح أول مدرسة متوسطة للبنات في المكلا يقوم بالتدريس فيها مدرسات من السودان وفلسطين ثم تلتها مدرسة ثانية في الشحر فثالثة في غيل باوزير .

وفي السلطنة الكثيرية وحتى عام ١٩٦٧م كان هناك ثلاث مدارس متوسطة للبنين ولم تفتح بعد مدرسة متوسطة للبنات ، أما السلطنة المهرية فلم تعرف بعد التعليم المتوسط سواء للبنين أو البنات»[٢].

الثانوية الصغرى للبنين وجدت هذه المؤسسة التعليمية في غيل باوزير أيضاً وتقبل طلبة من خريجي المدرسة الوسطى لتأهيلهم كموظفين للخدمات المكتبية في دوائر السلطنة القعيطية ، وذلك لمدة تتراوح بين سنة وسنتين ، وفي الإطار نفسه افتتح في مدرسة النهضة العلمية بسيئون قسم لاستقبال خريجي القسم الابتدائي عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م واستمر أربع سنوات فقط لعدم قدرة الهيئة على توفير مدرسين له خاصة في مادتي الرياضيات والفيزياء .. وفي الواقع أن عقد الستينات قد شهد بداية تحول في ترجيح التعليم الحكومي على التعليم الأهلي الذي ظل سائداً في السلطنة الكثيرية حتى نهاية عقد الخمسينات»[٣].

(١)
(٢)
(٣) هوامش الصفحات (٣١٧-٣٢٥) ، المصدر السابق.

أما التعليم الحكومي فإن حضرموت لم تعرفه إلا في غيل باوزير . وفي تقرير صادر عن مصلحة معارف سيئون يشير« إلى أن عدد الطلاب في كل المراحل التعليمية بالمنطقة الكثيرية بلغ في العام الدراسي ١٩٦٦/٦٥م (٣٨١٨) طالباً و(٦٠٦) طالبة وعدد المدرسين (١٢،١٢٧) مدرسة . أما احصاءات مصلحة المعارف القعيطية لنفس الفترة بلغت (٩١) مدرسة للبنين فيها (١٠،٧٥٩) طالباً واثناعشر مدرسة للبنات تدرس فيها (٢٢٤٠) طالبة . والمدارس المتوسطة بلغت (١٥) مدرسة للبنين واثنتين للبنات ، ويدرس في هذه المرحلة (٢٥٦٥) طالباً و(٢٢٣) طالبة .

أما المرحلة الثانوية فمدرسة واحدة في المكلا يدرس فيها (٢٠٩) طالباً و(١٣) مدرساً أما مناطق المهرة وسقطرى فإن المؤرخ صلاح البكري كما يقول الدكتور عبدالجبار عبدالله سعيد يشير إلى أن الجهل كان متفشياً ولم يكن هناك وجود لأي مظهر من مظاهر التعليم»[(١)].

وكما أشرنا بأن الجمعيات الخيرة والنوادي الثقافية لعبت دوراً مهماً في نشوء المدارس وتطوير العملية التعليمية .. لعبت الجمعيات العمالية الدور ذاته «، وبقيام ونشوء الجمعيات العمالية في عقد الستينات اهتمت هذه الجمعيات في برامجها وأهدافها الاجتماعية بفتح مدارس أهلية لأبناء العمال والفلاحين، وتأتي مدرسة القرن بضاحية سيئون من ضمن هذه المدارس ، وقد فتحت عام ١٩٦٢م وكانت تضم عام ١٩٦٥م خمسة فصول دراسية للبنين وفصلين دراسيين للبنات»[(٢)].

هذه المرحلة كما أشرنا لذلك سابقاً شهدت تطوراً تعليمياً ملحوظاً تجلى في كم من المدارس الثانوية التي شيدت وقتها ولعبت دوراً مؤثراً في رفع وتيرة الوعي الاجتماعي من قضية التعليم الذي أصبح في هذه المرحلة من أبرز التحديات الاجتماعية التي تحضى باهتمامات المجتمع بصفة عامة والجدول التالي يعطينا مؤشراً واضحاً عن طبيعة التعليم في هذه المرحلة حيث « بلغ التعليم المتوسط في المحمية الشرقية مستوى من التطور استدعى استحداث تعليم ثانوي فيها، وقبل افتتاح أول ثانوي في أكبر سلطنات المحمية الشرقية بلغ حجم التعليم المتوسط على النحو التالي :-

(١) قضايا العصر – عدد يونيو ١٩٩٢م – ص٤٥ - ٤٦

(٢) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن – ج١– ص٣٢٩

اسم المدرسة	طلبة أولى	طلبة ثانية	طلبة ثالثة	طلبة رابعة
وسط المكلا	١٢٠	٧٨	٨١	٧٦
وسط الشحر	٨٠	٤٣	٤٢	٠
وسط القطن	٤٠	٤٠	٠	٠
وسط الغيل	٨٠	٤٢	٤٤	٢٣
وسط المعهد	٤٠	٤٠	٤١	٣٧
وسط سيئون	٤٤	٤٦	٤٤	٤٢
الاجمالي	٤٠٤	٢٨٩	٢٥٢	١٧٨

وفي اكتوبر عام ١٩٦٢م تم افتتاح أول مدرسة ثانوية للبنين في المكلا عاصمة السلطنة القعيطية بصف واحد ضم (٣٥) طالبا من خريجي التعليم المتوسط في سلطنتي القعيطي والكثيري ، وكان افتتاحهما متزامناً مع افتتاح أول مدرسة ثانوية للبنين لخريجي المدارس المتوسطة في الولايات الريفية من اتحاد الجنوب العربي وهي ثانوية الاتحاد .

وكما بدأت الدراسة في ثانوية المكلا في مبنى مؤقت داخل سور مدرسة القرية سابقاً بضاحية المكلا وذلك قبل أن تنتقل إلى مبناها الحديث في موقع مجاور داخل نفس السور ، وفي عام ١٩٦٦/٦٥م استكمل بناء ثانوية المكلا مع الداخلية والمختبرات والمكتبة والمسرح ، وكان انشاء مبنى ثانويتي الاتحاد والمكلا باعتمادات من مال المستعمرات ... وفي العام الدراسي ١٩٦٧/٦٦م تم افتتاح ثانوية الشحر في مدينة الشحر . أما التعليم الثانوي للبنات في السلطنة القعيطية فقد بدأ بارسال ثلاث بنات من خريجات المدرسة الوسطى للبنات في المكلا إلى عدن عام ١٩٦٣م ليواصلن دراستهن الثانوية هناك ، ومن مؤسسات التعليم الثانوي توجد مدرسة إعداد المعلمين في غيل باوزير، وقد فتحت عام ١٩٤٩م كما رأينا وبعد ١٦ سنة أي في العام الدراسي ١٩٦٦/٦٥م . فتحت مدرسة المعلمات بالمكلا ، وتقبل هاتان المدرستان عدداً محدوداً من خريجي وخريجات المدارس المتوسطة للتأهيل كمعلمين أومعلمات للمدارس الابتدائية بعد دراسة أكاديمية وتطبيقية لمدة سنتين .

وفي العام الدراسي ١٩٦٧/٦٦م تم افتتاح كلية المعلمين الوسطى بالمكلا بقبول أول دفعة من خريجي ثانوية المكلا لتأهيلهم كمدرسين متخصصين للمدارس المتوسطة بعد دراسة تأهيلية لمدة عام دراسي ، وكانت هذه الكلية محاولة لتدشين تعليم عالٍ في السلطنة القعيطية بحضرموت ، وقد عين الأستاذ كرامة مبارك سليمان عميداً لهذه الكلية بعد دورة تأهيلية في معهد التربية بجامعة لندن ... وفي السلطنة الكثيرية تم فتح ثانوية سيئون للبنين بصف واحد ضم (٤٠) طالباً وذلك في العام الدراسي ٦٥/١٩٦٦م) وقد بدأت هذه المدرسة في مبنى مؤقت قبل انتقالها إلى مبناها الحديث"[١].

اذاً نستطيع أن نقول بكل وضوح بان الستينات كانت هي عصر التعليم الثانوي في المحميات ، وعلى وجه الخصوص الشرقية منها ، وهذا يؤكد أهمية النهضة الاجتماعية التي شهدتها هذه المرحلة بفضل العديد من العوامل الذاتية والموضوعية الداخلية والخارجية .

وفي السياق ذاته فتحت هيئة نظارة مدارس النهضة العلمية في سيئون المعهد الديني فيها عام ١٩٦٠م على غرار المعهد الفقهي في تريم « هدفه تخريج مدرسين للمدارس الابتدائية متخصصين في اللغة العربية والدين وتخريج وعاض وقضاة شرعيين . مدة الدراسة في هذا المعهد أربع سنوات ويستقبل طلبة من خريجي المدارس الابتدائية وكان ملحقاً بمبنى المدرسة الابتدائية لمدارس النهضة»[٢].

وهذا يعني أن هنالك توجه واضح نحو التعليم مرتبط باسترتيجية وطنية واضحة لتطوير العملية التعليمية . فإنشاء المدارس لاتشكل أهمية بعيداً عن تأهيل المجتمع وبناء قدراته ، فالمدارس تحتاج أيضاً إلى تأهيل طاقمها التدريسي، وإلى بناء قدراتهم حتى يستطيعون بناء قدرات الطلاب العلمية والثقافية وهي ضرورية لتلك المرحلة .

ومما سبق يتضح أن التعليم في محميتي عدن لم يختلف كثيراً عن التعليم في المستعمرة عدن ، والطفرة التعليمية التي شهدتها عدن شهدتها أيضاً المحميات، وعلى وجه الخصوص المحمية الشرقية وإن تأخرت قليلا عن الطفرة التعليمية في مستعمرة عدن ، والتعليم الحكومي أيضاً تأخر كثيراً عن التعليم الأهلي الذي عبر عن واقع المجتمع وحبهم للتعليم.. ففي لحج كانت توجد» مدرسة ابتدائية حكومية واحدة وهي مدرسة المحسنية ، وتوجد في حضرموت نحو (٤) مدارس

(١) انظر المصدر السابق – ص٣٢٣-٣٢٥.
(٢) المصدر نفسه – ص٣٢٣

شبه حكومية و(١٦) مدرسة أولية أهلية ، وعدد من الأربطة أهمها ثلاثة أربطة ، ويأتي رباط تريم أشهر هذه الثلاثة الذي يضم عدداً من أبناء المحمية الغربية وشمال اليمن في أقسامه الداخلية بالاضافة إلى أبناء المحمية الشرقية ، أما الكتاتيب فمن الصعب تحديد عددها وعدد أطفالها ، وهي منتشرة في مختلف المناطق ، إلا أن أفضلها تلك التي تنتشر في المناطق الحضرية وهي عدن ولحج وحضرموت»(١).

وبخصوص المناهج المتداولة في مدارس حضرموت آنذاك فهي تختلف إلى حد كبير مع المناهج التعليمية التي كانت قائمة في المحمية الغربية أو المستعمرة بحكم ظروف حضرموت وخصوصية أبنائها الذين عرفوا الهجرة قبل غيرهم، وتفاعلوا معها بموضوعية ولهذا كانت» المناهج التعليمية السودانية بسبب تأثرها بالمدرسين السودانيين الذي كانوا متواجدين حينذاك ، « وكانت أفضل من المناهج المطبقة في عدن والمحميات الغربية .

والخلاصة فإن التعليم في مناطق المحافظات الجنوبية قبل الاستقلال كان متعدد الأنظمة حيث كان النظام الإنجليزي في عدن ومحمياتها الغربية إلى جانب النظام العربي في المدارس الأهلية والنظام السوداني في مدارس حضرموت .

أما عدد الطلاب الملتحقين في المدارس الرسمية في عموم مناطق الجنوبٍ بلغ عشية الاستقلال عام ١٣٨٦-١٣٨٧هـ /١٩٦٦-١٩٦٧م (٦٤٨١٥) طالباً وطالبة»(٢).

---

(١) المصدر السابق - صـ٨٢ -٨٣

(٢) الموسوعة اليمنية - حـ١ - صـ٢٧١ -٢٧٢

٩

المبحث التاسع

المبحث التاسع

التعليم التخصصي في اليمن

التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب بالضرورة التوجه نحو التعليم التخصصي (الفني والتقني - البولوتكنيكي) وإن كانت تكاليف هذا النوع من التعليم باهضاً جداً .. ولكنه ضروري للمستقبل . . ويرتبط التوجه في هذا الإطار باحداث تحول حقيقي في ثقافة المؤسسات التعليمية وثقافة الدولة والمجتمع على حد سواء . فلا تزال النظرة إلى هذا النوع من التعليم ضيقة ولايزال المجتمع ينظر إليه على أنه لايحقق أهدافه . ولا يزال خريجو هذ المؤسسات لايجدون وظائف تستوعبهم .. علاوة على حرمان خريجي المدارس الفنية من مواصلة دراستهم الجامعية ، وضآلة مرتباتهم ، ومؤهلاتهم الدراسية في مستوى الدبلوم .

واذا اردنا أن نمتلك سياسة تعليمية حقيقية في هذا الاطار لابد من اعادة النظر في سياستنا التعليمية تجاه هذه المؤسسات التربوية ضمن استراتيجية تعليمية تربط المدرسة بالحياة اليومية للمجتمعات المحلية وربما أن التعليم الفني أقل حضاً من التعليم النظامي . نظراً للعديد من العوامل الذاتية والموضوعية .

فالتعليم الفني عادة يأتي بهدف تلبية احتياجات الدولة للتنمية واستنهاض الواقع الصناعي وتطويره ، ولكن حالة التخلف الشديد في اليمن حالت دون التفكير في هذا النوع من التعليم وذلك للأسباب التالية :-

١. التعليم الفني والتقني مرتبط عضوياً بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية،واليمن دولة تفتقر وقتها لأبسط المقومات التنموية .

٢. التركيب الاجتماعي الذي كان سائداً طبقياً .. والفئات المنتجة المرتبطة بالحرف اليدوية محتقرة اجتماعياً .

وهذان العاملان مبرران كافيان لعدم ظهور هذا التعليم وبصورة موازية للتعليم بالمفهوم الذي تناولناه ، وهذا لايعني أن التعليم غير موجود بالمفهوم المطلق ، ولكنه بدأ يظهر بتواضع منذ عم ١٨٩٥م عندما أسس الوالي حسين حقي حلمي

مدرسة الصنايع بصنعاء ، وجلب لها الخبراء والمدرسين من اسطنبول وكان مقرها مبنى المتحف الحربي حالياً بميدان التحرير وقد تخرج منها العديد ممن طوروا أعمال الزخرفة والنجارة والخراطة وعمل البعض منهم في الورشة التي شيدها الإمام يحيى بمساعدة الإيطاليين عام ١٩٣١م .

وقد شهدت مدينة عدن توسعاً في الأعمال والوكالات التجارية المختلفة في العشرينات من هذا القرن ، وكان ذلك سبباً في تأسيس المعهد التجاري العدني عام١٩٢٧م .

وفي عام ١٩٣٦م قام المستشار الزراعي السوري (أحمد وصفي زكريا) بتأسيس أول مدرسة زراعية مع بعض الدروس النظرية ، وعلى الرغم من سياسة الإمام يحيى المتزمتة ، ونظراً للمتغيرات الدولية التي حدثت من حولنا وانفتاح اليمن المحدود على الخارج والمتمثل بابتعاث عدد من الطلاب إلى ايطاليا لدراسة الطيران وميكانيكيا الطائرات في عام١٩٢٧م وبعثة عسكرية إلى العراق أواخر ١٩٣٦م وأخرى بعثت إلى العراق للإلتحاق بدار المعلمين ، وبعثات أخرى إلى مصر للدراسة في المعاهد المصرية وكذا الأزهر .. مثلت هذه البعثات والبعثات المعاكسة خطوة أولى لنشر التعليم وتحسينه .

وفي ظل هذه المناخات (أنشأ الإمام يحى أول وزارة للمعارف عام ١٩٣٨م) وجعل التعليم الابتدائي اجبارياً ، وأنشئت مدارس ابتدائية ومدارس علمية كبرى في صنعاء ، وصعدة ، وحوث ، وثلا ، وجبلة ، ومدرسة لإخراج المعلمين ومدرسة حربية ومدرسة للصنائع العلمية والنظرية .

وكانت مراحل التعليم في هذه الفترة ثلاث مراحل وهي : المرحلة الابتدائية وتتكون من ستة صفوف ثم المرحلة المتوسطة ومدة الدراسة فيها أربع سنوات والمناهج الدراسية فيها أعلى مستوى من المرحلة الابتدائية ، ثم المرحلة الثانوية ومدتها أربع سنوات والدروس التي تعطى فيها أعلى مستوى أيضاً من المرحلة المتوسطة"[1].

وهكذا بدأ التطور التعليمي بطيئاً ولكنه كان تعليماً نوعياً وكيفياً .. فالمدرسة كانت عبارة عن مؤسسة تعليمية مستقلة ، وكانت عبارة عن قدرات وكفاءات علمية .. وقد تطور التعليم في عام ١٩٤٧م على يد خبير تربوي مصري ، ولكن لم تتح له الفرصة الكافية للاستمرار في عملية التحديث والتنظيم .. وهناك

(١) اليمن الجديد – العدد (٦) – السنة (١٩) – صـ١١٨

عدد كبير من المدرسين المصريين بواسطتهم بدأت الثورة أو النهضة التعليمية .. وقد كانت نسبة المتعلمين (٢٠٪) وعدد مدارس البنات عشر ، وفي عام ١٩٤٩م كان عدد المدارس في انحاء اليمن (٥٣٠) مدرسة وفي عام ١٩٥٠م أنشئت دار المعلمين في الحديدة فأصبح هناك دار للمعلمين في صنعاء وأخرى في تعز والثالثة في الحديدة .

والجدول التالي يوضح تطور التعليم وأنواع المدارس ومستوياتها وأعدادها وإعداد تلاميذها ومدرسيها في اليمن قبل ثورة (٢٦) سبتمبر ١٩٦٢م .

العدد	المؤهل	النسبة	ملاحظات
١	ابتدائية	٨٪	
٢	اعدادي	٠٫٥٪	
٣	ثانوي	٧٫٤٪	
٤	دور المعلمين	١٢٫٥٪	
٥	علمية ـ دينية	٠٦١ ٪	
٦	معاهد مختلفة	٠٫٢٪	
٧	جامعيون	لايوجد	
٨	الذين لم ينتسبوا إلى أية مرحلة اطلاقاً	٦٥٫٣٪ (٠١)	

الدراسة المتوسطة :

المدارس كما أسلفنا في اطار المملكة المتوكلية اليمنية كانت متخلفة وبدائية جداً وتعمل بآليات مختلفة واذا كانت المدارس الابتدائية تعتمد على التكرار وكثرة المناهج ، وتعدد السياسات التعليمية .. فإن الدراسة المتوسطة لاتقل حالا عنها فقد تميزت المدارس المتوسطة بشحتها البالغة حيث لم تكن توجد سوى مدرسة واحدة في صنعاء مدة الدراسة فيها أربع سنوات وكذا واحدة في تعز وأخرى في الحديدة مدة الدراسة فيها سنتان ، وقد اعتمدت مناهج المرحلة المتوسطة على تدريس المواد التالية : الفيزياء والكيمياء ، واللغة الإنجليزية والرياضيات .

لكن تدريس هذه المواد كان يتم بطريقة بدائية جداً ولايتمكن من الإنخراط في صفوف الدراسة المتوسطة إلامن أكمل المرحلة الابتدائية في الدراسة [1].

فالتعليم هنا كان يجمع بين القديم والحديث .. بين الوسائل المتوازنة والوسائل المستوحاة من التجارب العربية الأخرى .. وهذا لايعني أن الاختيار للمناهج الدراسية كان يخضع لتقدير القائمين على هذه المؤسسات فهذا أمر غير دقيق .. لأن الإمام هو الوحيد الذي كان يمتلك الحق في تحديد السياسات التعليمية .

وهي في تقديري موحدة في جميع المدارس ناهيك عن الاختلاف الملاحظ في سنوات التدريس من (٤-٢) سنتين في بعض المحافظات .. فهذا يعود إلى شحة الامكانيات وربما ندرتها .

«وكانت المعاهد الدينية تشكل جزءاً من الدراسة المتوسطة في المملكة المتوكلية وقد بلغ عدد المعاهد الدينية مايقارب (١٥) معهداً دينياً تشترط في قبولها الطلاب الوافدين إليها انهاء المرحلة الابتدائية ، وقد كانت مدة الدراسة في هذه المعاهد (١٢) عاماً يدرسون فيها القرآن الكريم والمعلومات الدينية والشريعة .. الخ ، وخريجو هذه المعاهد يتحولون إلى قيادة دينية تتبوأ مراكز رفيعة كقضاة للشرع»[2].

وسياسة القبول في هذه المعاهد ونظامها التعليمي تؤكد حقيقة ماذهبنا إليه .. فهناك استراتيجية تعليمية واضحة وموحدة في عموم أراضي المملكة المتوكلية اليمنية .

المناهج الدراسية :

التعليم الذي كان سائداً قبل الثورة كان تعليماً سلفياً تقليدياً وإن بدأت بعض المواد الحديثة تدرس في بعض المدارس .. إلا أن هذه المواد محدودة وغير موجهة.

ومع هذا كانت المواد المختارة تعبر عن احتياجات الواقع لمثل هذه التخصصات العلمية . وعلى وجه الخصوص التخصصات العلمية التي كانت مطلوبة لشغر وظائف قضائية وكتابية وغيرها .

(١) المصدر نفسه – صـ٩٤
(٢) المصدر نفسه – صـ٩٤

هي القرآن الكريم والصرف والنحو والفقه والتفسير والحديث ، وجميع العلوم الإسلامية والتعليم الحديث نشأ في الشمال مطلع خمسينات القرن الماضي متأثراً بالتعليم الحديث في الجنوب الذي تطور هناك بشكل ملحوظ في هذه الفترة تحديداً نظراً لتداخل الأشكال التعليمية المتعددة في عدن والتي تمثل مختلف المذاهب والقوميات والديانات والثقافات الإنسانية التي تشكل الخارطة السياسية والثقافية لمدينة عدن .. وتحديداً التعليم الأهلي الذي ساهم المجتمع في تشكيله وتحديد هويته ومساره .. في هذه المرحلة ونتيجة لتشكيل النوادي والجمعيات المختلفة تشكل نادي الاتحاد العبسي عام ١٩٥٢م في عدن لكي يساهم في عملية النهضة التعليمية في انشاء المدارس وابتعاث الطلاب إلى الخارج وكذا نقل هذه النهضة إلى الشمال .. حيث عمل على تأسيس مجموعة من المدارس الابتدائية في الأعبوس بالتعاون مع الأهالي ابتدءاً بمدرسة البعث «الحرية » حالياً في قرية بني علي عام ١٩٥٦م ومدرسة الإرشاد في قرية ظبى عام ١٩٥٨م ومدرسة الفلاح بقرية الغليبة عام ١٩٦٠م ومدرسة التحرير بقرية المشاور. وربما الفتح عام ١٩٦١م وغيرها .

وهذه المدارس مجتمعة ساهمت إلى حد كبير في تشكيل وعي المجتمع بوعي الثورة ، فقد ساهمت هذه المدارس في تشكيل وعي المجتمع بوعي الثورة ورفدت الثورة بكادر إداري متميز في مختلف التخصصات العلمية .

وعلى الرغم من أن هذه المدارس قد استطاعت بوعي أن تكسر واقع التخلف والهيمنة الإمامية وسياستها المتزمتة إلا أن الإمام أحمد تعامل بموضوعية مع هذه المدارس ولم يبادر إلى إلغائها أو التدخل في سياستها التعليمية وانما ساندها معنوياً ومادياً ، ولمجرد أن علمت حكومة الإمام أحمد بهذا النشاط التربوي أرسلت كشافين من وزارة المعارف حينذاك للكشف على المدارس وربطها بالوزارة ، وكانت النتيجة تقرير راتب للمدرسين في المدرستين بمقدار قدح ونصف من الطعام لكل من عبدالحافظ الهتاري أول مدرس في قرية بني علي ، وعبدالله أحمد غالب مدرس في قرية الغليبة »(١).

وكان في الأعبوس أيضاً « (المدرسة الأحمدية) كان المشروع الطلابي يدفع راتباً للمعلم الذي يعلم فيها وكانت المدرسة بنظام الكتّاب تعلم القرآن الكريم والخط والحساب والأناشيد والمعلمون الذين عملوا في المدرسة على نفقة

---

(١) الحربي / احمد محمد – المسألة التعاونية وخصائص الحركة التعاونية في الجمهورية العربية اليمنية – والاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي للتطوير – نيسان أبريل ١٩٨٤م – صـ١٠٠

المشروع هم عبدالله أحمد غالب الفقي والسيد محمد ناجي صالح .. والمدرسة الأحمدية بنتها الدولة وساهم الأهالي بالأخشاب والباب»[1].

الزامية التعليم :

التعليم قبل الثورة كما أسلفنا كان محدوداً وعلى قلته لم يكن ملزماً ، وكان طبقياً أيضاً . فالقضاة والفقهاء والحكام يدرسون أبنائهم لكي يكونوا ورثتهم في المناصب ، ودورهم في المجتمع .. وفي محاولة للرد على بعض الشطحات التي يوردها البعض في هذا الإطار يقول الدكتور صادق عبده» لقد كانت الدراسة الابتدائية مبدئياً من ٦ سنوات ولكن هذه الدراسة لم تكن إلزامية رغم هذا نجد الإحصائيات الخاصة بالتعليم الابتدائي تظهر أن بين المسجلين للدراسة من الأطفال هناك من لاينهى هذه المرحلة للدراسة سوى (١١٪) ولاينهي الدراسة لخمس سنوات من بين الأطفال سوى (١٧٪) بينما (١٦,٢٪) من الأطفال لاينهون الدراسة لأربع سنوات » [2].

وفي عام ١٩٣٧م أفتتحت المدرسة الصناعية بصنعاء لصناعة النسيج واستقدم لها مدرسون وخبراء من مصر لتدريس الطلاب على أعمال النسيج والحدادة والنجارة أما أول مدرسة للبنات فقد تم إنشاؤها في صنعاء عام ١٩٤٩م لتدريس العلوم الابتدائية والشئون المنزلية والخياطة والتطريز»[3]، وفي عام ١٩٣٩م بعثت العراق وفداً زراعياً لتدريب المزارعين على الأصول الحديثة في الزراعة بناء على طلب الإمام يحيى »[4].

هذا يعني أن الإمام يحيى أدرك أهمية التعليم الزراعي في مجتمع كان جميع مكوناته يعملون في الزراعة ، وتمثل في تاريخ اليمن قديمه وحديثه العمود الفقري في نشاطه الاقتصادي .. ولكن هذا النوع من التعليم ظل كغيره من مفردات التعليم محدوداً جداً لايفي بحاجة المجتمع ومتطلباته .

فالتعليم التخصصي بأنواعه المختلفة يعكس حالة متقدمة من وعي المجتمع ووعي المؤسسات الحاكمة .. والوضع المتردي للتعليم التخصصي في اليمن يعكس أيضاً حالة التخلف الشديد في المجتمع والأوضاع المأساوية والتي تعيشها اليمن

(١) ذكريات الأعمال الخيرية للأعمال الخالدة - جعية الأعبوس الاجتماعية الخيرية فرع عدن - صـ٣٠ -٣١
(٢) الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن - صـ٩٣
(٣) الموسوعة اليمنية - جـ١ - صـ٢٥٩
(٤) أ.د/ الأغبري/بدر سعيد - التعليم الزراعي في اليمن (التطور - المعوقات - المقترحات) مجلة شئون العصر - المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية - السنة (٩) - العدد (١٩) أبريل - يونونيو

بشطريها . فالدولة في المملكة المتوكلية اليمنية أو المحميات أو حتى في عدن المستعمرة .. عبارة عن جماعات جابية للضرائب ليس إلا وليس لديها أي رؤية تنموية وانها لم تع دورها الحقيقي في هذا الإطار .

لذا فقد ظل العمل المهني والحرفي متوارثاً . يكتسب عن طريق الخبرة والممارسة ، ولهذا ظلت بعض الحرف متوارثة وتكتسب عن طريق الخبرة والممارسة ، ولهذا ظلت بعض الحرف نشطة وفاعلة .. يعتمد عليها المجتمع في اشباع حاجاته الأساسية وكانت المؤسسات المحدودة جداً لاتلبي احتياجات المجتمع ولاتدفع الناس للالتحاق بها .. وربما أن لندرتها ومحدوديتها دوراً اساسيا في ذلك .

«وفي الخمسينات ظهرت بمدينة عدن بعض الأعمال الإنشائية والصناعية الخدماتية آنذاك والمرتبطة بالتحضيرات لإنشاء مصفاة الزيت كما تم في عام ١٩٥١م افتتاح المعهد الفني بالمعلا الذي بدأت الدراسة فيه بأربعة تخصصات في المستوى الثانوي المهني ، وذلك وفق مناهج معهد (الستي اند جيلدز) البريطاني، وبعد عشر سنوات (١٩٦١م) تحولت الدراسة النظامية بذلك المعهد إلى شهادة الثقافة العامة .

كما تأسس في عدن فترة الخمسينات ذاتها أول مركز للتدريب المهني الصناعي تابع لما كان يعرف بمكتب العمل وكان يقوم بعقد دورات تدريبية مهنية لخريجي المدارس مما يلتحقون بالعمل المهني كمتدربين واجراء اختبارات مهارة للعمال من المرافق المختلفة ، واصدار الشهادات التي تحدد مستوى مهاراتهم العملية. وشهدت نهاية الخمسينات وبداية الستينات بعض النشاط في مجال التعليم والتدريب في تخصصات صحية . كان أهمها اعداد الممرضات لنيل شهادة (ARN) لتأهيل موازي لشهادة (SRN) البريطانية ، ودورات في الصحة العامة وفي عام ١٩٥٧م افتتح معهد صحي بصنعاء يستوعب مائة طالب وطالبة لتدريس العلوم الصحية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وخبراتها»[١].

ووجدت أيضاً مدرسة عسكرية واحدة في صنعاء درس فيها في البداية الضباط الأتراك إلا أن السلطة الإمامية استقدمت بعد ذلك الضباط السوريين والعراقيين للتدريس فيها »[٢].

(١) الموسوعة اليمنية –جـ١ – صـ٢٥٩–٢٦٠
(٢) الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن – صـ٩٦

وبعد الثورة تطور التعليم،وعلى وجه الخصوص التعليم التخصصي بكل أشكاله وأنواعه . ولهذا وجدت عدد من المدارس المتخصصة زراعياً أو فنياً أو في مجال الصحة والتربية والتجارة والإدارة والصناعة وغيرها في كل من الشمال والجنوب ومع هذا ظل تعليماً محدوداً وفي اطار محافظات محدودة جداً .

وظل عدد واسع من ابناء المحافظات الأخرى محرومين من هذا النوع من التعليم والحقيقة أن هناك معوقات لعدم نشر وتوسيع التعليم الزراعي .

منها موضوعية ومنها ذاتية : لأن تكاليف هذا النوع من التعليم عالي جداً لأنه يتطلب انشاء ورش ومختبرات ويتطلب مساحات واسعة وهي تفوق قدارت البلد بالاضافة إلى أن الوعي الزراعي الذي تراكم عبر سنوات وربما قرون طويلة. يحتقر العمل اليدوي الزراعي والصناعي تحديداً . لأن هذه المهن لايقوم بها إلا المعدمين جداً .. وليس من المقبول أو المعقول أن يذهب الطالب إلى المدارس والجامعات ويعود لكي يمتهن العمل الزراعي أو اليدوي الأخرى .

هذا الوعي الزائف حقق في ظل الاستعمار والإمامة صدىً له . . وأصبح واحداً من مخلفات ما قبل الثورة ومن المؤسسات التعليمية التخصصية التي أنشئت وتطورت بعد الثورة هي :

- معهد الثروة السمكية :

تأسس معهد الثروة السمكية في عدن في ٢٢ يناير ١٩٧٠م في اطار اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية – الشطر الجنوبي وقتها والاتحاد السوفيتي (سابقا) وكان الهدف من انشاء هذه المعهد يتمثل في رفد القطاع السمكي بالعناصر الوطنية المتخصصة . وسطية التأهيل، وتطوير الأيدي العاملة السمكية ويمكن ايجاز نشاطات هذا المعهد وانجازاته ومراحل تطوره في السنوات التي تلت تأسيسه فيما يلي :

- العملية التعليمية في المعهد

اعتمد المعهد عند تأسيسه على البعثة التعليمية السوفيتية ، وكان عددها عشرة بين مدرس ومترجم ، ثم انخفض هذا العدد إلى (٣) في عام ١٩٨٩م بعد أن تأهلت عناصر وطنية للتدريس فيه ، وتقوم الهيئة التعليمية اليمنية اليوم بإدارة العملية التربوية والتعليمية في المعهد بكفاءة عالية »[1].

(١) الموسوعة اليمنية – الجزء الثاني – صـ٨٨٨

واعتمد المعهد نظاماً تعليمياً يقدم المعرفة العلمية التخصصية عبر مستويات متعددة ، وبنظام العامين والثلاثة والأربعة والخمسة أعوام وفي تخصصات بحرية مختلفة ، وعلى وجه الخصوص الميكانيكا البحرية ، وتكنولوجيا الأسماك والثلاجات بالاضافة إلى مجال الاقتصاد السمكي والكهرباء البحرية والصناعات الغذائية ومختلف الأعمال البحرية .

ونشط المعهد أيضاً في مجال اقامة الدورات القصيرة التي تراوحت مابين ثلاثة إلى تسعة أشهر . . في مجالات البرادة واللحام والخراطة والميكانيكا البحرية والاصطياد التجاري ، والكهرباء البحرية ، وقد تطورت العملية التعليمية في المعهد من نظام العامين عند تأسيسه إلى نظام الخمسة أعوام .. تلقى خلالها الطلاب الملتحقون به المعارف الاساسية التخصصية ووفرت مؤهلات نظام الدبلوم الفني وكان خريج المعهد يجد به وظيفة حكومية مضمونة أو في التعاونيات التي نشطت آنذاك في هذا الجانب .

وقد كانت « المناهج تدرس باللغة الإنجليزية منذ تأسيس المعهد حتى عام ١٩٧٨م ماعدا دورات عامين ، ودفعة ثلاثة أعوام التي تلقت علومها باللغة العربية ، ثم اتخذ قرار بتعريب الدراسة في المعهد منذ ذلك العام ،وقد أعطت هذه الخطوة مردوداً ايجابياً ، ويحكى ذلك من خلال المعدلات العالية التي حققتها الدفعات الثلاث التي تخرجت بعد عملية التعريب»[١].

والتربية حديثاً تطورت عالمياً وأصبحت ترتكز على ثوابت وأسس علمية وبحوث و تطورت في البلدان المتقدمة تطوراً كبيراً ، وأصبحت لها مدارسها الخاصة، وفي اليمن تراجع دورها كثيراً لأنها لم ترتبط ارتباطاً عضوياً بالاحتياجات التنموية ولم تدرس بصورة كافية ، ولم تكن ضمن استراتيجية تعليمية موجهة، وانما بدافع من الحماس وربما التقليد .. فالمنطقة التي حصلت على بعض المنشآت التعليمية لم تكن احسن حظاً من المنطقة التي لم تحصل على أي منشآت تعليمية .

والتوسع التعليمي الأفقي والرأسي في اليمن الذي حدث في هذا الاطار أصبح يعبرعن واقع الوعي الذي أحدثته الثورة ولكنه لايزال وعياً محدوداً لم يرتبط بالاحتياجات التنموية ، ولهذا أصبحت هذه المؤسسات تغرق سوق العمل بتخصصات ربما لايحتاجها أو أنها زائدة عن احتياجاته .. فالكم الهائل من المؤسسات التعليمية لم تلبِ متطلبات التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي

(١) المصدر نفسه – ص٨٨٩

حدثت فعلاً .. فهي اعتمدت على الكم في إنشاء المؤسسات .. وافتقرت للكيف.. في نمطها العلمي .

وبالتأكيد فالواقع التعليمي المزري يعود إلى طبيعة الجهل المخيم في الواقع وسيطرة القوى التقليدية المتخلفة على مقاليد الأمور .. بالاضافة إلى شحة الإمكانيات المالية المخصصة للعملية التعليمية والبحث العلمي .

وكان من الطبيعي أن تشمل هذه التغيرات مجال إعداد المعلمين أوتربيتهم وهذا تقليديا حتى نهاية ستينات القرن الماضي . حيث برز مفهوم تدريب المعلمين القائم على الكفاءات أو على الأداءات ... ويعني هذا المفهوم أن المعلم المؤهل هو المعلم الذي يمتلك المهارة والفعالية اللازمة لأداء مهماته كمعلم ، ولاشك أن هذا المفهوم يشمل تغيراً واسعا في مجال اعداد المعلمين .

حيث كان المعلم المؤهل في البرامج الشائعة هو المعلم الذي يمتلك شهادة توضح نجاحه في عدد من المساقات التربوية المرتبطة بمفهوم التعليم »[(١)].

وأصبح في العصر الحديث للتعليم مفاهيم وأساليب كثيرة وجميعها ارتبطت بعملية تطور العملية التعليمية وفقاً لمعيار الاحتياج العصري «وتطور التعليم من عملية جماعية تصمم نشاطات موحدة لمجموعة كبيرة من الطلاب إلى عملية فردية تصمم نشاطاً معيناً لكل متعلم وفق حاجاته وقدراته وميوله كما تطورت أهداف التعليم وأساليبه ، وتفردت بالطريقة التي تناسبه وإلى المدى الذي يستطيعه وظهرت المجمعات التعليمية كبرنامج للتعليم الذاتي ، والتعليم المفرد كما ظهرت مواد وأساليب تعليمية وفق مبدأ التعليم المفرد كالرزم والحقائب التعليمية »[(٢)].

فالعملية التعليمية بعد الثورة أصبحت تمثل حقيقة اجتماعية وسياسية وضرورة انسانية ملحة على الرغم من المظاهر السيئة التي استعرضناها فيما مضى لأن المجتمع اليمني بفئاته المختلفة .. وهو المستهدف من العملية التعليمية أصبح يشعر بأهمية التعليم لتعويض حالة الحرمان الطويل الذي عانى منها المجتمع .. وللتعليم مزايا انسانية وسياسية واجتماعية في منتهى الأهمية ، وأصبحت ايضاً الطبقات والفئات الاجتماعية المقهورة والمهمشة تجد طريقاً لها للالتحاق بالمدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية المختلفة .

(١) مجلة اليمن الجديد –العدد (٧) – السنة (١٩) – يونيو – ١٩٩٠م – صـ٥١
(٢) المصدر نفسه – ص٥٥

«وبيدأ الناس يتعاملون مع فكرة التعليم لاباعتباره حقاً قد حرموا منه ويجب الحصول عليه فحسب بل وبدأ النظر إليه باعتباره طوق النجاة الوحيدة لتخليص الناس من الفقروالجهل والمرض واللحاق بركب المدينة الحديثة ، بل وأكثر من ذلك بدأت النظرة إلى التعليم باعتباره الأداة الأساسية الفعالة لكسر احتكار الطبقة الاقطاعية للسلطة والامتيازات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، وبدأت فكرة المعارضة للنظام الإمامي في الشمال والإنجلو سلاطيني في الجنوب تنطلق من مبدأ أهمية التعليم وضرورة توفيره لكل الناس ، وكان الشعار المطروح هو القضاء على الثالوث الخطير . الفقر والجهل والمرض حيث كان هذا الشعار العام للنضال الوطني والعميق الدلالة يعني القضاء على الفقر بتوفير فرص أفضل للعمل وللعيش الكريم وعلى الجهل يتحقق التعليم لكل الناس وعلى المرض بتوفير المستشفى والطبيب والعلاج لكل مريض»[1].

والتوسع الكمي للتعليم أيضاً يؤكد حقيقة الثورة التي احدثها الفعل الثوري في مختلف المجالات التربوية والتعليمية وهو من أبرز أهداف الثورة . فالشعب بكل فئاته اتجه إلى جانب حكومة الثورة ببناء المدارس وتطوير رسالتها . . وصدرت في هذا الاطار سلسلة من القوانين والتشريعات التي ساعدت على أن تكون الحركة التعليمية حركة شعبية شارك فيها المجتمع وأكسبها صفة الشعبية ، وأصبح التعليم حقاً للجميع ، وانتشرت المدارس في عموم الوطن اليمني بمراحله المختلفة .. في قمم الجبال وبطون الوديان في الصحاري وفي كل شبر تقريباً .. في توسع أفقي ورأسي للمؤسسات التعليمية ، ولكن على الرغم من هذا الاهتمام التربوي والتعليمي إلا أن التعليم أصبح يعتمد على الكم وليس الكيف .. فنجد أن هنالك تراجعاً في المستويات التعليمية .. فيكاد يكون التعليم بهذه الطريقة فقط لمحو أمية الصغار . .أي الطفل ينتهي من دراسته الثانوية وربما الجامعية ليقرأ ويكتب فقط .

ولاننسى هنا دور هيئات التعاون الأهلي للتطوير في الشمال والتي عملت بمشاركة المجتمع على تعميم هذا الحق وايصاله إلى جميع أفراد المجتمع فقامت ببناء عدد واسع من المدارس وفي مختلف القرى اليمنية .. وهذه العملية أسست لعملية تربوية واسعة .

---

(١) مجلة قضايا العصر – ص٥٤

وفي الاطار نفسه شهد الجنوب توسعاً تعليمياً مماثلاً ، للثورة التعليمية التي حدثت في الشمال والتوسع الأفقي تحديداً للمدارس ولكن الجنوب توسعت فيه العملية التعليمية ضمن رؤيته التصحيحية التي وجدت مع الخطوة التصحيحية في (٢٢) يونيو ١٩٦٨م حيث تمكن التيار التقدمي في التنظيم السياسي الجبهة القومية من تصحيح مسار الثورة ، وتطوير أدواتها ، فشكلت الخطوة التصحيحية منعطفاً تاريخياً هاماً في مسيرة الثورة حيث أعطت التعليم أهمية خاصة، ومفهوماً خاصاً نقل هذا الحق من أبراجه الفوقية إلى القاعدة الشعبية ، وأوجدت مدارس خاصة لأبناء البدو الرحل الذين لايزالون يحتاجون للعملية التربوية ولايزالون واقعين تحت تأثير النظرة الطبقية التي جعلت منهم فئات مهمشه في المجتمع في الشمال . شأنهم شأن الأخدام الذين تمتعوا في ظل الخطوة التصحيحية بحق التعليم والاندماج في المجتمع ، فالمساواة الاجتماعية التي احدثتها مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية في الجنوب أفرزت واقعاً جديداً تعايشت في ظله مختلف الثقافات الاجتماعية الوطنية ، وهذا ما أكدته العلاقة الجدلية القائمة في مختلف مجالات التطور السياسي والاجتماعي والثقافي والتعليمي .

وقد أشار التقرير السياسي الذي أقره المؤتمر العام الخامس للتنظيم السياسي للجبهة القومية في مارس عام ١٩٧٢م إلى هذه الحقيقة فجاء فيه «ان التعليم اصبح بداية لفكر تربوي جديد لمجتمعنا الوطني الديمقراطي يرتبط بحركة الجماهير في نضالها لتحقيق تحررها (وقتها) . الأمر الذي يقتضي وضع نظام تعليمي يضطلع باحداث تغيير فكري وتربوي يقوم على أساس الربط الحي بين المدرسة والحياة وبين النظرية والتطبيق ، ويعبر عن مصالح الطبقات المتحالفة في المرحلة الراهنة من تاريخ بلادنا ، ولما كان المعلم هو العنصر الأساسي الفعال في التغيير الفكري والتربوي لإنسان المجتمع التقدمي الديمقراطي ، فقد أولى المؤتمر السادس للتنظيم السياسي الجبهة القومية المنعقد في مارس عام ١٩٧٥م اهتماماً بالغاً بإعداد المعلم ، وقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر النص التالي: « ان المؤتمر يكلف اللجنة المركزية بأن تهتم بصورة خاصة بإعداد المدرسين ليكونوا قادرين على توجيه البنين والبنات بما يكفل تربية الطلبة بحب الوطن اليمني واحترام الشعب اليمني وتاريخ كفاحه واحترام العمل النموذجي للعمال والفلاحين وأن يكون لديهم موقف ثابت من الدولة الوطنية الديمقراطية ، وأن يعملوا على امتلاك التفكير والعمل المستقلين ليحققوا بسرور واجبات مواطن اليمن الديمقراطية وأن يصنعوا مصالح الشعب فوق مصالحهم الخاصة »[1].

(١) د/ الأغبري / بدر سعيد علي – نظام التعليم في الجمهورية اليمنية – دار اقرأ – الطبعة الأولى – ١٩٩٣م – صـ٥٣

وبهذا تحققت في عدن نهضة تعليمية واسعة ، وأصبحت العملية التعليمية بآفاقها التقدمية هدف الدولة والشعب على حد سواء وأصبحت المدارس بمراحلها المختلفة مؤسسة تربوية تؤدي وظائف تعليمية حديثة .. وأصبحت أيضاً هذه المؤسسات بالاضافة للتعليم الجامعي أحد أبرز اهداف المجتمع .

١٠

المبحث العاشر

المبحث العاشر

التربية والتعليم في عهد الثورة

عاشت اليمن اوضاعاً اقتصادية وسياسية وثقافية شديدة التخلف ، ولأحقاب تاريخية طويلة .. واعتمدت العملية التعليمية على اقامة بعض المدارس وبطاقة استيعابية محدودة جداً ، وتركزت هذه المدارس في عدد محدود من المدن .. ونظراً لحالة التخلف الشديد وصعوبة التواصل بين المجتمعات المحلية وهذه المدن التي تنتشر فيها المدارس بالإضافة لحالة الفقر المدقعة جعلت من عملية الالتحاق بهذه المدارس أمراً صعباً بعد الثورة ، وأصبحت العملية التعليمية اكثر شعبية ساعد في ذلك قيام المؤسسات الشعبية والحركات الاجتماعية والتعاونية التي ساهمت إلى حد كبير في تشكيل الوعي بأهمية التعليم واستكمال البنية التحتية في مختلف مجالات الحياة .. بل ان بعض هذه الجهات ساهمت في بناء المدارس وانتشار التعليم كهيئات التعاون الأهلي للتطوير والمجالس المحلية وغيرها من اشكال النشاط الاجتماعي التي اسفرت عن واقع تعليمي حديث يتسع يومياً ليشمل مختلف فئات المجتمع وشرائحه وعلى سبيل المثال حققت هيئات التعاون الأهلي للتطوير خلال الفترة من يوليوا ١٩٧٨م حتى ديسمبر ١٩٨١م (٨٠) مدرسة مكونة من (٢٨٢٣) فصلاً و (٤٧٩) مرفقاً [1].

وكانت منشآت الحركة التعاونية تتجزأ ثلاث على الدولة والمواطنين والتعاونيات ولهذا حققت منجزات كبيره في بناء المدارس ، فالتعليم بعد الثورة أصبح واقعاً معبراً عن ثورة حقيقية حدثت في هذا الاطار، ولكن هذه الثورة تركزت بدرجة أساسية في الانتشار الكمي للمدارس والمؤسسات التعليمية دون أن يبنى ذلك على خطة علمية مدروسة. لهذا أغلقت الكثير من المدارس التي أنشأتها التعاونيات أو الدولة في بعض المناطق الريفية نظراً لعدم وجود كثافة طلابية ، أو لسوء عدالة التوزيع وغيابه الكلي أو لعدم قدرة التربية والتعليم على ادارة هذه المدارس ، وتغطية حاجاتها من المدرسين والأثاث والمناهج وغيرها .

كما انتشرت العديد من الجامعات والمدارس التعليمية المتخصصة .. ولكن اعتمد هذا التوسع على الانتشار الكمي وأصبح الكيف في حكم المعدوم .

---

(١) انظر د/ المجاهد / عبدالله محمد - التعاون والتنمية في اليمن - الجزء الثاني - الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي للتطوير - ص٣١٦

ونظراً لقصور الامكانيات الفنية والمادية فقد استعانت اليمن في مجال التربية والتعليم بالخبرات والمعونات المصرية والسودانية والعراقية والسورية وغيرها من اجل تطوير وتنظيم البنية التعليمية .

التطور الكمي للتعليم في اليمن :

الثورة اليمنية كما أسلفنا خلقت آفاقاً جديدة وواسعة ، أدرك الشعب بكل فئاته وطبقاته بأن التعليم حقا اجتماعيا وانسانيا لابد من انتزاعه ، وعلى وجه الخصوص السواد الأعظم من الشعب الذين كانوا محرومين من هذا الحق بحكم ظروفهم المعيشية القاهرة وانتشار الفقر الشديد في المجتمع .. ونظراً لطبيعة الأنظمة السياسية التي كانت وقتها قائمة والتي تعتبر أن التعليم حقا محتكرا على الطبقة الاستقراطية الحاكمة ، وعلى الطبقة الاقطاعية المستفيدة من هذا الوضع .. ولهذا جاءت الثورة لتفتح آفاقاً واسعة امام الجماهير .. وهب الجميع للانخراط في المدارس التي كانت قائمة .. والتي أنشئت حديثاً ، وحتى بعض المساعدات الدولية للثورة تمثلت في بناء العديد من المدارس وبمختلف تخصصاتها العلمية .

والدكتور حمود العودي استطاع من خلال متابعته لتطور هذه العملية أن يرسم لنا خارطة متكاملة ، وأن يرسم لوحة التطور التعليمي بتدرجاته المختلفة « فقد تطور عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية في شمال الوطن وبين عامي (٦٣، ٧٥) وهو العام التالي لقيام الثورة من (٥٧٨٩٤) تلميذاً عام ١٩٦٣م إلى (٢٣٢٧٨٤) تلميذاً عام ١٩٧٥م وقفز هذا الرقم خلال الخطة الخمسية الأولى (١٩٨١/٧٥م إلى (٥٨٩١٨٦) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٩٨٢/٨١م . كما إزداد عدد طلاب المرحلة الاعدادية في نفس الفترة من (٧٣٠) طالباً لاتوجد بينهم فتاة واحدة عام ١٩٦٣م إلى (١٢١٦٣) طالباً من بينهم (٩٢٧) فتاة وقد وصل هذا الرقم في نهاية الخطة الأولى عام ١٩٨٢م إلى (٣٥٢٤٣) طالباً وطالبة كما تطور التعليم الثانوي من لاشيء عام ١٩٦٢م إلى اربعة وثمانين طالباً فقط عام ١٩٦٣م ، ووصل إلى (٤٣٥٠) عام ١٩٧٥م و(١٠٢٩٧) طالباً وطالبة عام ١٩٨١م ، واحتوت معاهد المعلمين بمختلف مستوياتها على (١٢١٠) طالباً فقط حتى ١٩٨٢/٨١م كما أن المجموع للملتحقين بالتعليم الثانوي الفني لم يتجاوز عددهم حتى عام ١٩٨١/٨٠م (٣٢٢) طالباً بالاضافة إلى (٣٣٠) طالبا موزعين على أربعة مراكز للتدريب المهني الأول في نفس التاريخ في حين بلغ عدد الملتحقين بالمعاهد الدينية (٥٢٨٩٨) طالبا وطالبة في كل المراحل من الحضانة وحتى الثانوية العامة . كما تطور عدد الطلاب ككل في جامعة صنعاء حتى عام ١٩٨١م إلى (٤٢٢٠) طالب وطالبة بدلاً

من (١٦٤٩) عام ١٩٧٦م وتركز الغالبية العظمى منهم في الكليات النظرية كما تؤكد الأرقام الاحصائية لعام ١٩٨٤م إلى ان المجموع الكلي للملتحقين بالعملية التعليمية يصل إلى (٨٣١٨٥٦) طالباً وطالبة منهم (٧٥٢٢٢١) في التعليم العام بمراحله الثلاث و(٦٣٣٢٨) في التعليم الديني بمراحله الثلاث وحوالي (١٠٠٠٠) في التعليم الجامعي و(٤٤٨٢) في معاهد المعلمين و(١٨١٥) طالب وطالبة في التعليم المهني منهم (٦٠٣) في التعليم الجاري والباقون هم (١٢١٢) في التعليم التقني والتدريب المهني منهم (١٢١) زراعي و (٤١٦) تدريب مهني ، و(٥٩٤) تكنيك صناعي وكهرباء وميكانيكا ووصل مجموع الملتحقين في التعليم الابتدائي عام ٨٨/٨٩إلى (١١٤١٦١٥) طالب وطالبة والاعدادي (١٩٩٨٤٧) طالباً وطالبة والثانوية (٦٥٢٦٢) طالباً وطالبة والتعليم الديني بكل مراحله (١٣٧٨٨٢) طالب وطالبة والجامعي أكثر من (٥٠٠٠٠) طالب وطالبة في حين لم يتجاوز مجموع الملتحقين في التعليم الصناعي والزراعي والمهني والبيطري (٢٧١٧) طالب لايوجد بينهم طالبة واحدة موزعين هكذا حسب الترتيب ١١٩٥ و ٣٣٨ و ١١١٧ والبيطري ٦٧ والملاحظ أن مؤشرات النسب بين قطاعات التعليم قد تتركز في الاتجاهات النظرية والدينية وتبتعد تماماً عن القطاعات المهنية والانتاجية اللازمة للتنمية كما هو واضح . ومن خلال ما سنتناوله بالتحليل النقدي الذي سيثبت من خلال هذه المؤشرات بأن التعليم يسير في اتجاه مغاير للتنمية اذا لم يكن في الاتجاه المضاد باعتبار أن كلفته عبء عليها ونتائجه عوائق حقيقية في طريقها »(١).

هذه اللوحة الفنية الجميلة .التي شكلها ورسم ملامحها الدكتور العودي تعكس انبهار الكثير من المثقفين والمهتمين بشئون الثورة اليمنية ، وما أحدثته من تغييرات جوهرية في الواقع .. ولكن وكما هو لدى الكثير من المثقفين تغيب النظرة الموضوعية الجادة .. أو النظرة العلمية الدقيقة .. فهناك أسباب جوهرية لهذه النقلة النوعية التي حدثت في الواقع والتي أصبحت جزءاً من وعي المجتمع وتطوره .. فهناك أسباب موضوعية لابد من ملامستها .. فالتوسع الأفقي والرأسي الذي شهده التعليم بعد الثورة يعود إلى طبيعة المتغيرات التي حدثت في الواقع . حيث أصبح التعليم كغيره من مجالات الحياة الأخرى ذا طبيعة شعبية وأصبح الشعب شريكاً فاعلاً في صنع هذه المنجزات .

فالثورة نقلت السياسات والأفكار من أبراجها العليا إلى الشعب مباشرة ، والثورة بالمفهوم العلمي لها هي حدث تاريخي هام ، وهي احداث تغيير جوهري

---

(١) مجلة قضايا العصر – السنة الثانية عشرة – عدد يونيو ١٩٩٢م – ص٥٥ ، ٥٦

في بنية المجتمع التحتية والفوقية ، كما أن التعليم أصبح بمفهومه الحديث مرتبطاً مباشرة بعجلة التنمية التي أصبحت أيضاً مرادفة لهذا العصر . وعلى وجه الخصوص التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت غائبة في الماضي .

والتعليم في الماضي يختلف كثيراً عن التعليم الحديث، فالتعليم بعد الثورة أصبح تعليماً حديثاً .. لهذا ارتبط بالشعب مباشرة .. وهو ما لم يدركه الكثير من المثقفين الذين تناولوا العملية التعليمية بطريقة سطحية متأثرين بالكم الكبير الذي تحقق في الواقع ، ولهذا التوسع الكبير أيضاً سلبيات واضحة أبرزها ضعف المؤسسات التعليمية ، وتردي مستوى الطلاب الدراسي والثقافي، وضعف المناهج الدراسية كما أن الأمكانات المادية البسيطة حالت دون توفير متطلبات المؤسسات التعليمية ، ومتطلبات التوسع فيها وهذا له تأثيره الواسع « .. ولم تكن مؤشرات النمو الكمي للعملية التعليمية في الجنوب أقل حيوية ، وسرعة عما هي عليه في الشمال اذا لم تكن متقدمة عليها بالفعل من حيث نسبية الملتحقين بالعملية التعليمية إلى عدد السكان حيث تطور مجموع الملتحقين في العملية التعليمية في جنوب الوطن من (٣٦٥٥٥) طالب وطالبة عام ١٩٦٤م إلى (١٠٣٢١٠) طالب وطالبة عام ٦٨/٦٩منهم (٨٥٨٤٤) طالب و(١٧٣٦٦) طالبة موزعين على المراحل الدراسية على النحو التالي : المرحلة الموحدة (٨٤٣٩٢) ذكور و (١٦٨٨٩) اناث والمرحلة الثانوية (١١٦٩) ذكور ، (٣٩١) اناث والمعاهد التقنية والتخصصية (١٥٣) ذكور و(٥٨) اناث ، ودور المعلمين والمعلمات (١٣٠) ذكور ، (٥٨) اناث .

وقد قفزت مؤشرات هذه الأرقام في عام ٨٦/١٩٨٧م في مجموعه الكلي (٣٦٥٥٥) عام ١٩٦٤م إلى (١٠٣٢١٠) عام ٦٨/١٩٦٩م إلى (٢٣٠٥٧٩) طالب وطالبة حيث تطور مجموع الملتحقين في التعليم الموحدة من (١٠١٢٨١) طالب وطالبة عام ٦٨/١٩٦٩م إلى (٢٩٢٦٩٢) طالب وطالبة عام ٨٦/١٩٨٧م والمدارس الثانوية من (١٥٦٠) طالب وطالبة إلى (٣٢٧٧٠) طالب وطالبة والمعاهد التقنية والتخصصية من (١٨١) طالب وطالبة فقط عام ٦٨/١٩٦٩إلى (٢٩٠٠) طالب وطالبة وكذلك تطور مجموع الملتحقين بدور المعلمين والمعلمات من (١٨٨) طالب وطالبة ٦٨/١٩٦٩م إلى (١٨٧٧) في عام ٨٦/١٩٨٧م . يضاف إلى ذلك مجموع الملتحقين في مستوى التعليم الجامعي عند التأسيس عام ١٩٧٠م حتى عام ٨٦/١٩٨٧م حيث وصل المجموع الكلي للملتحقين بمختلف كليات الجامعة عام ٨٦/٨٧م إلى (٣٠٠) طالب وطالبة منهم (٢٤٦٥) طالب و(١٨٤٠) طالبة أما التعليم المهني والفني فإنه بالرغم من الاهتمام الواضح بهذا الجانب حيث تشير

بعض الأرقام إلى وجود ما يقرب من (٢٤) معهد ومركز تدريب مهني وفني وتقني في المجالات المختلفة ، وإن اجمالي المقبولين في هذه المراكز والمعاهد قد تطور من (١٨٧٦) عام ٨٠/٨١م إلى (٢٢٢٥) عام ٨٥/٨٦م ووصل هذا الرقم أو تراجع على الأصح إلى (٢٢٠٨) عام ٨٦/٨٧م إلا أن التشغيل الحقيقي لهذه المرافق التعليمية الهامة وكذلك مؤشرات القبول والتخرج قد تكون محل مراجعة اذا أخضعت لعملية فحص احصائي دقيق لاحتوائها على الكثير من التناقض والحلقات المفرغة للاقتراض احياناً»[١].

وكانت الأوضاع التعليمية على قلتها قبل الثورة تكرس جزءاً كبيراً من مضمونه لإظهار العبودية وطاعة الحاكم الفرد الذي يحكم بأمر الإله .. باعتباره خليفته في الأرض .. وبعد الثورة ونظراً للتوسع الكمي الكبير للتعليم وللمؤسسات التعليمية ، باعتبار أن هذا التوسع قد جاء ترجمة لمبدأ الثورة ومعبراً عن مضمونها الشعبي والديمقراطي .. أصبح يمجد الثورة والوطن بأسره باستثناء السنوات الأخيرة . حيث اصبح يصور على أنه جزء من منجزات القائد يمجد أفعاله .. ولكن ظلت قوة العقل الشعبي والاجتماعي قائمة ، وتشكل روح التعليم الحديث باعتباره المضمون الكيفي لهذه العملية بأبعاده الفلسفية والأيديولوجية والطبقية « .. واذا كانت المدخلات الجديدة في مضمون العملية التعليمية قد افرزت بعض ثمارها الطيبة عن يقين على الصعيد السياسي والوطني والعقلي إلا أنها وعن يقين أكبر لم تثمر بعد شيء يذكر على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي طبقياً أو أن العملية التعليمية لم تجر عليها أي مدخلات حقيقية تتصل بتغيير مضمونها الاقتصادي والاجتماعي طبقياً وأيديولوجياً على وجه التحديد . حيث ما يزال المتغير الاقتصادي والاجتماعي والطبقي العميق للعملية الاقطاعية القديمة لما قبل الثورة والاستقلال حيث ما تزال فكرة الوظيفة الحكومية والسلطة السياسية بصفة عامة هي المعنى المراد الوحيد لفكرة التعليم أو النتيجة الوحيدة التي تنتهي بها .

فكل من يتعلم حتى اليوم هو لا يتعلم إلا لكي يصبح سلطة أوجزءاً من سلطة هذا من جهة ومن جهة ثانية فما زالت الفكرة المحورية في ذهن كل من يتعلم أو معظمهم على الأقل في بلادنا هي أن يتخذ العملية التعليمية قارب نجاة للتحرر من العمل المنتج وقلعة عالية للاعتصام بها منه إلى الأبد . وكلما كان تعليمه أكثر كلما كانت عصمته أكثر أمناً من مشاق العمل اليدوي والذهني »[٢].

(١) المصدر السابق – صـ٥٦ –٥٧

(٢) المصدر السابق – صـ٥٨

فظل الوعي الطبقي القديم والموروث التقليدي في احتقار العمل المهني واليدوي بصفة عامة قائماً بل ومتجسدا في الواقع .. وعلى الرغم من التوسع الكبير في العملية التعليمية بعد الثورة إلا أنه لم يوجه ليحرر العقلية الاجتماعية من التمايز الطبقي والاجتماعي ومن الارتقاء بالحرف التي يمارسها المجتمع.. بل إن الوعي الإجتماعي ظل يحتقر الأعمال اليدوية» الأعمال التي ارتبطت ثقافيا واجتماعيا بالفقراء والمعدمين .

ويقول العودي في هذا الاطار وهو يتحدث عن التعليم بعد الثورة والاستقلال « حيث كانت ولم تزل تدور عملية حراك اجتماعي بالغ الحيوية والحدة في عملية الارتقاء الطبقي من أسفل إلى أعلى من ناحية وتبادل المراكز الاجتماعية التقليدية من ناحية ثانية . فالجزار مثلاً لا يعلم ابنه قط مهنته الشريفة (الحقيرة) تلك ويطورها لكي يتحرر منها كعمل مهني محتقر أولاً ، وليصبح سلطة ضمن الطبقة أو الصفوة الحاكمة ثانياً ، ويغير مرتبة نفسه وأسرته اجتماعياً داخل القرية أو المنطقة يقفل صفحة ذلك التاريخ الاجتماعي الأسود بالنسبة له في العمل المهني المعين وفتح صفحته الجديدة ضمن الوجهاء وذوي النفوذ في نفس الوسط الاجتماعي وذلك هو الحال نفسه مع الحداد والنجار والبناء والمزارع بالأجر والحلاق والمغترب .. إلخ فالكل يتعلم أو يعلم أولاده لا ليتقنوا المهنة ويطوروها بل ليتحرر وا منها بالدرجة الأولى »[1].

١٠ المعهد الوطني للعلوم الإدارية :

تم انشاء المعهد في المحافظات الشمالية (قبل الوحدة) في عام ١٩٦٣م تحت اسم معهد الإدارة العامة والسكرتارية وحددت تبعيته برئاسة الوزراء ، وأوكلت اليه مهمة تدريب موظفي الدولة وتأهيلهم لما يكفل تطوير أداء أجهزة الدولة الناشئة .

وفي عام ١٩٧٤م أعيد تنظيم المعهد وسمي المعهد القومي للإدارة العامة وأسندت اليه مهام أوسع ليشمل نشاطه جميع القطاعات الحكومية العامة والمختلطة والقطاع الخاص ، وانيطت به مهمة تطوير كل نواحي النظام والنهوض بمستوى الأداء ، والقيام بالأبحاث الميدانية المتعلقة بالأجهزة الإدارية وتقديم الاستشارات ، وفي عام ١٩٨١م توسعت مهام المعهد لتشمل التعليم وحتى يتسنى للمعهد تحقيق استراتيجيته هذه فانه استند إلى ثلاثة أسس تحدد انشطته ومشروعاته وهي :

---

(١) المصدر نفسه – ص٥٩

١. التأهيل الأكاديمي والتخصصي .

٢. التدريب الإداري والمالي .

٣. البحوث والاستشارات والتوثيق "[1].

وبخصوص المعهد في المحافظات الجنوبية فالأمر مختلف إلى حد ما . فقد تأسس عام ١٩٨٠م كجهاز مرتبط بوزارة العمل والخدمة المدنية في عدن.. وأوكلت اليه مهمة تطوير العمل الإداري وأساليبه في جهاز الدولة الإداري وتأهيل القوى البشرية في الوظائف الإدارية المختلفة ، وكذا اقامة الندوات التنظيمية في قضايا ومشكلات العمل الإداري في أجهزة الدولة ومؤسساتها ونشر الدوريات والبحوث الإدارية وغيرها .

وبعد قيام الوحدة اليمنية في ٢٢مايو ١٩٩٠م أعيد تنظيم المعهدين تحت اسم المعهد الوطني للعلوم الإدارية وله فروع في كل من عدن والحديدة وتعز واب ، وقام المعهد بوضع مداخل واستراتيجيات وأهداف جديدة لتطوير الأداء الإداري من خلال مدخل شمولي متكامل يتناسب مع اهداف واحتياجات خطط التنمية في الجمهورية اليمنية بما يؤثر بشكل ايجابي على المجالات التالية :

١. تطوير القوى البشرية .

٢. تحسين استغلال الموارد البشرية .

٣. الربط بين سياسات التعليم واحتياجات التنمية الإدارية .

٤. التدريب الإداري من خلال تطوير المفاهيم واضافة معلومات جديدة مع اكتساب مهارات وقدرات فنية وادارية وكذا التغيير في انماط السلوك والاتجاهات الفردية والجماعية .

٢. التطوير التنظيمي :

رفع كفاءة التنظيمات الإدارية لتكون قادرة على تحقيق أهدافها من خلال :

١. تطوير المنظمات وأنشطتها .

٢. تطوير العلاقات التنظيمية وأساليب الإشراف والمتابعة .

٣. تطوير التقنية واستخدامات الممتلكات العامة .

---

(١) الموسوعة اليمنية – صـ٨٩٠- ٨٩١

٣. تطوير الأنظمة :

١. تطوير نظم السكرتارية والحفظ والتوثيق .
٢. تطوير النظم المحاسبية والمالية .
٣. تطوير نظم الشراء والتخزين .
٤. تطوير نظم العلاقات العامة .

وانطلاقاً من دور المعهد بوصفه واحداً من اهم المؤسسات القائمة في تنمية القوى العاملة ، كان اهتمام المعهد في اعداد خطة تحقق أهداف تنمية القوى العاملة والموارد البشرية في الفترة القادمة محدداً أنشطته الرئيسية في عدد من المجالات هي :-

١. الدراسات العليا بهدف تحسين مستوى الأداء .
٢. الدراسات التكميلية بهدف توفير فئة الفنيين لإدارة التنمية .
٣. التدريب باعتباره النشاط الرئيسي للمعهد .
٤. البحوث والاستشارات بهدف دراسة المشاكل الإدارية وتحليلها ، وبالتالي اقتراح الحلول الملائمة لها "[1].

ومثلما تطور المعهد وحقق ارقاماً قياسية على الأرض وشمل في توسعه معظم محافظات الجمهورية، وأصبح مؤسسة تعليمية تحضى بتقدير واهتمام الجميع، أعيد النظر في تبعيته لمجلس الوزراء إلى الخدمة المدنية ، وتحول إلى مؤسسة تقدم الخدمة التعليمية بمقابل . شأنه شأن المؤسسات التربوية الخاصة ، وربط سياسة القبول بمعدلات عالية شأنه شأن الكليات الرسمية .. ولذا شهد تراجعاً ملحوظاً في مستوى خدماته المختلفة .

التربية والتغيير الاجتماعي :

التربية عملية حيوية تنقل عن طريقها المعارف والخبرات المكتسبة من جيل إلى آخر ويذكر عبده عثمان أن « التربية بمفهومها الواسع وسيلة اجتماعية لنقل المعارف والقيم والمعايير والخبرات من جيل إلى جيل .. وتبرز اهميتها في تنظيم سلوك الجماعات وتحقيق الضبط الاجتماعي . وقد ارتبطت الوظائف الاجتماعية للتربية بأشكال المجتمعات وتطورها تاريخياً .. ففي المجتمعات البسيطة لمجتمع القبيلة تقوم الأسرة أو جماعة القبيلة بدور التربية من خلال المشاركة في الحياة العامة للجماعة .

(١) المصدر السابق – صـ٨٩١ – ٨٩٢

وفي بعض هذه المجتمعات يمر الأفراد اليافعون بمراحل تربوية تختبر قدرة الأفراد في مواجهتهم لأعباء الحياة والانتقال إلى مرحلة المسئولية والمشاركة الفعالة في نشاط المجتمع »[1].

والتطور الواسع الذي حدث في المجتمات البشرية عكس نفسه ايجاباً على الإنسان باعتباره جوهر هذا التغيير ، ومضمونه الحضاري .. فالإنسان ظل الرافعة الأساسية للتغيير وعن طريقه تواصلت الحضارات البشرية. فقد تطورت الأساليب التربوية بتطور المجتمعات والعلوم المختلفة التي استغلها الإنسان للتغلب على ظروف الطبيعة وأدت هذه التغييرات في ظروف الانتاج ونشأة. النظم إلى تكوين مؤسسات وجماعات تربوية متخصصة، وقد سادت هذه الأشكال والنظم التربوية في مجتمعات عديدة وخاصة المجتمعات التي تعرضت للثورة التكنولوجية الحديثة وامتد نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي إلى مجتمعاتٍ أخرى ، وبالرغم من أن كثيراً من المؤسسات والنظم التربوية المعاصرة كانت تعبيراً عن تطور اجتماعي وحضاري للغرب. إلا إنها لا تخلو من المساوىء والسلبيات لكونها متأثرة بالواقع السياسي والاقتصادي القائم على المنافسة والانقسام الاجتماعي لهذه المجتمعات »[2].

وترتبط التربية بالمستوى الاقتصادي والمعيشي للأفراد وتتطور طبقاً لتطور الأوضاع الاقتصادية .. فالتربية الحديثة والناجحة تقوم على اساس تحرير الإنسان من العبودية ، وعلى تعميق الديمقراطية والحرية والتعاون فيما بينهم ، ونلاحظ « في مقالة موريس أسعد « نحو نظرة جديدة إلى قضايا التعليم في مصر « بعض الانتقادات الموجهة إلى أنظمة التعليم في مصر والتي انتقلت إلى أجزاء أخرى من الوطن العربي . فهو يرى أن التعليم للمستقبل. لا بد أن يهتم بتنمية التفكير النقدي والفكري التحليلي كما أنه يشير إلى أن التعليم في مصر ينزع إلى صب جميع المتعلمين في قوالب ثابتة ، فالأفكار الفلسفية تقدمٍ كأنها معتقدات ، والنظريات العلمية تدرس على أنها حقائق ثابتة وليست فروضاً مشروطة .

لذلك يرى موريسٍ أسعد أن تنمية التفكير النقدي يحتاج إلى مراجعة شاملة لمناهج التعليم ، فبدلا من أن تقدم موضوعات الدراسة في صورة حقائق متتابعة أو معلومات للحفظ ينبغي أن تعاد صياغتها على هيئة مشكلات تتطلب البحث والمناقشة والحوار ويؤكد موريس أسعد أن نقطة البدء في التعليم للمستقبل هي الثقة في الإنسان وتعميق انسانيته وتحرير الطاقات البشرية الخلاقة كما أن الثقة في الإنسان وفي قدراته الخلاقة على بناء نفسه وبناء مجتمعه تتطلب

---

(١) مجلة الغد - العدد (٢) - السنة (٣) - يونيو ١٩٧٧م - ص٦

(٢) المصدر نفسه - ص٦

ممارسة كل انسان لحريته والحرية في مفهومها ليست مفهوماً نظرياً عاماً انما تكسب معناها بما تحققه للإنسان من قدرة على ممارسة النشاط التلقائي والايجابي يتلازم فيها الفكر والعمل في اطار اجتماعي متحرك»[1].

ومن هذا المنطلق يكتسب التعليم أهميته الواسعة في حياة المجتمعات البشرية وحيثما يقل المستوى التعليمي تكثر المشكلات الاجتماعية ، وهو ما أدركه فعلا الدكتور حمود العودي حيث قال : «يؤثر التعليم تأثيراً بالغاً وفعالاً بالطرق المباشرة وغير المباشرة في مختلف جوانب التنمية بصفة عامة ، والتنمية الاجتماعية والسكانية بصفة خاصة وبالذات فيما يتعلق في خلق الطموح والاستعداد لتحقيق نوعية حياة أفضل وتحسين صحة الفرد والأسرة والمجتمع . فالتعليم يؤثر تأثيرا ايجابياً ملحوظاً فيما يتعلق بتنظيم النسل والحد من الزواج المبكر وتبعاته السلبية وضمان درجة أفضل من الاهتمام والوعي بشئون الامومة والطفولة وعدم التميز الحاد بين الجنسين وخفض نسبة وفيات الأطفال في السنوات الأولى من العمر على الأقل وتحسين نوعية الحياة الصحية والسكنية والمعاشية والمادية والروحية وغيرها في أوساط المتعلمين بالقياس لغير المتعلمين أو شبه المتعلمين وتلك بديهة عامة لاشك فيها ولاخلاف حولها وهي صادقة بالنسبة لنا في اليمن »[2].

والتعليم أصبح في الوقت الحالي يعبر عن واقع الحياة العصرية التي ترتكز على مؤشرات علمية ضرورية لأي مجتمع .. وتتأكد هذه الحقيقة من ادراك العودي للعملية التعليمية وتأثيرها المباشر على التنمية الاقتصادية والاجتماعية « فإن التعليم لم يعد شرطاً ضرورياً لحياة كل فرد من أفراد المجتمع المنتظر مساهمتهم في عملية التنمية فحسب ، بل صار شرطاً لازماً لوجودهم كبشر لأن من لم يعد متعلماً في عصرنا هذا كما سبق القول عند الحديث عن التعليم ... فإنه لم يعد بقادر على الاحتفاظ بعضويته الاجتماعية كإنسان في المجتمع الحديث الذي لم يعد فيه التعليم ميزة بل ضرورة من ضرورات البقاء التي لاحياة بدون توفرها .

فالتعليم حتى بحدوده الدنيا والمتوسطة هو وحده الذي يساعد على خلق الطموحات المستقبلية لدى الفرد والجماعة ، وكلما زادت طموحات الفرد في تحقيق مستويات تعليمية افضل كلما انعكس ذلك على واقعه وطموحه في تحقيق

---

(١) المصدر السابق – صـ٨-٩

(٢) قضايا العصر – عدد يونيو ١٩٩٢م – السنة (١٢) – صـ٤٠

نوعية حياة أفضل بصورة مباشرة وغير مباشرة والعكس بالعكس صحيح»[1].

فالأوضاع التعليمية قبل الثورة في كل من الشمال والجنوب لم تكن في المستوى المطلوب ولم تلب احتياجات المجتمع ، وربما كان للأوضاع والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت قائمةً في الوطن تأثيرا واضحاً على مجريات العملية التعليمية لأن التعليم كان مرتبطاً فقط بالصفوة الاجتماعية القادرة على تعليم أولادها .

ولهذا ظل التعليم سنوات طويلة متأثراً بهذه الوضعية وظلت الصفوة تلعب دورا في هذا الاطار . على الرغم من كون التعليم قبل الثورة تعليم كيفي .. نوعي .. ومحدود جداً .. وتوسع بعد الثورة وأصبح يعتمد كما أسلفنا على الكم .. والزيادة المضطردة أيضاً في التعليم ، واقبال الناس عليه ولدت شعورا وطنياً بالحاجة لتعليم يكون أكثر ارتباطاً بحياة الناس ، وبواقعهم الاجتماعي والاقتصادي .. ولكن هذا التوسع لم يكن في معظم الحالات مبني على اسس علمية واقعية ، ولم يعتمد على النوعية وأصبحت مخرجات المؤسسات التعليمية التي تغطي معظم أجزاء الوطن لا تتلاءم مع الاحتياجات الاساسية للتنمية والتحولات الكيفية في المجتمع .

« .. فلقد خضع التعليم قبل الاستقلال كما يقول د. عبدالجبار سعيد لنظام الاصطفاء الاجتماعي ، وهو بذلك كان تعليم للخاصة وليس للجماهير، وللمبتدئين دون الفقراء وللأولاد دون البنات ، وظلت الغالبية من أبناء العمال والفلاحين وأصحاب الحرف وأبناء البدو الرحل محرمين من حق التعليم »[2].

وهذه العملية لم تكن خاصة بالشطر الجنوبي فحسب وانما ظاهرةٍ قائمة في كل من الشمال والجنوب . وبعد الثورة أصبحت العملية التعليمية حقاً للجميع ، واندفع الجميع لتدريس ابنائهم في مدارس نظامية ومناهج موحدة ، ولكن ذلك كان على حساب المعلومة ، وعلى حساب الجودة ، والمضمون .. وهو ما ينبغي أن نركز عليه في المستقبل .

من أجل سياسة تعليمية أكثر تطوراً :

بدأت العملية التعليمية الحديثة كما أسلفنا في ستينيات القرن الماضي اثر قيام الثورة اليمنية والتحرر من السلطات الدينية والاقطاعية المتزمتة التي نقلت روح التطور في الواقع . . ولهذا أحدثت الثورة حراكاً اجتماعياً وسياسياً وتنموياً

(١) المصدر السابق – صـ٤١
(٢) المصدر السابق – صـ٤٤

واسعاً .. ولكن ظلت العملية التعليمية على اتساعها تحاكي الواقع الاجتماعي والطبقي المتزمت الذي كان قائماً ومؤثراً.. ولم تستفد العملية التعليمية من التطورات النسبية التي حدثت في بعض الأقطار العربية في هذا الاطار لاسيما في مصر وسوريا حيث بدأ التعليم الحديث فيهما مبكراً ومنذ أكثر من مائة عام.. وربطت التعليم بالاحتياجات الاجتماعية والتنموية وهو ما كان ينبغي أن تتوجه نحوه العملية التعليمية في بلادنا .

فالعملية التعليمية في المستقبل لابد وأن ترتبط بمتطلبات التطور والنمو والتقدم الاقتصادي والعلمي الحديث ولا بد أن تلبي احتياجات المجتمع المادية والروحية .

فلا بد وأن تتجه المناهج الدراسية إلى بناء شخصية الطفل الوطنية ، وبناء شخصيته الثقافية والإنسانية واحترام حقوق الآخرين ، والرأي والرأي الآخر ، وبناء شخصيته على الحوار الديمقراطي ، والاهتمام بتطوير مواهبه وتوجهاته العقلية والتركيز على تنمية الجوانب العملية في المناهج الدراسية بدلاً من الحشو للمعلومات والتلقين الجامد للمعارف ، والتركيز على التعليم التخصصي في مختلف مجالات الحياة التربوية والتجارية والصحية والزراعية وغيرها على أن تكون واضحة الأهداف والمعالم ومنسجمة مع الاحتياجات التنموية المباشرة وغير المباشرة .

فمن المفيد أن ترتبط المدرسة بالحياة .. بحيث تلبي جميع المتطلبات الاجتماعية، التعليم الفني والتقني «البولوتكنيكي» وفي مجال الحرف اليدوية المختلفة الصناعية والخدمية ، النجارة والكهرباء ، والورش المختلفة . على أن توضع المناهج الدراسية المتخصصة من قبل الجهات المختصة ، وبما يلبي احتياجات الناس ومتطلبات التنمية. ناهيك عن المواد المشتركة في مجالات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واللغوية والدينية والفنية وغيرها من المواد الضرورية لبناء قدرات الطفل الثقافية والفكرية والجمالية .

ويتطلب أيضاً الاهتمام بالدورات القصيرة والمتوسطة والطويلة والانعاشية أو في مجال التدريب وبناء القدرات الذهنية الأساسية وبما يضمن التواصل المستمر مع المعارف الثقافية المختلفة .

فالعملية التعليمية المستقبلية لابد من ارتباطها الوثيق بالواقع القائم وعلى وجه الخصوص بالقطاعات والبرامج التنموية والوزارات .. فالتعليم الحديث ليس مجرد فلسفة تعليمية وانما تربوية تشمل مختلف مجالات الحياة وهي أيضاً وظيفة انتاجية واستراتيجية تربط التعليم بالاحتياجات التنموية ، وهذا

النوع من التعليم سيدفع الكثير من الناس إلى احياء التراث الثقافي والحضاري وتطويره، وبالتالي تحقيق احتياجاته الأساسية من هذا التراث الذي يتطلب تطويره وتحديثه .. وسيكون له بالتأكيد مردود اقتصادي واجتماعي واسع .. وستكون مهمة المدرسة هنا تخريج قوةٍ عمل مبدعة ونوعية ومهارات اجتماعية تتطور باستمرار مع تطور المجتمع . بدلاً من المدرسة الحالية أو المؤسسة التعليمية الحديثة والتي تثبت بالملموس بأنها تغرق المجتمع بالبطالة وتهدر امكانيات واسعة في هذا الاطار .. فالتعليم الحالي مكلف لأنه لا يقوم على استراتيجية تعليمية ترتبط بالواقع .. وهذا ما تؤكده الكثير من الشواهد والمعطيات . فهناك بطالة مقنعة حقيقية ، وهناك تخصصات كبيرة وواسعة تفوق احتياجات المجتمع .. وهناك يتحول الشعب يومياً إلى البطالة الحتمية ، وتموت الكثير من الأنشطة الاجتماعية والانتاجية التي كان يمارسها المجتمع في الماضي .

فلابد من اعادة النظر في طرق وأساليب العملية التعليمية فالتعليم التخصصي الذي ينبغي أن نركز عليه سيقود إلى تحريك الواقع الراكد وخلق مجتمع عامل يتطور يومياً ويطور مهاراته الاقتصادية والانتاجية والثقافية .. سيما في بلد كاليمن موارده محدودة ولديه مقومات سياحية واسعة وشواطئ جميلة وموروث اجتماعي وانساني وتعاوني جيد .

فالتعليم المستقبلي ينبغي أن يخلق واقعاً جديداً وطبقة اجتماعية جديدة قادرة على الانتاج المتواصل ومحاصرة الفقر والقضاء عليه .

وعلى هذا الاساس يتشكل التعليم الجامعي والذي بالضرورة سيكون انعكاساً موضوعياً لهذا النوع التعليمي الذي تشكل في الواقع وستكون التخصصات العلمية التي تفتحها هذه الجامعات للواقع متجانسة معه وحاملة لاحتياجاته.. وسيكون الجميع قادرين على اغناء الواقع بالبحث والدراسة ، وعلى مختلف احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والموارد البشرية .

وهناك نماذج ممتازة ، لهذا النوع من التعليم ، ولكنه يحتاج إلى دراسة واعادة تأهيل بحيث يكون ملبياً لمتطلبات الواقع ولاحتياجات التنمية .. ولابد من اعادة تشكيل وعي المجتمع بحيث يكون قادراً على استيعاب التوجهات الأساسية لهذا النوع من التعليم مثل المعاهد الزراعية والصحية والتجارية والمعلمين ، ومعاهد سياحية وفندقية متكاملة ومدارس للثقافة والتربية الجمالية ، وكذا لمختلف الصناعات الحرفية والحديثة ، وعلى وجه الخصوص الصناعات اليدوية السياحية ، المرتبطة بالمنتجات الزراعية المختلفة وبمختلف الثروات الطبيعية كصناعة الأسماك ، والنسيج وغيرها .. وينبغي أن تقدم السياسة التعليمة

الجديدة على استراتيجية وطنية واضحة ويكون هناك توازياً بين مختلف المؤسسات التعليمية، وهنا سيجد المجتمع نفسه يندفع إلى هذه المؤسسات والتي من الضرورة أن توجد في منطقة ودائرة نشاطه ، وهذا ما أدركه بالفعل خبراء التربية والتعليم في بلادنا ، فالأستاذ / محمد هاشم مستشار التربية والتعليم والخبير في مجال التربية يقول « كما أن هناك ـ اليوم ـ تحولات وتطورات علمية وتقنية وثقافية عديدة نافعة بل إن حجم المعلومات المتاحة اليوم في العالم والتي يتعلق الكثير منها ببقاء الإنسان وبأساسيات رفاهية ، وهو أكبر باضعاف ما كان متاحاً منذ سنوات قليلة فقط بل انه ينمو بمعدل متسارع .. ويشمل ذلك المعلومات عن سبل الحصول على المعارف الكفيلة بتعزيز الحياة ـ أي تعلم كيفية التعلم ـ فحين تقترن هذه العملية والتقنية وهذه المعلومات الهامة بتقدم عصري آخر وهو قدرتنا الجديدة ـ في ظل دولة الوحدة على خوض غمار هذه الثورة العلمية والتقنية والثقافية والاتصال مباشرة بهذه المعلومات الهامة من خلال اعداد أبنائنا تربوياً وتعليمياً فإنها تكون أعمق أثراً في تنمية قوى الخلق والابداع لدى انساننا اليمني المنشود »[1].

وتعتبر المناهج الدراسية الموجهة من أهم الوسائل الهادفة إلى خلق الإنسان الواعي وإعداده ، وتأهيله وادماجه في المجتمع « ان فكرة خلق الإنسان المبدع، وإعداده للتغيير والتهيؤ النفسي لذلك التغيير أصبحت ضرورة حتمية لمواجهة مطالب المستقبل . ان هذا الأمر يتطلب إدرك أن المستقبل ليس مجرد امتداد للحاضر ، كما يتطلب منا ادراك أنه لا توجد صورة واحدة جامدة لهذا المستقبل.

وهذه الفكرة في حقيقة الأمر سنجدها تمثل القيمة الأساسية في التعليم. فالتكيف مع التغيير لم يعد كافياً وانما الأهم هو توقع التغيير والاستعداد له والتأثير فيه لذلك تحتل مناهج التعليم موقعاً استراتيجيا حساسا في هذه العملية المعقدة الشاملة خصوصاً عندما ينظر للتخطيط التربوي من منظور الجودة والمستوى. ذلك لأن قياس جودة التعليم والحكم على مستواه يعتمدان على معرفة مدى تفاعل هذا التعليم مع قابليات وميول وأخلاقيات التلاميذ من جهة ومع مشكلات وحاجات واتجاهات المجتمع من جهة أخرى ولكن يصبح التعليم قادرا على التكيف مع هذين المتغيرين الرئيسيين المجتمع والتلميذ ـ ينبغي أن يطرأ تحول جذري وشامل في طبيعته أي في أهدافه ومحتواه وطرقه وعلاقاته، ـ والمناهج كما نفهمها تجسد إلى حد كبير مضمون طبيعة التعليم هذه التي يراد تغييرها وتطويرها[2].

---

(١) المصدر السابق – صـ١٥٧-١٥٨

(٢) المصدر السابق – صـ١٥٨ – ١٥٩

الفهرس

الإهـــداء ٣
تقـديـــم ٥
مقـدمـة وخلفية نظرية : ٧
المبحث الأول ١٥
الفصل الأول ١٧
التربية والتعليم في العصور القديمة ١٩
المبحث الثاني ٣١
الفصل الأول ٣٣
المعنى الفلسفي لفلسفة التربية ٣٥
الفصل الثاني ٤١
الجذور التاريخية لفلسفة التربية ٤٣
مدارس ما قبل أفلاطون : ٤٣
١- الفيثاغوريون ٤٣
٢. السفسطائيون : ٤٥
٣. سقـراط : ٤٦
٤. أفـلاطـون : ٤٦
٥- أرسطـو :- ٤٩
الفصل الثالث ٥١
فلاسفة العصور الوسطى ٥٣

توما الأكويني :- ٥٣
الفصل الرابع ٥٧
آراء بعض فلاسفة الإسلام في التربية ٥٩
- الفارآبي : ٥٩
- ابن سيناء : ٥٩
- الغـزالـي : ٦٠
-ابن الجـوزي : ٦٠
- ابن خلدون : ٦١
ابـن الأزرق : ٦٥
أخـوان الصفـاء : ٦٦
الفصل الخامس ٦٩
آراء بعض فلاسفة التنوير
والفلسفة الحديثة والمعاصرة في التربية ٧١
١.توماس هوبز :- ٧١
٢. جـان لـوك :- ٧٢
٣. جان جاك روسو :- ٧٣
آراء أخرى في التربية الحديثة : ٧٤
١. بستالوتزي : ٧٤
٢. هـربـارت : ٧٤
٣. فـروبـل :- ٧٥
٤. سبنسـر :- ٧٥
٥. برتراند راسل :- ٧٥
٦. بـاسيـدو :- ٧٥
الفصل السادس ٧٧
منهج فلسفة التربية ٧٩

السمات العامة لفلسفة التربية : ٨١
الأهداف العامة لفلسفة التربية : ٨٣
الفصل السابع ٨٧
١- الإتجاه العام لبعض النظريات التربوية في الفلسفة المعاصرة٨٩
١. التقدمية : ٨٩
٢. مذهب الدوام : ٩٢
٣. التواترية : ٩٣
٤. التجديدية « اعادة البناء» : ٩٥
٥ . الجواهرية : ٩٧
•الفكر التربوي(الماركسي) : ٩٨
•علاقة فلسفة التربية بالإنسان : ٩٩
•المشكلات المختلفة لفلسفة التربية : ١٠٢
المبحث الثالث ١٠٥
الفصل الأول ١٠٧
التربية والتعليم في العصر الإسلامي........................١٠٩
الفصل الثاني..١١٩
المؤسسات التعليمة في العصر الإسلامي ١٢١
. المسجد والجامع: ١٢٢
المدارس الإسلامية (النظامية) : ١٢٥
١. المدرسة النورية الكبرى :..............................١٢٩
٢. المدرسة المستنصرية ١٣٠
٣-مدرسة أبي حنيفة : ١٣٠
الفصل الثالث ١٣٣
التعليم في المدارس الإسلامية ١٣٥
المدارس المتخصصة في تدريس المذاهب الفقهية : ١٣٧

الأقسام الملحقة بالمدارس : ١٣٩
السياسة التعليمية في هذه المدارس : ١٤١
التخصصات العلمية في المستنصرية وفترة الدراسة فيها :١٤٣
نوعية الدارسين : ١٤٤
المستوى العلمي لهيئة التدريس : ١٤٥
مراحل التعليم : ١٤٨
تمويل التعليم : ١٤٩
الفصل الرابع ١٥١
المدارس الإسلامية في اليمن ١٥٣
المدارس النظامية في اليمن : ١٥٩
مدرسة ابن الأبّار : ١٦٠
مدرسة اليفاعي : ١٦١
مدرسة ابن ابي النهى : ١٦١
مدرسة ابن أبي الأمان : ١٦١
الفصل الخامس ١٦٣
مدارس العصر الأيوبي في اليمن
(النصف الثاني من القرن (٦هـ / ١٢م) ١٦٥
مدارس العصر الرسولي (٦٢٦ -٨٥٨هـ / ١٢٢٩ -١٤٥٤م) ١٦٨
الدولة الطاهرية (٨٥٨ -٩٢٣هـ / ١٤٥٤-١٥٢٦م)......... ١٧٦
التعليم في ظل دولة بني نجاح : ١٧٩
الفصل السادس ١٨١
التعليم العالي ١٨٣
إدارة المدارس وتمويلها ومناهجها في هذه المراحل :........ ١٨٤
أولاً : علوم القرآن الكريم : ١٨٨
ثانياً : علم الحديث ١٨٩
ثالثا : علم الفقه ١٩٠

رابعاً : الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية ١٩٠
خامساً : علم التاريخ والأنساب : ١٩١
سادساً : علوم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة : ١٩٢
سابعاً علم الطب : ١٩٣
ثامناً : علوم الكلام والمنطق والفلسفة : ١٩٤
تاسعاً : علم التصوف : ١٩٤
عاشراً : علم الكيمياء.................................. ١٩٤
الفصل السابع ١٩٧
دور المرأة في العملية التربوية ١٩٩
المبحث الرابع ٢٠٣
التعليم في العهد العثماني ٢٠٥
المناهج في المدارس التركية : ٢١٠
المبحث الخامس.. ٢١١
الفصل الأول ٢١٣
الملامح الأساسية للتعليم في عهد الاستعمار البريطاني ٢١٥
أولاً : الكتاتيب « المعلامات» ٢١٧
ثانياً : الأربطة الإسلامية : ٢٢٥
المدرسة الحديثة في عدن ٢٢٩
١ : التعليم الحكومي : ٢٣١
٢ : التعليم الأهلي ٢٤٨
٣: التعليم التبشيري : ٢٥٦
مدارس الإرساليات التبشيرية : ٢٥٦
أ. مدارس الإرسالية الكاثوليكية : ٢٥٦
ب. مدرسة الإرسالية البروتستانتية الأسكوتلاندية : ٢٥٧

جـ . مدرسة الإرسالية الدانماركية :..........................٢٥٧
٤ : التعليم الأجنبي :..٢٥٩
مدارس الجاليات الأجنبية في عدن : ٢٥٩
أ. المدرسة الجزراتية : ٢٦١
ب. مدرسة أنجمن اسلام : ٢٦١
جـ . مدرسة باهي لالجي الإسلامية : ٢٦١
د. مدرسة الجالية اليهودية في عدن ٢٦١
الفصل الثاني...٢٦٥
المناهج الدراسية المتبعة في عدن ٢٦٧
مصادر تمويل التعليم في الجنوب.................................٢٦٧
السلم التعليمي خلال الحقبة الاستعمارية :.......................٢٧١
البعثات التعليمية في الخارج :.....................................٢٧٢
المبحث السادس ٢٧٥
الفصل الأول ٢٧٧
اشكاليات المضمون الثقافي والتعليمي في عدن والمحميات ...٢٧٩
التعليم الحكومي :...٢٨٥
المبحث السابع ٣٨٩
التعليم في العهد الإمامي ٣٩١
المبحث الثامن ٣٩٧
الفصل الأول ٣٩٩
التعليم في محميتي عدن الغربية والشرقية ٣٠١
- مركز تدريب المعلمين :..٣١١
الفصل الثاني...٣١٣
التعليم في المحمية الشرقية :.......................................٣١٥
أولاً : الأربطـــة :..٣١٦

ثانياً : المدارس : ٣٢١
المبحث التاسع.. ٣٣١
التعليم التخصصي في اليمن ٣٣٣
الدراسة المتوسطة.. ٣٣٥
المناهج الدراسية : ٣٣٦
الزامية التعليم : ٣٣٨
– معهد الثروة السمكية : ٣٤٠
-العملية التعليمية في المعهد ٣٤٠
المبحث العاشر ٣٤٧
التربية والتعليم في عهد الثورة ٣٤٩
التطور الكمي للتعليم في اليمن :.. ٣٥٠
المعهد الوطني للعلوم الإدارية : ٣٥٤
٢. التطوير التنظيمي :.. ٣٥٥
٣. تطوير الأنظمة : ٣٥٥
التربية والتغيير الاجتماعي : ٣٥٦
من أجل سياسة تعليمية أكثر تطوراً : ٣٦٠

Guidance Press
مطابع التوجيه
Sana'a +967-1-262626
صنعاء ٢٦٢٦٢٦-١-٩٦٧+

الكاتب في سطور

- عبدالرحمن سيف إسماعيل
- مواليد الأعبوس . محافظة تعز.
- ليسانس آداب . فلسفة واجتماع ١٩٨٩/٨٨م.
- دبلوم عالي إعلام . تخصص صحافة ١٩٩٥/٩٤م.
- نائب مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بوزارة الإدارة المحلية.
- عضو الهيئة الإدارية لنقابة الصحفيين اليمنيين عام ١٩٨٠م
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين . فرع صنعاء ، من عام ١٩٨٠م.
- **صدر له الكتب التالية:**
  - (اليمن شواهد ومعطيات) عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٥م.
  - (نظرة في الفن والمجتمع) عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٦م.
  - (ملامح من النظم الإدارية والسياسية في اليمن قديمه وحديثه) عام ٢٠٠٧م.
  - ديوان شعر (كف النسيم) عام ٢٠٠٩م.
  - (الأبعاد الجمالية للفن الإسلامي) عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٠م.
- له عدد من الكتب والأبحاث المخطوطة.
- رئيس تحرير صحيفة الأعبوس.
- عمل محررا في العديد من الصحف والإصدارات الصحفية ومديرا لتحرير البعض منها.